







Princeton University Library



32101 048852410





# الدولة الأموية

في البشائر

تأليف

انيس كرايا البصولي

مؤلف « الدولة الأموية في قرطبة » الخ .

الطبعة الاولى

مطبعة دار السلام ونفوس ليد

١٩٢٧

مكتبة  
Mata Vera

لقد استأجرت مني كتاب القديس بولس الرسول  
والذي هو المرسوم اناس انصوي، ولكنني  
لم أكن أعلم النسخة بعد كتابي  
على سبيل الصدفة عند توسني.  
بيروت ١٩٧٩/١٧/٢٤

من احق بتاريخ امية من ابنا امية !  
ومن احق بتاريخ معاوية والوليد من ابنا معاوية والوليد !  
فاقبلوا يا ابنا سورية الباسلة المتحدة المستقلة هذه الثمرة الصغيرة .

انيس

(Arabic)

DS38

N878

1927



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الكتاب

يتحقق الباحث في كتاب الدولة الأموية في الشام اننا لم تقسم فصوله حسب السنين او الملوك او الحوادث او الفتن والحروب كما فعل غيرنا ، ولم نهم في جمع الحقائق حولها فنجعلها نقطة الدائرة او المحور الذي يدور عليه كلامنا . بل رتبنا كتابنا هذا حسب حركات نعتقد انها صورة حية البدايات والافكار والاعمال التي قام بها الامويون في العصر الذي سادوا فيه وتغلقت مدينتهم على العالم المعروف يومذاك . اننا اقدمنا على كتابة التاريخ على هذا النمط لاننا نعتقد ان التاريخ سلسلة حركات مستديمة متصلة مشبكة يأخذ بعضها برقاب بعض . وهي تربط الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل وتظهر الصلة بينها في رقي الجماعات الانسانية في البيئات المختلفة . وقد جعلنا هذه الحركات عناوين لفصول هذا الكتاب وهي : ١٠ تأسيس الدولة الاموية ( وقد لخصنا هذا الفصل عن كتابنا معاوية بن ابي سفيان )

192493

- ٠٢ مأساة الحسين (ع) ٠٧ العمران الاموي  
 ٠٣ الحركة الزبيرية ٠٨ احوال الاجتماع الاموي  
 ٠٤ سياسة الشدة ومظاهرها ٠٩ الادب الاموي  
 ٠٥ الفتوح الاموية ١٠ اسباب سقوط الدولة الاموية  
 ٠٦ العدل والاصلاح في الدولة الاموية

وكان جل اعتمادنا على المصادر التي تراها فيما يلي. انما رجعنا لدى تضارب الروايات الى الطبري لصدق اسناده ولتحريره الحقائق من بنايعها فهو من اولئك المؤرخين الذين ينقلون لك التاريخ كما تركه السلف . قال : « لم تقصد بكتابتنا هذا قصد الاحتجاج . . . . . وليعلم الناظر في كتابنا هذا ان اعتمادنا في كل ما احضرت ذكره . . . . . انما هو على ما رويت من الاخبار . . . . . والآثار التي مسندها الى رواها . . . . . اذ كان العلم بما كان من اخبار الماضين وما هو كائن من انباء الحادئين غير واصل الى من لم يشاهدتم ولم يدرك زمانهم الا باخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول . . . . . وليعلم انه لم يؤت ذلك قبلنا وانما اوتي من قبل بعض ناقله الينا وانا انما ادينا ذلك على نحو ما ادي الينا . المقدمة ج ١ ص ٦ - ٧ ليدن »

ثم اننا جربنا ان نعمل العقل والبصيرة فيما كتبناه فلم نشد بفضل اناس



ليسوا من الفضل في شيء ولم نجعل لعلاقتنا الدينية والطائفية والسياسية والاجتماعية  
تأثيراً في تدويننا التاريخي . ولم نكتب هذه الصفحات والصبغة التقديسية  
للسلف هدفنا . والحق اننا اردنا ان نثبت الحقائق ونفسرها حسب اجتهادنا  
ونحن بعيدون جد البعد عن التعصب فان وفقنا في هذا العمل الصغير فحسبنا  
هذا التوفيق في خدمة تاريخ العرب .

مدينة السلام في ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٧

انيس زكريا النصولي

## المصادر التاريخية

- التي اعتمدنا عليها -

١ - الطبري تاريخ الرسل والملوك لناشره *M. J. De Goje*

S II V I

S II V II

ليدن ٣ - 1881 S II V III

٢ - القلقشندي صبح الاعشى تأليف الشيخ احمد ابى العباس القلقشندي

المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٣٤ م

٣ - مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع .

Edited by. *J. S. J. Tuzenboll**Tomus Primus. J. J. Brill*

٤ - معجم البلدان تأليف الامام شهاب الدين ابى عبد الله ياقوت بن

عبد الله الحموي الرومي البغدادي .

*Ferdin and Wustenfeld. Leipzig 1869*

٥ - عيون الانباء في طبقات الاطباء . تأليف الطيب موفق الدين

ابى العباس احمد بن القاسم بن خليفه بن يونس السعدي الخزرجي المعروف



بابن ابي اصبعة ، نقله من النسخ الموجودة في بعض خزائن الكتب وصححه  
 العبد الفقير امرؤ القيس الطحان . الطبعة الاولى . المطبعة الزهوية . ١٢٩٩ هـ ،  
 ١٨٨٢ م .

٦ - اخبار العلماء بأخبار الحكماء . للوزير جمال الدين ابي الحسين علي  
 بن القاضي الاشرف يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ . مطبعة السعادة مصر  
 سنة ١٣٢٦ هـ . الطبعة الاولى .

٧ - طبقات الشعراء تأليف محمد بن سلام الجمحي . مطبعة بريل في  
 مدينة ليدن . سنة ١٩١٣ . ناشره *Joseph Hell*

٨ - محاضرات الادباء ، ومحاورات الشعراء والبلغاء . للراغب الاصفهاني ،  
 مطبعة الهلال مصر سنة ١٩٠٢ م ، هذبه واختصره ابراهيم زيدان .

٩ - الفصل في الملل والاهواء والنحل . للامام ابي محمد علي بن احمد  
 بن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦ هـ . المطبعة الادبية سنة ١٣١٧ هـ . الطبعة  
 الاولى . مصر .

١٠ - الملل والنحل للامام ابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني  
 المتوفى سنة ٥٤٨ . ( على هامش الملل والنحل ) .

١١ - الاغاني للامام ابي الفرج الاصفهاني . مصر ، مطبعة التقدم .

١٢ — المشتبه في اسماء الرجال . تأليف الشيخ الامام الحافظ شمس

الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي . مدينة ليدن سنة ١٨٦٣ م

لناشره *Dr. J. De Jong*

١٣ — التاريخ الكبير . للحافظ الكبير ثقة الدين ابي القاسم علي بن

الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر . مطبعة روضة الشام

لصاحبها قارصلي خالد . اعتنى بتربيته وتصحيحه الشيخ عبد القادر بدران .

دمشق سنة ١٣٢٩ هـ

١٤ — كتاب الولاة وكتاب القضاء . تأليف ابي عمر محمد بن يوسف

الكندي المصري مهذب ومصحح بقلم *Rhuron Guest*

مطبعة الاباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠٨ م .

١٥ — العقد الفريد لابي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي الاندلسي

المتوفى سنة ٣٢٨ هـ . المطبعة الجمالية مصر . الطبعة الاولى سنة ١٣٣١ هـ

١٩١٣ م .

١٦ — وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان . تأليف القاضي احمد الشهير

بابن خلصكان . طبع مصر .

١٧ — مختصر الدول . للعلامة غريغوريوس ابي القرج بن اهرود

الطيب الملقب المعروف بابن العبري . وقف على طبعه الاب انطون صالحاني  
اليسوعي المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت ١٨٩٠ .

١٨ - طبقات الامم للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي  
المتوفى سنة ٤٦٢ هـ . نشره وذيله بالحواشي وارادفه بالروايات والقهارس الاب  
لويس شيخو اليسوعي . المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين . بيروت  
سنة ١٩١٢ م .

١٩ - سيرة عمر بن عبد العزيز . تصنيف الحافظ جمال الدين ابي الفرج  
عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي . نسخه وصححه ووقف على طبعه محب  
الدين الخطيب . مطبعة المؤيد مصر ١٣٣١ هـ .

٢٠ - الامالي في لغة العرب . تأليف ابي علي اسماعيل بن القاسم القلي  
البغدادي . المطبعة الكبرى الاميرية بيولاقي مصر . الطبعة الاولى سنة ١٣٢٤ هـ .

٢١ - امالي السيد المرتضى . للشريف ابي القاسم علي بن الطاهر ابي  
احمد الحسيني المتوفى سنة ٤٣٦ هـ . في التفسير والحديث والادب . مطبعة  
السعادة بمصر . الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥ هـ و سنة ١٩٠٧ م .

٢٢ - كتاب العبروديان المتدا وانخير في ايام العرب والعجم والبربر  
ومن عاصره من ذوي السلطان الاكبر . للعلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي .



٢٣ - الشعر والشعراء تأليف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري  
المتوفى سنة (٢٧٦هـ) . صححه وعلق حواشيه السيد محمد بدر الدين ابو فراس  
النعساني الحلبي مصر ، الطبعة الاولى سنة ١٣٢٢ هـ .

٢٤ - تاريخ الكامل للامامة ابي الحسن علي بن ابي الكرم . . .  
المعروف بابن الاثير الجزري الملقب بعز الدين . المطبعة الازهرية المصرية، مصر،  
الطبعة الاولى سنة ١٣٠١ هـ .

٢٥ - كتاب الامامة والسياسة . تأليف ابي محمد عبد الله بن مسلم بن  
قتيبة المتوفى سنة (٢٧٦هـ) . مصر، مطبعة النيل سنة ١٣٢٢ هـ . وسنة ١٩٠٤ م .  
٢٦ - مختصر كتاب البلدان تأليف ابي بكر احمد بن محمد الهمداني  
المعروف بابن الفقيه . ليدن . مطبع بريل سنة ١٣٠٢ هـ ، ١٨٨٥

*Edidit H. J. De goeje .*

٢٧ - احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم جمع الشيخ شمس الدين ابي عبد  
الله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري ، الطبعة  
الثانية ، ليدن ، بريل سنة ١٩٠٦

*Descriptis Imperii Moslemici*

*Edidit M. J. De Goeje .*

٢٨ - كتاب المسالك والممالك . عن ابن خرداذبة ليدن سنة ١٣٠٦ ✓

*Edidit M. J. De Goeje*

*S. J. Brill 1899.*

٢٩ - كتاب الخراج وصناعة الكتابة . لابي الفرج قدامة بن جعفر

الكتاب البغدادي . بريل ليدن 1899

٣٠ - كتاب الامالي . املاء الحجّة ابي القاسم عبدالرحمن بن اسحاق

الزجاجي النحوي البغدادي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ . الطبعة الاولى سنة ١٣٢٤ .  
مصر ، مطبعة السعادة .

٣١ - البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة

سنة ٢٥٥ ، وقف على طبعه محب الدين الخطيب المحرر بجريدة المؤيد . مطبعة  
الفتوح الادبية ، مصر سنة ١٣٣٢ هـ .

٣٢ - المحاسن والاضداد تأليف ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . ✓

مطبعة السعادة مصر ، الطبعة الاولى سنة ١٣٢٤ هـ

٣٣ - التنبيه والاشراف لابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ✓

ليدن . مطبعة بريل سنة ١٨٩٣ .

٣٤ - كتاب الاخبار الطوال لابي حنيفة احمد بن داود الدينوري . ✓

جمعها واعتنى بترتيبها وطبعها وتعليق مقدمتها اغناطيوس كراشكوفسكي المعلم  
بالمدرسة السككية الامبراطورية في بطرسبرج . مطبعة بريل ، ليدن سنة ١٩١٢ .

*Ignace Kratchkovsky*

٣٥ - فتوح البلدان لأحمد يحيى بن جابر البغدادي الشهير بالبلاذري

مطبعة الموسوعات مصر ١٣١٩ ، سنة ١٩٠٩ ، م الطبعة الاولى .

٣٦ - كتاب القصري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية تأليف

محمد بن علي طباطبا المعروف بابن الطقطقي - مطبعة المعارف مصر سنة ١٩٢٣ .

٣٧ الدولة الاموية في قرطبة . المؤلف المطبعة العصرية ببغداد . ١٩٢٦ .

٣٨ - معاوية بن ابي سفيان . مطبعة طيارة بيروت سنة ١٩٢٤ -

• للمؤلف •



## الفهرست

ص	المقدمة
ج	تأسيس الدولة الاموية
١	مأساة الحسين
٢٨	الحركة الزبيرية
٦١	سياسة الشدة ومظاهرها
١٢٥	الفتوح الاموية
١٦٥	العدل والاصلاح في الدولة الاموية
٢٠٨	العمران الاموي
٢٢٨	احوال الاجتماع الاموي
٢٦٣	الادب الاموي
٢٩٤	سقوط الدولة الاموية
٣١٤	جدول الخلفاء الامويين
٣٦٠ - ٣٥٧	



# الفصل الاول

## تأسيس الدولة الاموية



مباة معاوية ، لما ساعده انصاره ، ؟ اشهر قاداته ، 'بمجبونه  
والقيسيون ، الحرب الاهلية ، المعتزلة ، العثمانية ، معركة صفين .  
الف مال بين عيسه على وعيسه معاوية ، برونوكون صفين ، نغد برونوكول  
صفين ، مؤتمرا فرح ، دومة الجندل وافرحة ، انقابلة بين مزب على  
ومزب معاوية ، ابو موسى الاشعري ، عمرو بن العاص ، الفلظ  
القادح الذي ارتكبه الاشعري ، معاوية مؤسس الدولة الاموية  
في الساس .



الرجل ذوو الشخصيات الكبيرة التي تطل على هذا العالم قليل ، غير  
أن انوارهم وضاءة فيظنون مناراً يهتدى به ، وباعتنا قويا يدفع ابناء الاجيال



المقبلة على استثمار نتاج قرانهم وجهوداتهم كما يكون جوم العتلي والادبي والسياسي والديني جواً راقياً صافياً لا تشوبه غيوم الظلمة والجهالة . من هؤلاء الرجال شاب عاش مئذ اثني عشر قرناً ونيف . ربي في سهول الحجاز المنفرة وهو طفل وأظلمته ساء سوربة وهو يافع ، ذلك الشاب هو معاوية بن ابي سفيان . ولدمعاوية في مكة وتهذب على ابيه ابي سفيان الزعيم الكبير في الجاهلية ثم اصبح كانبالوحي النبي (ص) <sup>١</sup> وحاز على ثقته لدموحه وذكائه وخصب آمله . إن هذا المنصب جعله يحتك برجال الاسلام الذين اصبحوا بعد ذلك إماماً من اخصامه وإماماً من دعائه في نزاعه المشهور مع علي بن ابي طالب . فعرف الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وعائشة ام المؤمنين والدهاة المشهورين أمثال عمر و بن العاص والمغيرد بن شعبه وكثيراً من الانصار الذين كانت تغلو مراحل الحق في صدورهم حسداً من ابناء قريش وغيرهم من الزعماء الذين جمعهم المصلحة فتفياًوا غالى الراية الاسلامية . ولطالما اعترف معاوية بفلذة الاختبارات والدروس اللمة التي تلقاها من ذلك المركز . ثم نراه بعد ذلك قلداً بسيطاً في جيش القتح الذي اجتاح سوربة بقيادة اخيه

( ١ ) حياة الحيوان للميربي ج ١ ص ٦٧ ، ابن خيس ج ٢ ص ٣٢٥ ، للفخري

يزيد بن ابي سفيان<sup>١</sup> ، فحاکا للشام والعراق نحواً من عشرين سنة فخليفة يخضع له العالم الاسلامي لمدة لاتنقص عن مدة ولايته . حتا ان حياته السياسية الطويلة تظهر لنا قوة الزعامة في الرجل وتمكنه من منصبه والحفاظة عليه .  
 دين ان يعتريه اليأس فينقلب خاسراً مدحوراً . ويعترف اعداؤه السياسيون بقوة شخصيته التي تسحر النفوس فتجتذبها غير انهم يتألمون منه لانه جعل من الخلافة ملكاً ضحياً فخماً وحطم اساس الشورى في الاسلام بقيامه على علي بن ابي طالب واقراراه الملك في أعقابه .

اما مساعده في اعماله ومشيدو دولته فكانوا اشبه شيء بحلفائه منهم برجال خضعوا له . فعمرو بن العاص لم يسلك سبيله ويلتف حوله الا حين شرط مصر والمغرب طعمة له<sup>٢</sup> ونسخة الثمرط تقول أخيراً ( هذا ما اعطى معاوية بن ابي سفيان عمرو بن العاص اعطاه اهلها ( اهل مصر ) فهم له جيوشه ولا تنقص طاعته شرطاً<sup>(٣)</sup> ) . وكان عمرو لا يحمل اليه شيئاً من الاموال بل يفرق الاعطية في الناس فما فضل من شيء اخذه لنفسه<sup>(٤)</sup> . ويقول

(١) حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٦٧ . ابن خليس ج ٢ ص ٢٢٥

(٢) اليعقوبي ج ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٣

(٣) اليعقوبي ج ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٣

(٤) اليعقوبي ج ٢ ص ٢٦٣ ويقول ابن الخليس ان معاوية اطلق خراج مصر ست

سنتين ج ٢ ص ٢٢٦

الفخري « أنه لم يكن بينهما مودة قلبية وكانا يتباغضان سراً وبما ظهر ذلك على صفحات وجوههما وفتلتا السننهما (١) » مما يدل على أن المصلحة المشتركة كانت العامل الأكبر في اتحادهما . فمعاوية كان يطمع في الخلافة والسلطة وعمرو في مصر السعيدة الخصبية .

ولا شبهة ان عبد الرحمن بن خالد وحبيب بن مسامة القهري وبسر بن اوطاة والضحاك بن قيس وأبا الاعور السلمي وحمزة بن مالك الهمداني وشرحبيل بن السمط الكندي كانوا من اعظم قواده ومدبري دولته وحكام اجناده (٢) فالاربعة الاول الذين ذكرنا اسماءهم آتقاً هم مكيون . أما ابو الاعور السلمي فهو من قيس ؛ القبيلة التي ينتسب اليها معاوية نفسه . ولم يقع معاوية في غلط التحزب لقبيلة او حزب ما فيقسم اهل البيت الواحد بعضهم على بعض بل استثمر مواهب مواطنيه سواء كانوا انصاراً ام يمينين . أجل حين اعتلى معاوية عرش الخلافة أخذت القبائل القرشية تخفف من غلواء عدائها ؛ فأسس في دمشق « ومة » مادتها شتيت الاحزاب واسكنه لم ينتسب علناً الى واحدة منها .

(١) الفخري ص ٩٦

(٢) راجع الطبري ليدن المجلة الاول ص ٢٢٧٢ ، ٢٢٦٠ ، ٢٣٩٦ ، الطبري



كل هؤلاء القادة قدموا شبانا الى سورية حين القتح سوى شرحيل وقد استخدموا عند يزيد بن ابي سفيان وظلوا في عداد رجال معاوية نحواً من ثلاثين سنة . ولقد كانوا قادة كباراً لم يتبأوا مراكزهم الا عن جدارة واستحقاق فاستعملهم معاوية في الحروب التي اشعل نارها حبا باتساع المملكة الاموية وقد ابلى حبيب بن مسلمة البلاء الحسن في العراق وارمينية وصفين<sup>(١)</sup> ولعب كل من ابي الاعور السلمي وبسر بن اوطاة دوراً مهماً في فتح مصر وافريقية<sup>(٢)</sup> . وبسر هذا رجل ذو شخصية غربية وشجاعة نادرة، كان له في بث دعوة معاوية شأن ، وهو من اولئك البدويين الذين لا تتخلل الرحمة قلوبهم فيفتك باعدائه إن تمكّن منهم فتكا ذريعاً . هؤلاء القادة هم الذين قاموا بمعظم مغازي معاوية في الاناضول وغيرها فيينا نرى عبد الرحمن بن خالد وحبيب بن مسلمة يضربان المملكة البيزنطية الضربة تلو الاخرى إذا بأبي الاعور وبسر يقودان أسطول معاوية للانتصار في المواقع البحرية . ومن الغريب أن هؤلاء القادة الاشداء كانوا في بعض الاحايين رجال ادارة وسياسيين<sup>(٣)</sup>

( ١ ) البلاذري ١٧٦ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٩ و ١٩٨ و ٢٠٤ راجع اليه قوتوي

ج ٢ صفحة ١٧٨ و ١٨٠ والطبري الجمة الاولى ص ٢٨٠٨ و ٢٨٧١ و ٢٨٨٩ و

٢٨٩٢ و ٢٨٢٧

( ٢ ) للطبري ٢ : ص ١٢ ، ص ٢١٢

( ٣ ) الطبري جمة اولى ص ٢٢٧٧ و ٢٢٢٧

ومثلاً على ذلك تقول ان ابا الاعور وحبيب تخابرا مع علي اثناء معركة صفين  
وهيئاً للكتاب او « البروتوكول » المبدئي لمؤتمر أذرح وقد حكم حبيب بن  
مسلمة أخيراً جند قنطرة في شمال سورية الى الحدود البيزنطية وتولى ابو  
الاعور جند الأردن وشرحيل جند حمص .

كان اليمينيون يؤلفون القسم الاعظم من الجيش السوري ويشهد الطبري  
بذلك حيث يقول انهم « عظم جند اهل الشام »<sup>٢١</sup> وقد اعتمد عليهم معاوية  
في قتال البيزنطيين واهل العراق فكانوا سيوفه البتارة حين محنه ومع ذلك  
فقد ذكروه احياناً باعمالهم المحميدة<sup>٢٢</sup> . وكان اليمينيون ايضا ساعده الامين  
في تجهيز الاسطول وقيادته ولذا عطف عليهم لاختلاصهم لتفضيته واستمالهم  
بكرمهم وجعل بعضهم من بطانته ولما اعتنق هؤلاء الاسلام ، ذلك الدين  
الجديد ، ظلوا ينظرون الى « مبدأ العربية الشامل »<sup>٢٣</sup> اللبدا الجامع لشتاتهم  
فلم تكن الحزبية معروفة تماما في بلاطه واصبحوا بتوالي الايام شاميين ومن  
اعظم دعائه . ان معاوية وان كان قيسيا في انتسابه فقد علم علم اليقين ان  
الاتفاق مع القبائل العربية ، المتوطنة سورية منذ اجيال ، دعامة كبيرة في سبيل  
دعوته وركن متين في توطيد العائلة المالكة الاموية . وكان اليمينيون اولئك

ص٢١٦

( ١ ) الطبري ج ٢ : ١٧٧٥ ( ٤ ) الاغانى ج ١٧ من ٦٤ - ٦٢

( ٢ ) لامس ص ٥٢

الذين اعتادوا النظام والحياة الهادئة في ظل الحكومة البيزنطية من أكبر مساعدي معاوية على ادارة سورية .

اما القيسيون فقد كانوا يسكنون التخوم في الجهة الشرقية من سورية وهم اقلية ؛ نجد اغلبهم في قنسرين والاعتماد عليهم دون سواهم غلط فادح لسكرة اليمانية ، ويشهد بذلك ان معاوية حين ابتداء في نزاعه مع علي أشير عليه باكتساب رضى اليمانية وعلى الاخص زعيمهم شرحبيل بن السمط .

ان اليمينيين والقيسيين بامتزاجهم مع سكان سورية بقررت عقليتهم وتمت افكارهم نوعا ففرغوا عنهم ثوب البداوة ومن المهم ان نقرر ان هؤلاء العرب وخصوصا ابناؤهم اخذوا ينسون وطنهم الاول ويرون في سورية وطنا ثانيا وقد كانوا ذري ليونة ومران قابلين لكل تجديد .

كان معاوية يستشير رجاله وذوي الرأي من نبلاء سورية في اموره وطلبا ابدت الآراء بصراحة امامه دون رهبة او وجل كما هو الشائع اليوم في المجالس النيابية عند الغربيين . ويقول الحصري . انه ( اذا اراد ان يفعل شيئا التي منه طرفا الى الناس ) . ويؤكد لامنس ان معاوية جدير بان يتربع في ايامنا هذه على كرسي الرئاسة في اي مجلس من مجالسنا التثميرية<sup>١</sup> .

### الحرب الأهلية: أو نزاع معاوية مع علي

لما قتل عثمان اجتمع اناس من المهاجرين والانصار فاتوا علياً وبايعوه سنة ٣٥ هجرية « ٦٥٥ م » والانصار هم اكثرية حزب علي . ان هؤلاء منذ وفاة الرسول (ص) لم يرضوا عن ابي بكر خليفة المسلمين بل اعترضوا واحتجوا على ذلك . ولو نظرنا الى الامرجيا لتحققنا انهم لم يفوزوا في انتخاب علي خليفة في الفرص الثلاث التي سنحت لهم بل تربع على عرش الخلافة ابو بكر فعمر فعثمان كما هو مشهور . علي ان هذا لم يمنع بعضهم من التألم والحزن لمقتل عثمان كحسان بن ثابت والنعمان بن بشير وكعب بن مالك . ولو استثنينا النبلاء من اهل المدينة لوجدنا العدد القليل من اشراف بقية البلاد الاسلامية مواليه لعلي . ويمكننا القول ان اغلب سادة قريش وقفت على الحياد او ظاهرت معاوية وكاتفته . فتأثر ابن ابي طالب كثيراً من عدائهم له ،<sup>١</sup> اما مهاجرو مكة فقد تحزبوا لعلي وهم في اماكنهم وعن بعد . وكان الهاشميون أعوانه وقوام حزبه بطبيعة الحال غير ان منهم من تحلى عنه كعائشة أم المؤمنين وأسامة بن زيد ، الذي تبناه الرسول ، وعقيل بن ابي طالب اخي علي ، وهو شاب قبل الاسلام متأخراً ولم يشترك في أي معركة أو غزوة قبل فتح مكة

(١) الاضاني ج ١٥ ص ٥٠ ، اقرأ كتاب علي بن ابي طالب الى ابنه عقيل



اطاعت خراسان ومصر والعراق علياً اسماً ولم يكن له السلطة المطلقة.  
 « البتة في هذه المقاطعات واعتزل عن بيعته سعيد بن زيد وعبدالله بن سلام  
 والمغيرة بن شعبة وسعد بن ابي وقاص وعبدالله بن الخليفة عمر بن الخطاب  
 وابو موسى الاشعري ،<sup>(١)</sup> احد حكي مؤتمر اذرح ، فسموا المعتزلة — وهم غير  
 الفرقة الفلسفية الاسلامية — وكان هؤلاء يعتقدون انه لا يجوز ديناً  
 الاشتراك في الفتنة ومقاتلة السور بين اخوانهم في الاسلام . يدلنا على ذلك  
 ما قاله أسامة معتزراً لعلّي حين طلب منه الانضمام الى صفوفه : « اعفني من  
 الخروج معك في هذا الوجه فاني صاهدت الله ان لا أقاتل من يشهد أن لا إله  
 إلا الله<sup>(٢)</sup> » وقول آخر « أتريد ان تسير بنا الى اخواننا من اهل الشام  
 فنقتلهم<sup>(٣)</sup> » . وقد خاطب سعد علياً بقوله : « اعطني سيفاً يفرق المسلم من  
 الكافر<sup>(٤)</sup> » . ثم انضم معظم هؤلاء الرجال المعتزلة الى معاوية ومنهم تألف  
 حزب العثمانية<sup>(٥)</sup> « الذين يقدمون بني امية على بني هشام ويقولون الشام

(١) الممودي ج ٢ ص ٤٥ ، وروضة الناظر لابن الشحنة ص ٢١٢-٢١٤

(٢) الدينوري ص ١٥٢

(٣) الدينوري ص ١٧٥

(٤) الدينوري ص ١٥٢

(٥) تجدهم مذكورين في الطبري الجزء الاوّل ص ٢٢٤٨ وفي ابن العدي (مختصر الدول

ص ١٨٠ وفي البغدادي ج ٢ : ٢١٨

خير من المدينة»<sup>(١)</sup>. وقد قعدوا عن علي بن ابي طالب ولم يشهدوا حروبه واعتقبوا ان عثمان قتل خطأ. ولكعب بن مالك احدثهم مرث في الخليفة المقتول وتحرى بض للانصار على نصرته قيل قتله وتأيد لهم على خذلانه<sup>٢</sup>. فاتحادهؤلاء الرجال مع معاوية او اعتزالهم كاف لان ذلك لنا ان حقوق علي في الخلافة كانت امراً مشكوكاً فيه لم تثبت اصوله في صدور القوم اجمعين.

تدل كلمة (عثمانية) في الاصل على اقرباء عثمان الخليفة الثالث ومواليه غير انها اطلقت في الحرب الاهلية للدلالة على حزب الخليفة المتقبل الذين قاموا يطالبون قصاص من سفك دم ذلك الشهيد المظلوم في عرقهم؛ وتطرف بعضهم فقالوا ان المي يدا في الثورة التي نشبت في المدينة وكان من نتيجتها قتل عثمان، ولذا فهو غير جدير بتسم عرش الخلافة. وانه لمن الغلط القادح ان نعتقد بان العثمانية هم حزب معارضة ومريدين، بل بالعكس، فان كل من التف حول معاوية وناصره من اجل الاقتصاد لعثمان والاخذ بثأره من العثمانية<sup>٣</sup>.

اما القبائل فكان قسم منها مع علي وقسم آخر مع معاوية لكن باهلة وبكر القبيلتان العراقيتان الصميمتان كانتا من اخلص المحلصين لدعوة بين

(١) اذني ج ١٥ ص ٣٠ (٢) الافاني ج ١٥ ص ٢٦

(٣) لامس ص ١١٩-١٢٠

أبي طالب ثم انضمت إليه تغلب في الجزيرة واشتركت معه كما أتحدت قبلا مع غيره محافظة على مصالحها لترهبها من العراق ولم يكن بنو تغلب من الذين يضحون انفسهم في سبيله لاننا نراهم بعد ذلك في صفوف معاوية في الكوفة؛ الا ان المتوطنين سورية منهم كانوا من حزب ابن أبي سفيان ، وتردد شاعرهم الاخطل الشامي - كما يسميه القهرزدق - على بلاط الامويين قدما كاف الدلالة على ذلك .

ومهما يكن من امر هؤلاء ، فان اليمن ومصر والعراق كانت دعامة الحزب العلوي ومادته الحيه . غير انه كان بها كثير من العثمانية الذين تألموا قهاجمة المدينة وغيرهم من المعتزلة . ففي مصر كان عددهم نحو من عشرة آلاف وقد حسب علي هؤلاء من الخونة<sup>(١)</sup> لانهم لم ينصروه ، وحارب معظمهم بجانب معاوية في معركة صفين ومن ثمة ساعدوه على فتح مصر والعراق والتغلب عليها . ويعدد معاوية الاسباب التي جعلته يفوز على علي في نزاعهما فيقول ( اعنت على علي بثلاث : كان رجلا ظهره عانة وكنت كستوما للسر وكان في اخبث جند واشده خلافا وكنت في اطوع جند واقله خلافا وخلايا اصحاب الجمل فقلت ان ظفريهم أعددت ذلك عليه وهنا وان ظفروا به كانوا اهون شوكة

علي منه) <sup>(١)</sup> ويزيد العقد القريني انه قال (وكنتم احب الى قريش منه «اي من علي» فيالك من جامع الي ومفروق عنه) <sup>(٢)</sup> . هذا عدا عن تفوق سياسي معاوية واغلبهم من الارستقراطية المسكية على رجل علي الانصار كما يظهر لنا من تتبع حوادث مؤتمر أذرح .

### معركة صفين

حين قتل عثمان زهبت عواصف الامم في صدور من تخلف عن بيعة علي وغيرهم من العثمانية ، تربص معاوية يتتبع سير الاحوال فلم يتابع علماً نظراً لما جاش في صدره من الاطماع في السيادة والسلطة على العرب ، سباً ولعائلة ابي سفيان مجد تالد في قريش ولانه خاف من علي إذ علم انه متى استتب له الامر عزله ولم يستعمله <sup>(٣)</sup> فاستشار معاوية عمرو بن العاص في القيام عليه فاشار على معاوية « اشراب قلوب اهل الشام اليتيمين ، بان علماً مالا على قتل عثمان قبل ان يدعوم الي انخلاف ، وان يتقدم الي ذلك بالتزوين للاشراف منهم ، خصوصاً رأسهم شرحبيل بن السمط <sup>(٤)</sup> » . ففسد الي اهل الرضا

١١ الطبري ج ١ ص ٢٢٢٢ . ابوز الفرج ١ ص ١٩٩

(٢) العقد القريني لابن سعد ربه ج ٢ ص ٢٣٧

(٣) الفخري ص ٨١

(٤) الدينوري ص ١٩٩



عنده ان يخبروه بفاجعة عثمان، الواحد اثر الاخر حتى اشبعوا تفسيته بانه قتل  
مظلوما فأتى معاوية وقال « والله لئن باعته لنخرجك من الشام »<sup>(١)</sup> فاجاب  
« ما كنت لاخلف امركم وانما انا واحد منكم » إن معاوية بعد ان ذل  
هذه الصعوبة وتأكد من اخلاص زعيم اهل الشام ، عمد الى اكتساب  
قلوب العامة فارسل شرحبيل في مدائن سورية يبأيعهم على النصرة والمعونة  
والاخذ بثأر خليفته المظلوم، ولطالما بكى واستبكى الناس مذكراً اياهم بمصاب  
عثمان<sup>٢</sup> ؛ مما يدلنا ان معاوية لم يحرم من المواهب الخطابية التي تؤثر في النفوس  
فتستهويها وتضرب على وترها الحساس فتجتذبها ؛ فاجابه الناس كلهم الا  
تقرأ من اهل حصص .

ثم بين معاوية للعالم الاسلامي ، الاسباب التي دعت له الثورة وضمنها في  
رسالة بعث بها الى مندوبي ابن ابي طالب وهي اساس المبادئ العثمانية وتقول:  
• اما بعد فأنكم دعوتهم الى الطاعة والجماعة ، فاما الجماعة التي دعوتهم اليها فعنا  
واما الطاعة لصاحبكم فلا نراها . ان صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جاعتنا  
وتأوى ثارنا وقتلتنا وصاحبكم يزعم انه لم يقتله فنحن لانرد ذلك عليه .  
أرايتم قتلة صاحبنا ؟ الستم تعلمون انهم اصحاب صاحبكم فليدفعهم الينا

٣١ البخاري ص ٨١

(١) الدينوري ص ١٦٩

فلنقتلهم به ثم نحن نجيبكم الى الطاعة والجماعة . « ان معاوية اوجد لعلي بذلك مشكاة صعب حلها ؛ إذ كيف ينلم قتلة عثمان وهم يده وعضده وانصاره وبطانته ؟ أو ان لم يفعل ذلك تسرب الشك الى صدر الامة فتعتقد ابن لعلي دخلا في فاجعة المدينة سواء كان مجرما او بريئا . وقد اجاب ابن ابي طالب على ذلك بكلمات مبهمة غير محددة مما لا تبعث اليقين الى النفوس لأنه لم يدفع بها عن نفسه التهمة التي صوبها اليه معاوية وكانت السبب الاكبر في ترزيع اردن دعوته والتخلي عنه ؛ وهاك جوابه « واما ما سألت من دفعي اليك قتله فاني لا ارى ذلك ؛ لعلمي بانك انما تطلب ذلك ذريعة الى ما تأمل ومرقاة الى ما ترجو وما الطلب بدمه تريد . »<sup>٢</sup>

ثم التقوا بصفين من ارض الشام على الفرات فجرت بينهم مناوشات وجروب وكان اولها ان معاوية واصحابه سبقوا الى شريعة الماء فلسكوها ومنعوا اصحاب ابن ابي طالب من الماء . غير انهم اجبروا على مغادرتها بعد مناوشة انجبت عن تهمتهم<sup>٤</sup> . ولجدير بالذكر انه حين كان يكف القتال ، تتوابع الجنود ويحتلطون بعضهم ببعض فلا يعرض احد من الفريقين لصاحبه الا

(١) الطبري ج ١ : ٢٢٧٥ - ٢٢٧٦ وابن الاثير ج ٢ من ١١٥

٢١ . الدينوري ص ١٧٢

٣١ . الدينوري ص ١٧٤

(٤) الدينوري ص ١٢٩ - ١٨٠ والنفري ص ٨٢

بخير، ورجوا ان يقع الصلح<sup>١</sup>. وكانت طريفة القتال ان تخرج الجماعة من هؤلاء الى الجماعة من اولئك فيقتلون بين العسكريين، وقد كرهوا الالتقاء بجميع القبليين، مخافة الاستئصال<sup>٢</sup> ولم تقع هزيمة ما على احد الفريقين الى ان كان يوم الهمدير<sup>٣</sup> وهو اعظم يوم بضنين وبه زحف اهل العراق على اهل الشام فأزالوهم عن مراكزهم وحمل الناس بعضهم على بعض حملة شعواء حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف وتهد النبيل وتكادمو بالافواه وتجاثوا بالتراب<sup>٤</sup>. وذلك ان عليا امر كل قبيلة من اهل العراق ان تكفيه اخبتها من اهل الشام؛ الا ان تكون قبيلة ليس بالشام منها احد فيصرفها الى قبيلة اخرى كباهلة فانه صرفها الى الخم<sup>٥</sup>.

وحين ظهرت امارات الفتح اشار عمرو على معاوية برفع المصاحف على الرماح<sup>(٦)</sup> والدعاء الى ما فيها من امر الله وغايته من ذلك؛ اولا، ايقاع الاتقسام في احزاب علي لان هذا امر ان قبوله اختلفوا وان ردهه تفرقوا.

(١) الدينوري ص ١٩١

(٢) الدينوري ص ١٩٢

(٣) الدينوري ص ١٩٥، الطبري مجلة ٥ ص ٢٢٢٧

(٤) الدينوري ص ١٩٥

(٥) الدينوري ص ١٩٢، الطبري ج ١ ص ٢٢٨٢

(٦) الطبري ج ١ ص ٢٢٢٩. اقرأ رأي علي في رفض المصاحف الطبري ج ١

ص ٣٢٠، ٣٢٠ الفخري ٨٢

ثانياً ، رفع الحرب عن السور بين الى اجل او الى حين على الاقل . ولقد  
 أثر ذلك على عقلية الجنود اذ قيل لهم « من لغور اهل الشام بعد اهل الشام  
 ومن لغور اهل العراق بعد اهل العراق » . ان ذلك العامل الذي  
 ابان لهم ما يصيبهم من الضرر ، ( مدموغاً بطابع الدين ) جعلهم  
 يفترون عن القتال ويصيب سهم ابن العاص مرماه . والحقيقة هي  
 ان التفارقة وقعت في جند علي فقام بعضهم وقال انها مكيدة فاجابهم آخرون  
 « انا قد بدأنا بدعاء اهل الشام الى كتاب الله فردوا علينا فاستحللنا قتالهم  
 فان رددناه عليهم حل لهم قتالنا » واخيراً قرقرهم بعد الجدل في مسألة  
 الشك واليقين من صدق امرهم ، على ان يرضوا بالتحكيم وهياً مندوبو كل  
 من الفريقين الكتاب او البروتوكول الاتي بيانه :<sup>٢</sup>

اولاً : ينزل الحكمان والقريقان عند حكم الله عز وجل وكتابه .

ثانياً : الحكمان هما ابو موسى الاشعري عن اهل العراق وعمرو بن العاص

القرشي من قبل اهل الشام .

ثالثاً : يعتمد الحكمان على السنة العادلة الجامعة غير الفرقية فيما لم يجدها

في كتاب الله .

( ١ ) الدينوري ص ٢٠٢

( ٢ ) الطبري ج ١ ص ٢٣٢٦ - ٢٣٢٧ ، الدينوري ص ٢٠٧ - ٢٠٨



رابعاً : الامن والاستقامة ووضع السلاح جوار بين افراد الحزب بين ايما ساروا على اقسيمهم واهليهم واموالهم وشاهدهم وغائبهم .

خامساً : الامة لها انصار على مايتقاضيان به وليس لعلي ومعاوية ان ينقضا مما حكم به في كتاب الله وسنة نبيه . وهما آمنان في حكومتهم على دماهم واموالهما واشعارهما وابشارهما واهليهما واولادهما .

سادساً : مكان قضيتهم الذي يقضيان فيه مكان عدل بين اهل الكوفة (العراق) واهل الشام ويأخذ الحكمان من ارادا من الشهود .

سابعاً : اجل القضاء الى رمضان وان احبا ان يؤخرا ذلك اخراه على تراض منهما .

حقاً ان معاهدات السياسيين بها شيء من الابهام وعدم التحديد ولعلمهم اقسيمهم يودونها ان تكون كذلك كما يعلقوا المسائل تعليقا دون حل نهائي لها ، اذ ربما تسنح القرص بعد ذلك بتتميمها . ومن هذا القبيل نرى ان المادة الاولى من هذا الاتفاق غير محدودة اذ ما معنى حكم الله ؟ وما هي التفضيلات الدقيقة التي يجب ان يبحث فيها اعضاء المؤتمر حين يضعون ايديهم على « حكم الله » اذا وجدوه ووصلوا اليه ؟ ثانيا ترى هل كان احد الحكامين او كلاهما منتخبين من قبل الحزب بين بئامهما ام كان هنالك فئة غير راضية عن

أخدهما أو كليهما؟ ألا اننا نعرف ان علياً نفسه لم يكن راضياً عن ابي موسى؛  
ويثبت لنا ذلك رأيه فيه حيث قال: (انه ليس لي بثقة . قد فارقتي وخنل  
الناس غني ثم هرب مني حتى امنته بعد اشهر<sup>١</sup> ) . وللنقادة الاحنف بن  
قيس رأى في ابي موسى وهو « قد عجمت هذا الرجل وحلبت اشطره فوجدته  
كليل الشفرة قريب النعر »<sup>٢</sup> ناهيك ثالثاً بان التحكيم نفسه لم تقبل به فئة  
كبيرة من الناس دعوا بعد ذلك بالخوارج . وتفصيل الخبر انه لما خرج الاشعث  
يقراً مواد الكتاب الذي عقد بين الطرفين على الناس؛ قامت طائفة من  
بنى تميم فيهم 'عروة بن أدبه حيث قال « تحكمون في امر الله عز وجل الرجل .  
لاحكم الا لله »<sup>٣</sup> كذلك صرحت له تماماً فئة من عنزه وبعض من اشرف  
مراد وغيرهم من بنى راسب اذ تنادوا ( لا يحكم الرجل في دين الله )<sup>٤</sup> مما  
يدل ان علياً لم يصل الى منصب الخلافة الا بأمر الله . ومنصبه جليل سام  
لارأي للناس فيه او في انتخاب الرجل الذي يجب ان يتسنمه اذ ان الله خصه  
به . ولقد قاموا على علي لانه شك في صحة خلافته وجعل نفسه عرضة للحكم  
الذي يصدره الحكمان . خامساً اننا لو تصفحنا العقد لتحققنا ان علياً لم يلقب

( ١ ) الطبري ج ١ ص ٢٣٢٢

( ٢ ) الطبري ج ١ ص ٢٣٢٤

( ٣ ) الطبري ج ١ ص ٢٣٢٩

( ٤ ) الدينوري ص ٢١٠

فيه بامير المؤمنين<sup>١</sup> مما يبرهن لنا ان خليفة المسلمين رضي بأن ينزل نفسه منزلة معاوية حاكم دمشق وان يخضع واياه لصوت القضاء. وهذا ضعف في سياسته كما لا يخفى .

### مؤتمر اذرح

كانت دومة الجندل ؛ البلدة التي صمم الحكمان على جعلها مقراً للمؤتمر في باديء الامر ؛ اذ انها في مركز وسط بين سورية، والعراق. وقد انتخبت اذرح ايضا مكانا لاجتماعهما ، وهي من اعمال الشراة شم من نواحي البلقاء ، وعمان ،<sup>٢</sup> مجاورة لأرض الحجاز ؛ تبعد نحواً من ميل عن الجرباء ويستطاع القول انها في منتصف المسافة بين معان وبترا (وادي موسى) في ايامنا هذه . وكانت اذرح محطة للقوافل القرشية التي امت سورية ايام الرسول (ص) وقد لعبت دورا مهما في العصر الرومانية اذ جعلوها مخيما ومركزاً للمواصلات مع البحر الاحمر . وهي غنية بمياهها في تلك البقاع الجرداء وورثة بطرا في اجتنابها القوافل حين مرورها الى شرقي الاردن . ولقد خسرت مركزها التجاري حين الفتح الاسلامي . وكان لمعان البصيب الاوفر في النمو والازدهار

(١) اله ينوري ص ٢٠٧

(٢) مدجم البلدان لياقوت الحموي ج ١ ص ١٦٢ ، راجع الطاهري ج ١ : ٣٠٦

بعدها . و آخر ذكرى لها في التاريخ الاموي هو تنازل الحسن بن علي عن الخلافة فيها معاوية . والظاهر أنها خربت ايام الحملات الصليبية على سورية لان مؤرخيهم لا يذكرونها مع كثرة معسكرات اللاتين، كوادي موسى وغيرها، في تلك الجهات . ومن الشائع المتعارف لدى المؤرخين العرب سوى الطبري<sup>٢</sup> ان دومة الجندل كانت مركز المؤتمر وذلك لاثباتهم الروايات دون غرابة وانتقاد . غير اننا لو تصفحنا اقوال الشعراء لأكدنا ان المؤتمر لم يعقد الا في أذربج ويشهد بذلك قول ذي الرمة يمدح بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الأشعري :

ابوك تلاميذ الدين والدنيا بعدما تساءوا وبيت الدين منقطع الكبر  
فشد اصار الدين ايام اذربج ورد حروبا قد لقمن الى عقر<sup>٣</sup>  
ولنا من شعر كعب بن جعيل في عمرو بن العاص ما يثبت ما نحن بصدده:  
كان ابا موسى عشية اذربج يطيف بلقمان الحكيم ويواربه  
فلما تلاقوا في تراث محمد سمت بابن هند في قریش مضاربه

(١) لامنس من ١٢٨

(٢) الطبري من ٣٢٤١. ابن الأثير ينزل ماور - في الطبري ج ٣ ص ١٢١

(٣) ياقوت الحموي معجم البلدان ج ١ ص ١٦٢

(٤) معجم البلدان ج ١ ص ١٦٢



وقال الاسود بن هيثم في المؤتمر :

لما تداركت . الوفود باذرح . وفي اشعري لايجل له غدر<sup>(١)</sup>  
أدى أمانته ووفى نذره عنه واصبح غادراً عمرو  
وان كان المؤتمر لم يعقد في دومة الجندل فذلك يرجع الى سلوك علي لأنه  
امل ان يؤخر تاريخ انعقاده لينا يتسنى له ضم الخوارج الى حظيرته بعد ان  
انشقوا عنه ولربما لقطع العلائق ثانية مع معاوية . ثم ان علياً لم يدفع منسوبه  
لحضور المؤتمر ويخرج عليهم في ذلك ولذا تأخروا عن الميعاد المضروب له<sup>(٢)</sup>  
مما جعل انصار علي نفسه يجبرونه على الوفاء بهده . اما اهل الشام فتمسك  
قدموا للوعد الذي واعدهم اياه الحكمان .

اجل قررت بعد ذلك دمشق والكوفة ان تكون اذرح مركزاً لاجتماع  
الحكمين نظراً لتوفر اسباب الحياة فيها وكثرة مياهها مما فضلت به على دومة  
الجندل . وقد رجا معارفة المتزلة حضور المؤتمر ليشهدوا ما يكون  
من أمرهما<sup>(٣)</sup> .

لابد ان الحزبين لم يكونا متعادلين في المنسوب بين السياسيين اللذين

(١) معجم اللغات ج ١ ص ١٦٢

(٢) الطبري ج ١ ص ٢٢٠٢

(٣) الطبري ج ١ ص ٢٢٤١ الدينوري ص ٢١١

مثلاً هملان عمرأ ذلك الداهيه المشهور يعلم من ابن توكل السكستف في الامور السياسية الخطيرة ، عدا ما اتصف به من فصاحة اللسان . ولما كان معاوية يشك في حسن مقاصده فقد ارسل له اخاه عتبة مشيراً .

اما ابو موسى فكان حاكماً للكوفة يوم مثلت مأساة المدينة ، الا انه حين اشتعلت نار الحرب الاهلية اعتزل القتنة وهو من اصحاب رسول الله له شرف ونبيل ؛ لسكنه لم يكن ليعد من انداد عمرو في اساليب السياسة والدهاء . ولقد كان خطيباً ذا افق عتلي محدد . ومهما يكن من امرهما فان المفاوضات التي دارت بين الاثنين تظهر لنا شخصيتهما وقوامها العقلية في الدفاع عن ارائهما ؛ وتفصيل الخبر هو انه حين نظر الحكمان في امرهما وما اجتمعا عليه » اراد عمر و ابا موسى على معاوية فأبى ، و ارداه على ابنه فأبى ، و اراد ابو موسى عمرأ على عبدالله بن عمر فأبى عليه «<sup>١</sup> ومن ثمة قررا ان يجعل الامر شورى بين المسلمين فيختارون لأنفسهم من احبوا . وعموما نرى جميع المؤرخين من العرب ينسبون الى عمر و بن العاص انه خدع ابا موسى بتثيئته صاحبه معاوية وخلعه علياً بعد ان خلع زميله الزعيمين . نرى هل من الممكن ان يملو رجل عرش الخلافة اذا غش مندوبه مندوباً آخر فحسب ؟ ان حيلة عمرو لا يقبلها

١ . اقرأ تمصلياً في الدبشوري ص ٢١٢ - ٢١٦ و انفري ص ٨١ و الطبري ٢٣٥٨

المنطق اذ انه لو تسنى له ان يخدع ابا موسى لأثار الرأي العام عليه وحلول الانظار نحو علي سيما وقد شهد المعتزلة المحايدين والأربعمائة مندوب من العراق قرارات المؤتمر<sup>١</sup>. ثم كيف قسر ثورة الخريث بن راشد<sup>٢</sup> ذلك الرجل الذي أخلص لعلي وشهد معه معركة صفين والنهروان ولم يندفع البتة مع تيار الخوارج. لو خدع عمرو ابا موسى هل يهتل ان يفتح الخريث في بوق الثورة و ينشق علي ابن ابي طالب بينما يعلم ان صاحبه خدع خدعا. لم تكن ثورة الخريث نتيجة لخدعة عمرو الخيالية انما لأنه اراد ان ينفذ ارادة الحكمين المتفقين و يدعو الى الشورى ولان عليا ضعف عن الحق اذ جد الجدل<sup>٣</sup> فخلعه حكمه الذي ارتضاه لنفسه وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من السكوفة. و صفوة القول اننا حين نضع المسائل في غربال الانتقاد وتقابلها بما وقع من الامور بعد مؤتمر أذرح نتحقق ان حيلة عمرو العلنية لا تستند على اساس ثابت من الصحة إذ كيف يرجو عمرو ان يرشح معاوية للخلافة بعد ان أمضى مع ابي موسى على خلعه<sup>٤</sup>. ومما يدلنا ان حيلة عمرو باطلة هو انه لم يرد شيء عنها في الاحتجاجات التي

(١) لامنس ص ١٢٢

(٢) الطبري ج ١ ص ٣٤١٨

(٣) الطبري ج ١ ص ٣٤٣١ وارجع ايضا الطبري ج ١ ص ٣٤٢٧ والطبري ج ١

(٤) الطبري ج ١ : ٩٣٥٨ الفخري ص ٨٤ ٣٤١٩

قدمها علي معترضا علي مؤتمر أذرح إنما أتهم الحكامين بانهم لم يسيرا حسب ما في كتاب الله ولذا وسعه الخروج عن حكمها .

ان الحزبين لم يقتتلا في سهل صفين الا لان عليا لم يرض بتسليم قتلة عمان للقضاء فابي اهل الشام ، العثمانية ، الاعتراف به خليفة للمسلمين ، ولذا عقد مؤتمر أذرح . وحضور العراقيين هذا المؤتمر لم يكن الا بمجاملة يقومون بها قبل ان يكون النصر حليف ابن ابي طالب . اما السوربون فقد قدموا رفي ادعتهم فكرة الشك في حق علي بالخلافة وترشيح معاوية لها مع انه لم يدعها علنا وود ابن ابي سفيان من صميم القلب ان يظهر مداخلة خصمه في فاجعة المدينة كما لا يكون لتصير القتلة حق بالخلافة .

والغلط القادح الذي ارتكبه الاشعري هو انه سوي بين علي امير المؤمنين ومعاوية حاكم الشام في المنزلة كما نص بذلك « برونوكول » صفين ، مع ان ابن ابي طالب قد اعترفت به مصر واليمن والحجاز وخراسان ولم يبق خارجا عنه الا سورية<sup>٢</sup> . هذا عدا ان معاوية لم يلتف حوله حزبه الا كمنبتهم لعثمان وليس كمدح للخلافة . فالاشعري لم يميز هذا التفصيل الدقيق الخطير؛

( ١ ) الطبري ج ١ ، ٢٣٥٩ ، ويقول ابو مرسى « اني قد خالفت عليا ومعاوية فاستقبورا

اسرهم رولو طابكم من راتوه لهذا الاسر الا » .

( ٢ ) (دعوة الناظر ج ١ ، ٢١٩٠ )



بل حكم على علي ومعاوية كرشحين للخلافة ، وبذلك حط من مركز ابن ابي طالب ورفع منزلة معاوية وأمهله بتحقيق مطامعه الخفية وحوّل انظار الناس نحوه دون ان يشعر بما فعل . ولو امعنا النظر في سير المفاوضات بين الاثنين لرأينا ان الاشعري لم يكن متأكدا من حق علي بالخلافة اذ اطلق العنان لعمرو ان يحدثه عن حقوق معاوية في ان يخلف عثمان . هذا لم يكن موضوع المناظرة ولعمري ان عمرا الداهية ابعث في مفاوضاته كثيرا عماتوا من اجله فجعل برشع رجلا ضعيفا للخلافة الى ان انهكه ، وقر قرارهما على خلع الزعيمين والرجوع الى الشورى ؛ مما أدى الى النتائج التي وصفناها آنفا . هذا ما نظنه الصحيح من مناقشات مؤتمر اذرح . اما الباقي من الروايات فعليه مسحة من روح التعصب والاختلاف في اثبات الحديث .

خرج معاوية من هذا المؤتمر خاسرا حتماً ليس له وراثياً عطف الناس ، اذ ان عليا لم يعترف بما أقر عليه الحكمان وهو تخليه عن المركز العظيم الذي تسنمه اعمام اعيان ورجوع الى الشورى . وان ظل علي بعد ذلك متمسكاً من الحجاز والامراق وغيرهما من الاقطار فقد بقي معاوية المسيطر على الشام والرجل الذي بدأ يرى فيه العالم الاسلامي الشخصية الكبيرة القادرة على توطيد السلام ، ولذا فتول

ان مفاوضات مؤتمر اذرح السياسية ادت الى نتائج عظيمة لم تكن لتأتي عن طريق صفيين وغيرها من المعارك التي تسفك فيها الدماء الزكية .

ومما جعل لمعاوية النصيب الاوفر في النجاح ابان المفاوضات هو روح الطاعة التي تحلى بها الشاميون. <sup>(١)</sup> لكن القوضى نشبت بين العراقيين حتى قال لهم العباس بوما « اما ترون رسول معاوية يجيء لايعلم بما جاء به ويرجع لايعلم بما رجع به ولا يسمع لهم ( للشاميين ) صياح ولا لفظ وانتم عندي كل يوم تظنون الظنون ؟ <sup>(٢)</sup> »

ويقول ذبو الرأي من العرب ، انه لو مضى علي بن اطاءه ، اذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يفتقر او يهلك لكان ذلك الحزم <sup>(٣)</sup>

الاسلام يقول ان النفوذ والقوة بعد الله هما في يد الجماعة الاسلامية وليس من خطيئة بعد الكفر اكبر من خطيئة الخروج على الجماعة والثورة عليها . وللخليفة مثلها وحامل عصاها ان يحكم بموجب كتاب الله والسنة والاجماع والقياس . وقد انتخب معاوية بن ابي سفيان خليفة للمسلمين عام الجماعة في ايلياء <sup>(٤)</sup> ( بيت المقدس سنة ٤١ هـ و ٦٦١ م ) ودعي هذا العام بعام الجماعة

١ ) راجع - ودي ج ٢ ص ٥٢ .

٢ ) الطبري ج ١ ، ٢٢٥١ ( ٣ ) الطبري ج ١ ص ٤٦ ٢٢٤٦

(٤) الدمبري حياة الحيوان ج ١ ص ٦٢ ، ابن خيس ج ٢ ص ٢٢٥

لاجتماع الامة بعد التفرقة على خليفة واحد ، وذلك حين بايع له الحسن بعد مقتل ابيه بالخلافة . وكان قد ارسل معاوية بصحيفة بيضاء للحسن محتوم على اسفلها وكتب اليه ان اشترط في هذه فما اشترطت فهو لك .<sup>(١)</sup> ثم اعترف العرب عموما بمعاوية خليفة للمسلمين



## الفصل الثاني

### مأساة الحسين



العوامل لتعطيم العرسه الاموى في السام بعد وفاة معاوية ،  
الحزب العلوى ومأساة الحسين بن على ، لمن يزيد ، وفاة معاوية ،  
مراسم الدفن ، يزيد الشير ، مؤامرات الحزب العلوى في الكوفة ،  
رسائل الكوفيين للحسين بن على ، رسائل الحسين للكوفيين . مسلم  
بن عقيل في الكوفة ، اجتماع الشيعه بحضرته ، ضعف النعمان بن  
بشير والى الكوفة ، ولاديه عبيد الله بن زياد للعراق . اسباب نجاته  
في قمع الثورة ، فاجعة مسلم وهانى بن عروة المرادى ، الحسين في  
العراق ، واقعة كربلاء ، اسباب سقوط الحسين ، تألم يزيد لقتل الحسين ،  
رثاء الحسين ، الشهاديل الفرديه في مأساة الحسين .



عزم معاوية بن ابي سفيان عزما اكيدا طيلة ايامه على استئصال شأفة  
المعارضين للمركزية الاموية فبذل الاموال ووهب المناصب وجيش الجيوش  
ونظم فرق العيون والارصاد والشرطة في طول البلاد وعرضها، وقطع السنة  
الناس والشعراء بكرمه وحلمه ودهائه وبما صرفه من الجهود القوية في سبيل  
استرضاء الناس والتودد اليهم والتعجب الى زعمائهم . فتوفق في البلوغ الى  
غايته بعض التوفيق اذ سكنت الاحزاب الى حكمه ورضخت لعدله . لكن  
كان هنالك عوامل حمة تعمل في الخفاء لتحطيم عرش الامويين في الشام  
بعد وفاة معاوية الاول . فالعامل الأول في عرفنا هو قيام الحزب العلوي برئاسة  
الحسين بن علي بن ابي طالب لاسترجاع ما فقدته من السلطة في مؤتمر اذرح  
ونشاطه الى ذلك نشاطا عظيما . واما العامل الثاني فهو طمع الزعماء من  
الصحابة الى التغلب والسيطرة كعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب  
وغيرهما . واما العامل الثالث فهو فترة الحجاز بين والعراقيين من الامويين  
لاحتكاكهم اعمال الدولة ومهام الامور فيها . فلم تكن للحجازي والعراقي يد  
فعالة في تسيير دفة الاحكام كما كان للشامي ، ولا ريب ان انتمال العاصمة  
من المدينة الى دمشق جعل زمام الامور بطبيعة الحال تحت سيطرة النبلاء العرب  
الشاميين . ثم ان التجاء الزعماء الحجازيين الى العراق وبشهم الدعوة ضد بني

امية حرك في صدور ابناء الرافدين اسباب القتل التي ادت الى المذابح  
 الشائنة والحروب الاهلية بين ابناء الوطن الواحد ، قتل الشامي بالعراقي  
 واعمل العراقي السيف بالشامي . واذا تتبعنا مصدر هذه القتل لتحققنا ان  
 محركها الاكبر هو استثمار الزعماء والاحزاب للعاطفات الدينية في سبيل الوصول  
 الى غاياتهم السياسية كما سيتبين معنا . واما العامل الرابع فهو قيام رجل من  
 ولادة الامويين الذين لجأوا الى البطش وسياسة الدم والحديد فنجحوا نجاحا باهرا  
 في توطيد الامن وتهديم الثورات — موقتاً — ولكن لم يكفد كابوسهم يرتفع عن  
 الصدور حتى قذفت تلك الصدور نيرانا وحمماً .

### الزب العلوي ، وأساة الحسين بن علي

اعتلى عرش بني امية في دمشق بعد وفاة معاوية ابو خالد بن يدين معاوية  
 وكان ذلك سنة ستين للهجرة ( ٦٧٩ م ) . وهو شاب يلعبه معظم المؤرخين  
 فيتعرضون له بالسب والشتيمة والتكفير . وهم حسبما رايت فنتان . فئة تقيم  
 عليه التكبير لان في ايامه قتل الحسين بن علي سليل العترة النبوية وحفيد  
 الشجرة الهاشمية . ولانه امر بفرض الكعبة حينما التجأ اليها ابن الزبير في ثورته  
 المشهورة فاجترأ على اكبر مؤسسة اسلامية يحج اليها المسلمون . وفئة تصب  
 جام غضبها عليه لسوء سيرته الشخصية وتمتعه بلاذ الحياة الدنيا فتقول انه

تعاطى كؤوس الراح ولبس الحرير ولاعب الحيوانات الاليفة كالقردة ،  
 واستهوته اسباب المدنية البيزنطية فجذب في أثرها ، وروى الشعر وامترسل  
 في التشبيب والغزل . اما الفئة الاولى فهي مخطئة في اعتقادنا لانها ترجع  
 اسباب الحادثات الى الملوكة وترى انهم هم الذين يكونون مجارى التاريخ ،  
 وما التاريخ الا سلسلة حركات متصلة لا بد ان تعمل عملها سواء اكن يزيد  
 مستوليا على العرش ام غير يزيد . وستفصل لك الاسباب التي دعت الى مأساة  
 الحسين تفصيلا مسهبا يريك ان لكل حادث سببا ، وان لكل سبب نتيجة  
 هي مرهونة بأوقاتها ، وان اللعنة التي بلغها المسلمون ليزيد هي ليست من  
الاهمية على شيء في نظر التاريخ العلمي الذي يستبصر بنور الحياض الصحيح  
ويترفع عن الحزبية وتعصباتها .

واما الفئة الثانية فليس لها ان تحكم على شاب ربي في محيط شامي يختلف  
 تمام الاختلاف عن المحيط الحجازي الذي عاش في كنفه الخلقاء الراشدون .  
 فالمحيط الحجازي هو مركز الزهد والتقشف والتسك برباطة الدين وتعاليمه  
 بينا دمشق هي عاصمة البيزنطيين الشامية وفيها من اسباب مدينتها مادهاش  
 العرب وجعلهم مع الزمن ينسجون على منوالها ويقتبسون فوائدها . ومما لا ريب

فيه ان المؤرخين يرتكبون خطأ فاحشاً اذا جعلوا مقياس حكمهم على يزيد هو المقياس الذي يقيسون به اعمال عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة مثلاً. وان لكل زمن مقياساً فلا يمكنك البتة ان تحكم على ابن القرن الثاني وتزن اعماله بميزان ابن القرن الاول ناهيك ايضاً باختلاف الامكنة ومؤثراتها. فالشام هو غير الحجاز والحجاز هو غير العراق وفس على ذلك .

اعلن الضحاك بن قيس الوزير الاول في الدولة الاموية اذ ذلك وفاة معاوية فصعد منبر المسجد الجامع ومعه اكفان الخليفة الحليم وقال « ايها الناس ان معاوية بن ابي سفيان كان تباداً من عباد الله ، ملكه على عباده فعاش بقدر ومات بأجل ، وهذه اكفانه كما ترون ، نحن مدرجوه فيها ، ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين ربه فمن أحب منكم ان يشهد جنازته فليحضر بعد صلاة الظهر » الدينوري ص ٢٤٠ « بمثل هذه الكلمات الموجزة البلوية ودر الضحاك معاوية وواراه الناس في مرقد الاخير . ولدى البحث والتدقيق وجد ان هذه الخطبة هي شبيهة كل الشبه برسالة بعث بها يزيد الاول الذي تسنمه عرش الخلافة الى الوليد بن عتبة والي المدينة يخبره بوفاته اية فيقول « بسم الله الرحمن الرحيم ، من يزيد امير المؤمنين الى الوليد بن عتبة ، اما بعد فان معاوية كان عبداً



من عباد الله كرمه الله وأستخلفه وخوله وممكن له فعاش بقدرومات بأجل فرحمه الله  
 فقد عاش محموداً ومات برأ تقياً والسلام. الطبري *Series 2. Volume 1*  
 لناشره *M. J. De Gooze* ص ٢١٦ « مما يؤيد لنا أن الرسالتين  
 صدرتا من دائرة مخصوصة في بلاط يزيد لها لون واحد وروح واحدة. ولعلمها  
 - ونحن هنا نتكهن - للضحك نفسه .

يتأكد طالب التاريخ لدى دراسته احوال يزيد انه كان يميل الى  
 الشدة في تثبيت دعائم ملكه ، فلم يتوان ولم يكسل ولم يعرض النظر عن الزعماء  
 الذين ارادوا الوثوب به والتنكيل بحزبه، فأرسل الى الولاة في الاطراف يطلب  
 منهم البيعة له دون ابطاء ولا مماطلة . ثبت لنا رأينا هذا رسالته الى الوليد  
بن عتيبة حاكم المدينة فهو يأمره بها ان لا يتساهل البتة مع الحسين بن علي  
 وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وان يكون لهم بالمرصاد اذا ارادوا العصيان  
 والثورة . ويروي لنا الطبري نص الرسالة كما يأتي: « . . . اما بعد فخذ حسيناً  
 وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى  
 يبايعوا والسلام *Series 2. Volume 1* ص ٢١٦ - ٢١٧ . وكان هؤلاء النفر  
 قد ابوا على معاوية الاجابة الى بيعة يزيد حين دعا الناس الى بيعته وانه ولي  
 عهد من بعده . ورأى مروان بن الحكم رأي يزيد في الشدة والحزم حتى

لا يطمع طامع في بني أمية فأشار على الوليد بن عتبة في المدينة قائلاً « أرى أن  
تبعث إلى هؤلاء... فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فإن فعلوا  
قبلت منهم وكسفت عنهم وإن أبوا قدمتهم فضربت اعناقهم قبل أن يعلموا  
بموت معاوية فأنهم ان علموا بموت معاوية وثب كل امرئ منهم في جانب  
واظهر الخلاف والمنازعة ودعا إلى نفسه... أما ابن عمر فإني لا أراه يرى  
القتال ولا يجب أن يولى على الناس إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عقوفاً  
الطبري ص ٢١٧ / ٧١ S » وقد أكد مروان بن الحكم للوليد بن عتبة  
ضرورة استعمال الشدة مع الزعماء الذين لا يظهرون بيعتهم علناً حتى أنه دعاه  
إلى الفتك بالحسين حينما أبى مبايعة يزيد وأجاب «... فان مثلي لا يعطي  
بيعته سراً ولا أراك تجتزي بها مني سراً دون أن تظهرها على رؤوس الناس  
علانية... فاذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس  
فكان أمراً واحداً. الطبري ص ٢١٨ / ٧١ S، الفخري ص ١٠٨-١٠٩ »  
وعد مروان بن الحكم هذا الجواب دليلاً على المماثلة والتبرم من الخضوع  
والاعتراف لبني أمية بالخلافة، لاسيما وأن الحسين لم يأت دار الإمارة في المدينة  
الإمامة، واليه وأهل بيته، ويرى لنا الطبري أنه قال لأصحابه لما انتهى  
إلى باب الوليد « إني داخل فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فافتحموا علي

باجعكم والا فلا تبرحوا حتى اخرج اليكم الطبري ص ٣١٨ / ٧٢٠ ٥٠٢  
وهذا يبرهن لنا جلياً ان جبل الثقة كان قد اتقطع بين الطرفين وتنص  
التصريحات التي ادلى بها الجانبان نصاً صريحاً على ان الفتنة آتية لا ريب فيها  
وان كلاً من الحزبين قد أخذ يعددته ليناجز صاحبه الواقعة وان الكلمة  
النهائية هي ليست للمفاوضات بل للسيف. ولما جن الوليد امام الحسين ولم يجبره  
على البيعة وترك امامه السبل آمنة مطمئنة قاله مروان قوله المشهور ( والله لئن  
فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها ابداً حتى تكثر القتلى بينكم  
و بينه . احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع او تضرب عنقه . الطبري  
ص ٢١٨ / ٧٢٠ ) وكان ضعف الوليد في عرف يزيد مدعاة لعزله  
عن منصبه .

ابى الحسين البيعة ليزيد فجمع أهل بيته وشيعته وانطلق الى مكة فاختلف  
الناس اليه والتفوا حوله حلقات حلقات واحتفلوا به وانتصروا له فكثرت  
رجاله وانتشرت دعوته بينهم وقد اتصل هناك برسلك الكوفيين من الشيعة  
الغاضبين على يزيد فشجعوه على القدوم اليهم لينادوا به اميراً للمؤمنين بدلا  
من يزيد بن معاوية المعتصب لعرش ابيه علي بن ابي طالب ابن عم الرسول .  
حملت الاخبار وفاة معاوية فنشط الحزب الشيعي في الكوفة وانشأ يدبر

الموأمرات ويهيء الوسائل الفعالة لاسترجاع عرش الخلافة الى اصحابه الشرعيين . فعدوا الاجتماعات في بيت الكبر زعمائهم سليمان بن صرد . واندفعوا اندفاعا كلياً في القاء الخطب الحماسية التي تظهر مساويء الحسك الأموي وفضائحه ودسائسه فاعتلى سليمان مرةً منصة الخطابة وافتتح احدى جلساتهم بقوله: ( ان معاوية قد هلك وان حسيناً قد تقبض على القوم ببيعتهم وقد خرج الى مكة وانتم شيعته وشيعة ابيه فان كنتم تعلمون انكم ناصروه ومجاهدوه عدوه فاكتبوا اليه وان خفتم الوهل والقشل فلا تغفروا الرجل من نفسه ص ٢٣٣ الطبري S ٧١ ) فلجاب القوم والحماس آخذة منهم مأخذة « لا بل تقاتل عدوه وتقتل انفسنا دينه الطبري ص ٤٣٣ S ٧١ » . وعمدوا الى كتابة الرسائل الواحدة اثر الاخرى وكلها توثق للحسين طاعتهم واخلاصهم وتفانيهم في الدفاع عنه والذود عن حرمة . واني مورد لك بعض هذه الوثائق لتلمس بيديك شيئاً من حماس القوم وتهاولهم - ولو عن بعد - في نصرته ومحبته :

الرسالة الاولى : - بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر



وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة . سلام عليك فانا نحمد  
 اليك الله الذي لا اله الا هو . اما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار  
 العنيد . . . انتزى على هذه الامه فابتزها امرها واغتصبها فيها وتامر عليها  
 بغير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين  
 جبارتها واغنياها فبعداً له كما بعدت ثمود . انه ليس علينا امام فأقبل لعل  
 الله يجمعنا بك على الحق . والنعمان بن بشير — الوالي — في قصر الامارة  
 لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه الى عيد ، ولو بلغنا انك قد اقبلت الينا  
 أخرجناه حتى نلحقه بالشام ان شاء الله ، والسلام ورحمة الله عليك الطبري

« S ٢٧ / ص ٢٣٤ »

### الرسالة الثانية : بسم الله الرحمن الرحيم

لحسين بن علي ، من شيعته من المؤمنين والمسلمين اما بعد فخيء هلاً فان  
 الناس ينتظرونك ولا رأي لهم في غيرك فالعجل العجل والسلام عليك  
 الطبري / S ٢٧ ص ٢٣٤ »

### الرسالة الثالثة : . . . اما بعد فقد اخضر الجنب واينعت الثمار

وطمت الجمام فاقدم على جندك مجند والسلام عليك الطبري / S ٢٧

ص ٢٣٥ »

فترى مما تقدم ان الكوفيين قد حبسوا انفسهم عليه واسرفوا في ذلك اسرافاً شديداً وغلوا في انتصارهم للحسين غلواً عظيماً حتى ليقول الدينوري صاحب الاخبار الطوال انه « ورد اليه خمسون كتاباً من اشرف الكوفة ورؤسائها ، كل كتاب منها من الرجلين الثلاثة والاربعة وتتابعت عليه في ايام فلاً منها خرجين • الدينوري ص ٢٤٣ »

أمام هذه الجهود العظيمة التي بذها الكوفيون في بث دعوته ، وتلك المواعيد الجميلة البذابة التي تواردت عليه في ايام قلائل ، لم ير الحسين رأياً اصوب من الالتحاق بهم فهد لذلك السبل فارسل مسلم بن عتيق بن ابي طائب وهو ثقته وطلب اليه المسير الى الكوفة لنشر الدعوة وتنظيم الحركة العلوية تنظيمياً يدعو الى النجاح واخذ البيعة وجمع الرجال والاموال . وبعث معه رسالة يدعوهم بها الى التكاتف والتعاقد وهي ترمي الى معرفة احوالهم تماماً قبل الاقدام على استلام مهام الزعامة فيهم . ووردت هذه الرسالة بنصوص عديدة لكنها لا تختلف في مطالبها الجوهرية واليك نصين منها يثبتان دعوانا :

**النص الاول :** بسم الله الرحمن الرحيم .

من الحسين بن علي الى من بلغه كستاني هذا من اوليائه وشيعته بالكوفة : سلام عليكم ، اما بعد فقد اتفني كستبكم وفهمت ما ذكرتم من محبتكم لتقدمي

وانا باعث اليكم باخي وابن عمي وثقتي من اهل بيتي مسلم بن عقيل ليعلم لي  
 كسنة امركم ، ويكتب الي بما يتبين له من اجتماعكم فان امركم علي ما اتتني  
 به كتبكم واخبرتني به رسلكم اسرعت القدوم عليكم ان شاء الله والسلام  
 الدينوري ص ٢٤٤ »

### النص الثاني : « بسم الله الرحمن الرحيم

من حسين بن علي الى الملاء من المؤمنين والمسلمين  
 اما بعد فن هانئا وسعيداً (هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله  
 الحنفي) قدما علي بكتبكم وكان آخر من قدم علي من رسلكم ، وقد فهمت  
 كل الذي اقتضصتم وذكرتم ومقالة جلسكم انه ليس علينا امام فاقبل لعل الله  
 ان يجمعنا بك على الهدى والحق ، وقد بعثت اليكم اخي وابن عمي وثقتي من  
 اهل بيتي وامرته ان يكتب الي بحالكم وامركم ورايكم فان كتب الي  
 انه قد اجمع رأي ملائكم وذوي الفضل والحجى على مثل ما قدمت علي به  
 رسلكم وقراءت في كتبكم ، اقدم عليكم وشيكا ان شاء الله فلعمري ما الامام  
 الا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات  
 الله والسلام . الطبري ٧٧ ص ٢٣٥ »

ثم رحل مسلم الى الكوفة فدعت اليه الشيعة وعقدوا اجتماعا في حضرته

تجلت في آيات التأثر والحاس والغضب للبيت العلوي . وقد افتتح جلستهم  
 مسلم فقرأ كتاب الحسين فبكوا خشوعا وحنانا لمقدمه . وتتابعت الخطب  
 من اشهر المتفوهين والبلغاء وكلها تؤيد الرسائل المتطرفة التي بعثوها للحسين  
 فزاد ايمان مسلم بالحركة العلوية لا سيما وقد رزت كلمات التضحية مرارا في اذنيه  
 فقام الزعيم عابس بن ابي شبيب يؤكد اخلاصه واستعداده للموت في سبيل  
 الدعوة فقال « . . . اما بعد فاني لا اخبرك عن الناس ولا اعلم ما في انفسهم .  
 وما اغرك منهم . والله احذثك عما انا موطن نفسي عليه ، والله لأجيبنكم ان  
 دعوتهم اول قاتلن معكم عدوكم اول اضر بن بسيفي دونكم حتى التقى الله ، لا اريد  
 بذلك الا ما عند الله الطبري / S 27 ص 238 » وايد حبيب بن مظاهر  
 القعسي وأي زميله عابس بن ابي شبيب فقال مخاطبا اياه « . . . رحمك الله  
 قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك . . . وانا والله الذي لا اله الا هو  
 على مثل ما هذا عليه »

والغريب ان النعمان بن بشير والي الكوفة لم يقتلع جرثومة التأمير على  
 الحكومة الاموية ولم يضرب زعماء العلويين بيد من حديد فيخفت اصواتهم  
 ويشل سواعدهم ، ولا ريب انه كان ضعيف الرأي في الحكم يميل ظاهرا  
 الى الحسين . يدلنا على ذلك قوله الى احد من يهوى هوى الامويين لما اخذ



يؤنبه ويتهمه بالضعف أو التضاعف في حفظ مصاحبة الدولة والاهتمام في سلامتها  
 ( ان اكون ضعيفاً وانا في طاعة الله أحب الي من ان اكون قوياً في معصية  
 الله ، وما كنت لأهتك سترأ ستره الله . الطبري / S 27 ص ٢٢٨ )  
 ولنا من خطبه في الكوفة برهان آخر على انه كان يرى الفتنة يقضى ولا بد  
 ان تشتعل ، وانه لن يهاجم القائمين بها قبل ان يهاجوه فجعل لانصارها قوة  
 وطيدة الاركان وبدأ فعالة في ترتيب الموامرة وتنظيمها على الاسس المتينة .  
 قل من خطاب له في المسجد الجامع « . . . أما بعد فاتقوا الله عباد الله  
 ولا تسارعوا الى الفتنة والفرقة فان فيهما يهلك الرجل وتسفك الدماء وتغصب  
 الاموال . اني لم اقاتل من لم يقاتلني ولا اثب على من لا يثب علي ولا اشاءكم  
 ولا اتحوش بكم ولا آخذ . . . بالظنة ولا التهمة ولسكنكم ان ابيدتم صفحتكم  
 لي ونسكتهم ببيعتمكم وخالقتهم امامكم فوالله الذي لا اله غيره لأضربنكم بسيفي  
 ما ثبت قائمه في يدي ولو لم يكن لي منكم مناصر . اما اني ارجو ان يكون  
 من يعرف الحق منكم اكثر ممن يرديه الباطل . الطبري / S 27 ص ٢٣٨ »  
 عزل يزيد الاول النعمان بن بشير لتهاونه وحبه العافية وعدم فتكه  
 بالتأميرين وولى مكانه عبيد الله بن زياد باشارة سرجون مولاه . وكان عبيد الله  
 والياً للبصرة اذ ذاك فضمت الحكومة اليه المصريين . وفوضت اليه السلطة

الواسعة وطلبت منه استعمال الشدة واتهام الناس على الظئنة واعدام من يرى في قلبه ضعفاً في طاعة الخليفة او الاشتراك في التدبير على المركزية الاموية وعبارة ثاوية فقد خولته سلامة الحاكم المطلق او الديكتاتور في العراق

## • Dictator

واني لا ميل الى الاعتقاد ان عبيد الله بن زياد نجح في مهمته وقضى على اركان الحزب العلوي لسبعين رئيسيين : الاول اتباعه سياسة الشدة والارهاب والاعدام لمجرد الظن والتهمة اعلان الاحكام العرفية من اقصى البصرة الى اقصى السكوفة واعتماده على القساة في تنفيذ خطته وانهازه القرص دون تردد ومراوغة ، فثبت دعائم الخلافة الاموية بعد ان كادت تميد في ارض العراق . ثم انه احسن كل الاحسان الى مريديه واتباعه فجعل منهم السنة شكر تسبيح بحمده ، ولولى من اطاعه نعمة الأمان على نفسه واهله ومقتنياته وأساء كل الأساءة الى عشائر الذين يرون خذل الامويين ووجوب التخلص منهم مبدأ قوياً فاستقامت له الامور واستقرت الاحوال ولنا من بعض فقرات تلاها في خطبه في البصرة والسكوفة ما يؤيد دعوانا وهالك اهمها :

قل في المسجد الجامع في البصرة • . . يا أهل البصرة ، اياكم والخلاف والارجاف فوالله الذي لا اله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خالف او ارجف

لاقتله ووليه ولاخذن الادنى بالاقصى والبري بالسقيم حتى تستقيموا وقد

اعذر من انذر الدينوري ص ٢٤٦ »

وقال في الكوفة « . يا أهل الكوفة ان امير المؤمنين قد ولاني  
مصركم وقسم فينكم وأمرني بانصاف مظلومكم والاحسان الى سامعكم  
ومطيعكم والشدة على عاصيكم ومريكم وانا منته في ذلك الى امره وانا  
لمطيعكم كالوالد الشفيق ، ولخالقكم كالسم النقيع ، فلا ييقن أحد منكم  
الا على نفسه . الدينوري ص ٢٢٧ »

وقال في الكوفة ايضاً « . . . ان امير المؤمنين أصلحه الله ، ولاني نغركم  
ومصركم وأمرني بانصاف مظلومكم واعطاء محرومكم وبالاحسان الى سامعكم  
ومطيعكم وبالشدة على مريكم وعاصيكم وانا متبع فيكم أمره ومنفذ فيكم عهده  
فانا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البر وسوطي وسيفي على من ترك امري وخالف .  
فليبق امرؤ على نفسه ، الصديق يني عنك لا الوعيد » ووجه خطابه الى  
عرفاء الناس فاستطرد قائلاً « اكتبوا لي الغرباء ومن فيكم من طلبه  
امير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية واهل الزيب الذين رأهم اختلاف  
والشقاق فمن كتبهم لنا فبرئ ومن لم يكتب لنا احداً فيضمن لنا مافي  
عرفته ان لا يخالفنا منهم مخالف ولا يبغي علينا منهم باغ فمن لم يفعل برئت

منه الذمة وحلال لنا ماله وسفك دمه ، وإما عريف وجد في عرافته من  
 بغية امير المؤمنين احد لم يرفعه الينا صلب على باب داره وألغيت تلك العرافة  
 من العطاء وسير الى موضع بيمان الزاره ( الزاره في البحرين وهو منفى )  
 الطبري ص ٢٤٢ / V § S « .

بطش عبید الله بن زياد في الكوفيين بطش الأسد بفريسته بعد أن  
 صدرت اليه ارادة يزيد العليا في دمشق بأن لا يكف عن محبذي روح الثورة  
والقوضى ابدأ وان يطلب مسلم بن عتيل طلب الخرزة حتى يظفر به فيقتله  
 او ينفيه لأنه داعية الحسين الأشد ( الدينوري ص ٢٤٥ ) ثم قضى قضاء  
 مبرما حينما بلغه ان في نية الحسين القدوم الى العراق ان يضع ابن زياد  
 « المناظر والمسالح وان يحترس على الظن ويأخذ على التهمة وان لا يقاتل  
 إلا من قاتله الطبري / V § S ٢٧١ «

واما السبب الثاني الذي يهد السبيل لنجاح ابن زياد في العراق فهو  
 بذله الاموال للأشراف من اهل الكوفة اقسهمهم — ومعظمهم قد تعاهدوا  
 واقسموا الايمان المفلظة على نصرة الحسين بن علي — فاستمال ودهم واستخلص  
 نصيحتهم واستولى على قلوبهم فصارت سيوفهم تضرب في جانبه بعد أن  
 كانت مشهورة عليه . ولما أحرق الخطر بعبید الله وحاصره الكوفيون بقيادة



مسلم — كما سيأتي معنا — كان أشرف الكوفة هم الساعد القوي في تشتيت  
 شملهم واللسان البليغ في تزيق جموعهم فقال كثير بن شهاب في الناس  
 « ايها الناس الحقوا بأهلكم ولا تعجلوا الشر ولا تعرضوا انفسكم للقتل فان  
 هذه جنود امير المؤمنين يزيد قد اقبلت ، وقد اعطى الله الأمير حرباً لئن  
 اتمتم على حربته ولم تنصرفوا من عشيتكم ان يحرم ذريتم العطاء ويفرق  
 مقاتلتكم في مغازي اهل الشام عن غير طمع ، وان يأخذ البرى بالسقيم ،  
 والشاهد بالغائب حتى لا يبقى له فيكم بقية من اهل المعصية الا اذاقها وبال  
 ماجرت ايديها الطبري ٧١ ٢٥٨ »

وقال غيره من الأشراف « يا أهل الكوفة اتقوا الله ولا تستعجلوا القمعة  
 ولا تشقوا عصا هذه الامة ، ولا توردوا على انفسكم خيول الشام فقد ذقتهم  
 وجرتهم شوكتهم . . . وكان الرجل من اهل الكوفة يأتي ابنه واخاه وابن  
 عمه فيقول انصرف فان الناس يكفونك وتجي المرأة الى ابنها وزوجها  
 واخيها فتتعلق به حتى يرجع ، فعلى مسلم العشاء في المسجد وما معه الا زهاء  
 ثلاثين رجلاً الدينوري ص ٢٥٢ — ٢٥٣ »

والترزديق الشاعر شهادة في الكوفيين تؤيد لنا طمع الاشراف بالدرهم  
 وعبادتهم للدينار واهتمامهم بمصالحهم قبل غيرها ، فسأله الحسين عن اموال

الناس في الكوفة فاجاب « قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء الطبري 1 V ٢٧٧ ص ،  
الدينوري ص ٢٥٨ ، »

والخلاصة ان الجماعات التي اقامت التكبير على بني أمية وراسلت الحسين  
وأكدت له اخلاصها وذرفت امام مسلم اعز دموعها هي الجماعات التي ابتاعها  
عبيد الله بالدرهم والدينار .

قدم مسلم الى الكوفة وامامه عدو ذو بأس شديد وحيلة واسعة فلا بد  
له اذن من تجنبه والدعوة سراً كي لا يفسد عليه أمره فتفشل مساعيه  
وتذهب ادراج الرياح . فالتجأ الى دار احد زعماء الشيعة المعروفين وهو هاني  
بن عمرو المرادي . فبث ابن زياد العيون لمعرفة مقر مسلم واستطلاع اخبار  
الجماعات الذين تابعوه ليقبض عليهم فيروي لنا الطبري انه « دعا مولى له  
فأعطاه ثلاثة آلاف رقال له اذهب حتى تسئل عن الرجل الذي يبايع له اهل  
الكوفة فأعلمه انك رجل من اهل حمص جئت لهذا الامر ، وهذا مال تدفعه  
اليه ليتقوى فلم يزل يتلطف ويرفق به حتى دل على شيخ من اهل الكوفة  
يلي البيعة فلقية فاخبره ..... فادخله اليه فاخذ منه المال وباراه ورجع  
الى عبيد الله فاخبره الطبري 1 V ٢٢٩ ص »

فطلب ابن زياد من هاني تسليم مسلم فابي عملاً بجرمة الشهامة العربية واعتذر قائلاً ( ما دعوته الي منزلي واسكنه جاء فطرح نفسه علي ) فشدد عليه وهدده فاجابه ( انا ادفع جاري وضيئي وانا حي صحيح اسمع وارى شديد الساعد كثير الاعران ٠٠٠٠ . والله لو لم اكن الا واحداً ليس لي ناصر لم ارفعه حتى اموت دونه ص ٢٥٢ ٠٠٠٠ . والله لو كان تحت قدمي مارفعتهما عنه الطبري ص ٧٢٣٠ ) فأمر به فحبس في جانب القصر .

تألم مسلم تألماً عميقاً لهذه المعاملة وتأثر تأثراً بليغاً فاندفع مع اصحابه و يقدرون باربعة آلاف ونادى بشعاره وقدم مقدمته وعي ميمنته وميسرته وسار في القلب وهاجم قصر عبيد الله بن زياد فكاو ينتصر لولا اشراف الكوفة الذين غرهم المال فأخذوا يرمونهم تارة ويمنونهم الخير تارة اخرى الى ان تسلل عنه جنده وظل شريداً طريداً لا مأوى يأوي اليه ولا قلب يعطف عليه سوى قلب امرأة عجوز فادخلته الى دارها لسكن ابناً لها وشي به فاحاطت الشرطة البيت وقبضت عليه بعد ان اعمل فيها سيفه ودافع دفاعاً مجيداً . اما وقد وقع مسلم وهاني في قبضة عبيد الله فما كان منه الا ان امر باعدامهما فأصعد مسلم الى اعلى القصر حيث ضربت عنقه والقيت جثته الى الناس واخذ هاني الى سوق الكوفة فصلب فيه . وهكذا ختم الفصل الاول من هذه المأساة .

فرثاها الشعراء ، وابلغما قرأت الايات المنسوبة الى عبد الرحمن بن

الزبيروهي :

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري \* الى هاني في السوق وابن عقيل  
الى بطل قد هشم السيف أفته \* واخر يهوى من طار قتييل  
اصابهما ريب الزمان فاصبحا \* احاديث من يسمي بكل سبيل  
ترى جسداً قد غير الموت لونه \* ونضخ دم قد سال كل مسيل  
(الدينوري ص ٢٤٥ ، الطبري ٧٧٤ ص ٢٠٩ - ٢٧٠)

وثق مسلم كل الوثوق قبيل مقتله من الحزب العلوي في الكوفة اذ بايعه حسبما  
يروى لنا المؤرخون بين الاثني عشر القا والثمانية عشر القا فكتب الى الحسين  
يستحثه على القدوم وتلخص رسالته كما يلي ( ٠٠٠ اما بعد فان الزائد لا  
يكذب اهله ، وقد بايعني من اهل الكوفة ثمانية عشر القا فعجل حين يأتيك  
كتابي فان الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى ٠٠٠  
الطبري ٧٧٤ ص ١٦٤ ) فتحرك الحسين الى العراق ومعه خمسة واربعون  
فارسا ومائة راجل فنزل كربلاء فوجه اليه ابن زياد عمر بن سعد بن ابي  
وقاص في اربعة آلاف فارس ليصده وليأخذ ليزيد منه البيعة ، وجعل ولاية  
الري والديلم جائزة له كيلا يفتز عزمه ولا يتلكأ في المسير اليه . واتبعه



بالخصين بن عمير وشمير بن ذي الجوشن ليتغلبا على رأيه وعزيمته وليرى فيهما منافسين ينتظر ان الوئوب الى مقامه ان هو أهمل ماو كل اليه .

أصر- عمر بن سعد بن ابي وقاص على الحسين في البيعة ليزيد ، والنزول على حكم ابن زياد فابي فاشتعلت نار الواقعة بين الطرفين فلم يزل اصحاب الحسين يقتلون ويقتلون ويتنافسون في الذود عنه حتى فنوا عن بكرة ابيهم ولم يبق منهم احد . وبقي الحسين ينتظر منيته وكل يهاب قتل ابن بنت رسول الله الى ان اقدم شمير واحتز رأسه . ثم داست الخيل ظهره وصدره . والحقيقة التي لا غبار عليها ان اصحاب الحسين قاتلوا اعداءهم قتال المستميت واظهروا من ضروب الشجاعة ما يفوق الوصف . وقد قتل من اصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا سوى الجرحي .

اما الاسباب التي ادت الى سقوط الحسين فهي في عرفنا كياتي :

**السبب الاول :** هو اعتماد الحسين اعتماداً كلياً على الكوفيين

الذين اثبت التاريخ ترددهم وشقاقهم وعبئهم بحق ابيه واخيه من قبله . وعدم استعدادهم الاستعداد الحربي الكافي لطارد الجيش الاموي القليل العدد من العراق . فهم من الجماعات الذين يتهاونون في الحب والاخلاص - ولكن عن بعد وفي عالم النظريات - فلا يبذلون درهما واحداً في تهمة

خطة منظمة يسرون بحسبها ويجدون في تحقيتها . وكل ما لديهم من السلاح  
 خطب حماسية وكلام جذاب ودموع سخية يذرفونها حيناً يذكرون الآلهم  
 وبؤسهم وظلامتهم . ولنا من نصائح التلصين للحسين أكبر دليل على  
 ما قدمناه . قال احد اعمامه ينصحه : ( اني انشدك الله لما انصرفت فوالله  
 لا تقدم الا على الاسنة وحد السيوف فان هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا  
 كفؤك مؤونة القتال ووطنوا لك الاشياء فتقدمت عليهم كان ذلك رأياً ، الطبري  
 ٧ ص ٢٩٤ )

وقال عبدالله بن مطيع : ( اذا اتيت مكة فإياك ان تقرب الكوفة فانها بلدة  
 مشثومة بها قتل أبوك وخذل اخوك واعتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه فانك  
 سيد العرب لا يعذل بك والله أهل الحجاز احداً ، ويتداعى اليك الناس من  
 كل جانب . لا تقارق الحرم فدك عمي وخالي فوالله ان هلمكت لنسترقن  
 بعدك الطبري / ٧ ص ٢٣٢ ، الدينوري ص ٢٤٢ )

وقال عبدالله بن عباس وهو يؤكّد تنفيذ الامويين في العراق وضعف  
 أخلاق الكوفيين ويستشهد التاريخ على ذلك « أرجف الناس انك سائر  
 الى العراق فين لي ما أنت صانع .. أسير الى قوم قد قتلوا اميرهم وضبطوا  
 بلادهم وتقول عدوهم ، فان كانوا قد فعلوا ذلك فسر اليهم ، وان كانوا انما دعوك

اليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعمله تجبي بلادهم فانهم انما دعوك الى الحرب  
والقتال ولا آمن عليك ان بغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك وان يستنفروا  
إليك فيكونوا اشد الناس عليك، الطبري / ٧ S ٢٧٤ ص ٢٧٤

ولأبن عباس ايضاً في نصيحة الحسين « اني اتخوف عليك في هذا الوجه  
الهلاك والاستئصال . ان اهل . . . قوم غدر فلا تقر بهم . اقم بهذا البلد  
فانك سيد اهل الحجاز . فان كان . . . يريدونك فاكتب لهم فلينفوا عدوهم ،  
الطبري / ٧ S ٢٧٤ - ٢٧٥ »

وقال ابو سعيد الخدري يرجو الحسين ان لا يستسلم لأهل الكوفة :  
« ياأبا عبدالله . اني لكم ناصح واني عليكم مشفق ، وقد بلغني أنه كاتبكم  
قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك الى الخروج اليهم فلا تخرج فاني سمعت  
أباك بالكوفة يقول : والله لقد ملأهم وأبغضتهم وملوني وأبغضوني ، وما  
بلوت منهم وفاء ، ومن فاز بهم فاز بالسيهم الأخيبي ، والله ما لهم ثبات ولا  
عزم على امر ولا صبر على السيف ، ابن عساکر ج ٤ ص ٣٢٧ »

ويظهر ان لمعاوية رأى الجماعات الذين تقدمت اراؤهم في أهل الكوفة فعرف  
تخاذلهم واقسام بعضهم على بعض فقال ليزيد حين اوصاه : ( انظر الى حسين  
ابن علي بن فاطمة بنت رسول الله فإنه أحب الناس الى الناس فصل رحمه

وارفق به يصلح لك امره ، فان يكُ منه شيء فاني ارجو ان يكفيه الله بمن  
قتل اياه وخذل أخاه ( يعني بهم اهل الكوفة ) ج ٤ ص ٣٢٧ ابن عساكر )  
السبب الثاني : هو عدم اهتمام الحسين الاهتمام الكلي في تنظيم دعوته

*Propaganda* ونشرها بين الناس فظن ان القوم سيقدمون على بيعته  
ويتهاككون في نصرته لا تنسأه الى رسول الله . وقد فاته ان الحياة جهاد  
والقوي القوي فيها هو السباق الى اكتساب ولاء الناس اما يبذل الاموال  
لهم واشراكهم في بعض المطامع الدنيوية ، واما باسناد المناصب العالية لأشرافهم  
وزعمائهم كما فعل الامويون وقد نبهه أخوه محمد بن الحنفية فأوصاه بقوله :  
« تنحّ ببتعتك عن يزيد بن معاوية وعن الامصار ما استطعت ثم ابعث  
رسلك الى الناس فادعهم الى نفسك فان بايعوا لك حمدت الله على ذلك .  
وان اجمع الناس على غيرك لم يُنقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يذهب  
به مروءتك ولا فضلك . اني أخاف ان تدخل مصرأ من هذه الامصار وتأتي  
جماعة من الناس فيختلفون بينهم فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فتكون  
لأول الاسنة ، فاذا خير هذه الامة كلها تقسأ وأبأ وأماً أضيعها دماً واذلها  
اهلاً . فانزل مكة فان اطمانت بك الدار فسبيل ذلك ، وان نبت بك لاحتقت  
بالرمال وشعب الجبال وخرجت من بلدي الى بلدي حتى تنظر الى ما يصير امر



الناس ، وتعرف عند ذلك الرأي فانك أصوب ما يكون رأياً واحزمه عملاً حتى تستقبل الامور استقبالاً ، ولا تكون الامور عليك أبداً اشكل منها حين تستدبرها استدياراً ، الطبري S 271 ص ٢٢٠ - ٢٢١ «

ونوه عبدالرحمن بن الحارث بن هشام الى اهمية الدرهم والدينار وتأثيرها في النفوس فقال للحسين : ( قد بلغني انك تريد المسير الى العراق ، واني مشفق عليك من مسيرك . انك تأتي بلداً فيه عماله وامراؤه ومعهم بيوت الاموال وانما الناس عبيدٌ لهذا الدرهم والدينار ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت احب اليه ممن يقاتلك معه ، الطبري ص ٢٧٣ S 271 )

السبب الثالث : هو تخلي الحسين عن اليمن والحجاز وبها انصاره الحقيقيون وشيعة أبيه القوية المخلصه . وامتازت اليمن ببعدها عن مركز الخلافة ومناة حصونها وكثرة شعابها فكان بوسع الحسين ان ييث دعائه في الاقطار وهو آمن مطمئن فان فشل في حملته الاولى تلافى اغلظه في الحملة الثانية وهكذا كان بما كانه المطاوله ولديه الوقت الكافي لأثارة الخواطر ضد المعتصمين فذكر له ذلك ابن عباس فقال : « ٠٠٠ فان ابيت الا ان تخرج فسر الى اليمن فان بها حصوناً وشعاباً وهي ارضٌ عريضة طويلة ولأبيك بها شيعة وانت

عن الناس في عزلة فتكتب الى الناس وترسل وتبث دعواتك فاني ارجو ان  
يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية ، الطبري ٧١ ② ص ٢٨٥ ،  
الدينوري ٢٥٧ « .

**السبب الرابع :** هو تشجيع ابن الزبير للحسين من طرف خفي على الرحيل  
الى العراق كما يتحلض منه فانه استهوى الحجاز بين وتمسكت محبته من  
قلوبهم فما عادوا ليهتموا بابن الزبير أو يجتمعوا حوله ويستمعوا له والبرهان على  
ذلك انه لما نزل الحسين الى مكة أقبل اهلها يختلفون اليه مع جميع المعتمرين  
والحجاج من أهل الافاق ، فعلم حق العلم ان الحجازيين لا يبايعونه ولا يتابعونه  
في طلبه للخلافة والجهاد من أجلها مادام الحسين زعيما في البلد الحرام . فكان  
يرسل رسله له ليقنعه بان الكوفيين هم مادة حزبه ونسيج قوته ويظهر ان  
هذه الدعوى كان لها اثرها في نفس الحسين . ولطالما نشط ابن الزبير لئن  
يظهر بمظهر الخالص له خيفة ان يتهمه بالنفاق وخشية ان يفسد عليه تدبيره  
فصرح له مرة : ( اما لو كان لي بها ( العراق ) مثل شيعتك ماعدت بها...  
اما انك لو اقت بالمجاز ثم اردت هذا الامر هنا ماخولف عليك ان شاء الله  
الطبري ص ٢٧٤ ٧١ ② )

وقل له ايضاً : ( لو اقت بهذا الحرم وبثت رسلك في البلاد وكتبت

الى شيعتك بالعراق ان يقدموا عليك فاذا قري امرك قيت عمال يزيد عن هذا البلد ، وعليّ لك المسكاتمة والمأزرة ، وان عملت بمشورتي طلبت هذا الأمر بهذا الحرم فانه جمع أهل الافق ومورد أهل الاقطار ولم يُعدمك باذن الله ادراك ماتريد ورجوت ان تناله الدينوري ص ٢٥٦ - ٢٥٧ )

وكان المسور بن مخرمة يحذر الحسين من ابن الزبير ودعواه في تعاني الكوفيين في محبته فقال له: ( اياك ان تغتر بكتب أهل العراق ويقول ابن الزبير لك الحق بهم فانهم ناصروك . اياك ان تبرح الحرم ، فانهم ان كانت لهم بك حاجة فيسيضربون أباط الابل حتى يوافوك فتخرج في قوة وعدة ، ابن عساكر ج ٤ ص ٣٢٩ )

ولما ازمع الحسين على مبارحة الحجاز الى الكوفة تألم ابن عباس ، ذلك الدماغ المفكر وأنشد ابن الزبير الايات المشهورة الآتية:

يالك من قنبرة بمعمر      خلالك الجو فيضي واصفري  
وتتري ماشئت ان تنفري      « الطبري

٧٧ ص ٢٧٥ »

السبب الخامس : هو يقظة الامويين وارسالهم الاشداء من ولائهم الى المصريين فسد ابن زياد دون الحسين وشيعته المذاهب فنع الناس من الدخول

الى الحدود العراقية او الخروج منها الا باذن خاص واحتل احتلالاً عسكرياً  
 « ما بين واقصة الى طريق الشام وطريق البصرة » فضمن معرفة الصادر  
 والوارد من الدعاة معرفة طيبة . ووجه ابن زياد الجموع الكثيرة لقتال الحسين  
 وكان يحكى بالموت على كل من يتخلف أو يرتدع عن خوض المعركة فخافه  
 الناس وجهن لنزاله نحواً من اربعة آلاف، يديناً جنود الحسين وهم اهله واصدقاؤه  
 - لا يتجاوزون المائة فتأمل النسبة بين العددين. فهي كنسبة واحد الى اربعين  
 على وجه التقريب « الطبري ص ٢٨٥ / ٧٢٧ S »

**السبب السادس :** هو استيلاء الجيوش الاموية على القرات ومواضع الماء  
 في كر بلاء فتمعوا انصار الحسين من الدنو منها فكادوا يهلكون عطشاً . وكانت  
 اوامر ابن زياد شديدة بهذا الخصوص فطلب الى عمر بن سعد « ان امنع  
 الحسين واصحابه من الماء فلا ينوقوا منه حثوة » فبعث خمسمائة فارس نزلوا  
 على الشريعة وحالوا بين الحسين واصحابه وبين الماء . فيستنتج من ذلك  
 ان الموقع الحربي كان في قبضة الامويين دون العلويين وانه لا بد للحسين من  
 الهجوم اذا اراد الوصول الى الماء . وهذا يعني ضرورة التضحية ، وانت تعلم  
 قلة عدد جنوده وبؤسهم بعد رحلتهم الطويلة من الحجاز الى العراق . «الدينوري  
 ص ٢٦٦ الطبري ص ٣١٢ / ٧٢٧ S »



السبب السابع : هو ارتباب الحسين في حقه بالخلافة واعترافه اعترافاً صريحاً

ليزيد بامارة المؤمنين . وقوله لعمر بن سعد وشمز بن ذي الجوشن والحصين

بن نمير انه مستعد لمباعة يزيد في دمشق فيروي لنا الطبري : « لقي الحسين

الخيول بكر بلاء فنزل يناشدهم الله والاسلام وكان بعث « ابن زياد » اليه

عمر بن سعد وشمز بن ذي الجوشن وحصين بن نمير فناشدهم الحسين الله

والاسلام ان يسيره الى امير المؤمنين فيضع يده في يده فقالوا لا ، الا على

حكم ابن زياد . الطبري ٢٧٧ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ) .

كل ما اوردناه لك من الاسباب قضى على سقوط الحسين فكان مقتله يدعو الى التلم لمصابه خصوصاً حينما ناشد قادة ابن زياد ( الله والاسلام ) ان يسيره الى يزيد قريبه ونسيبه ونده بدلا من اجاره على السير الى رجل لا يعترف له بحكم وهو دونه بمراحل في الشرف والنبيل . وتميل الناس بطبعها الى نصرة الضعيف لا سيما اذا كان لهذا الضعيف صلة برسول الله كصلة الحسين بجده المصطفى . وحمل رأس الحسين الى ابن زياد فنصبه في الكوفة وطاف به في الاسواق وأرسله حالاً الى يزيد في الشام . فيروي لنا الكثيرون من المؤرخين انه بكى لمرآه وقال ( ويحكم قد كذبت ارضي من طاعتكم بدون قتل الحسين . لعن الله ابن مرجانة - ابن زياد - ، اما والله لو كنت صاحبه لعفوت

عنه . رحم الله ابا عبدالله . ابن قتيبة ج ٢ - ص ١٠ - ١١ ، الدينوري  
ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

ولم يتأخر ابن زياد عن احترام نساء الحسين فأجرى عليهن الرزق وأمر  
لهن بالنفقة والسكوة وبعثن الى دمشق فدخلن البلاط الاموي وبنات  
اعمامهن الامويات تستقبلهن باكيات فأثحت على صريع كربلاء . واقفن  
عليه المناحة والحداد ثلاثاً .

لا شك ان يزيداً لم يفكر البتة بقتل الحسين ولم يأمل ان تتطور المسئلة  
العلوية فتلب هذا الدور المهيّب ، ويقدم ابن زياد على الفتك به . لكنه  
خضع للنتائج التي لم يحسب لها مثل هذا الحساب فاستشهد قائلاً لما وضع  
رأس الحسين بين يديه :

يفلقن هاماً من رجل اعزة علينا وهم كانوا اعق وأظلماً

« الطبري ص ٢٨٢ S 2 V 1 » .

ومهما تحامل المتطرفون من المؤرخين على يزيد بقوهم انه أساء معاملة  
آل الحسين فلنا من شهادة السيدة سكيته ابنته ما يرد عليهم قوهم ويخفف  
من غلوائهم فقد قالت فيه : « مارأيت رجلاً كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية  
الطبري S 2 V 1 ص ٣٨١ » فانه كسام وارضى بهم وخرج معهم رسوله  
الى المدينة مقرّاً سكنام .

بكي المسلمون الحسين ولا يزالون يتألمون لفاجمته . وتعقد الشيعة في العاشر من محرم ( ذكرى مقتله الواقع في ١٠ محرم سنة ٦١ هـ ، ٦٨٠ م ) الاجتماعات المؤثرة فتراهم يضربون صدورهم بأيديهم ويشجون رؤوسهم بالحديد فيهلك بعضهم ولعل العلم يصددهم في المستقبل عن مثل هذه العادة فيحولون مجرى احزانهم الى فعل الخير والاحسان وبث القضيحة بين ابنائهم وبناتهم . وابلغ ما قرأت من المرثي في الحسين مرثاة لزينب ابنة فاطمة اخته حين مرت به صريعاً فنادت : « يا محمداه ، يا محمداه ، صلي عليك ملائكة السماء ، هذا حسين بالعراب مرمل بالدماء مقطوع الاعضاء ، يا محمداه وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفي عليها الصبا ص ٣٨٠ الطبري ٧ / ١٤٩ » وبكته زوجته عائكة بنت زيد بقولها :

وحسيناً فلا نسيت حسيناً      أقصدته أسنة الاعداء .  
غادروه بكر بلاء صريعاً      لاسقى الغيث بعده كربلاء .  
« معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥٠ »

ولا يتوهم بعض القراء ان العداء الشخصي كان متأصلاً بين زيد والحسين كما يدعي البعض ، فوفد الاخير على معاوية ، وكان جندياً في الجيش الذي توجه لغزو القسطنطينية بامرة زيد .

هذا ما نظمه الحقيقة من امر هذه المأساة ولا تغرنك التهاويل والمبالغات  
التي يدعى بها البعض فهي خلو من البراهين الثابتة .





## الفصل الثالث

### الحركة النيبيرية

الاسباب التي ساعدت ابن الزبير على النجاح: (١) فاجعة كربلاء ومقتل الحسين، (٢) الصحابة لوتنازع ابن الزبير، عبد الله بن عمر يسمى المسلم، (٣) ضعف الحامية الاموية وتعدد الولاة في الحجاز (٤) فقر الحجازيين واغتناب الامويين لاهل كهم وارضيلهم، معاوية يسمى موضعهم لهم، يزيد يغمرهم ببطايا، ثورة المدينة، حملة مسلم بن عقبة المري، استعراض الجيوش الاموية في الشام قبل خروجها لثورة المربنة، معركة الحرة، براعة مسلم التريبية، وفاة مسلم، الخصم بن نمر، هرو السكبة، من المسؤول عن هرو السكبة، وفاة يزيد الاول، مؤتمر الوطاح، (٥) تحاذل الامويين من اجل العرش، معاوية الثاني، معاوية الثاني ضعيف، قرى، الاهزاب النيبيرية، تنسب في الشام، مؤتمر الجابية. سردانه بن الحكم الخليفة في دمشق، اسباب انتخابه من الامم خالد بن يزيد معاوية الحو الصرعى، معركة مرج راهط

انكسار ابن الزبير في فلسطين، مروان بن معاوية، مقتل مروان بن الحكم.  
 (٦) الحركة التوابية، حزب التوابين في الكوفة يطلب الثأر للحمين بن  
 علي، اجتماع التوابين في دار سليمان بن مروان في الكوفة، خطبهم،  
 اسباب نجاحهم، اسباب اخذ الهمم، معركة عين الوردة، انكسار التوابين،  
 وصايا سليمان بن مروان للتوابين قبل نشوب المعركة (٧) الازرق في الخوارج  
 بساعدون بن الزبير، مبادئ الازرق في الازرق في الاهواز والبصرة، ابن  
 الزبير يناقشهم في مبادئهم، يتخلون عنه، المهلب بن ابي صفرة يقاتلهم،  
 يتناغلون ابن الزبير في السامرة العراقية: الفارسية (٨) الحركة المختارية تنشط  
 ابن الزبير، مطامع المختار السبابة، حياة المختار السبابة، اسباب نجاحه في  
 حورث، الاغموط التي ارتكبها المختار دانت الى سقوطه، معركة بنات نلى  
 ومعركة الخزاز، انتصار مختار على الامويين، المختار وابن الزبير،  
 معركة الخزاز ومعركة مروان، المختار يحاصر في قصره اربعة اشهر.  
 مصعب بن الزبير يتغلب عليه.

كان للزعماء من الصحابة مطامع سياسية عظيمة فعمل اكابرهم على بذل الاموال والارواح في سبيل الوصول اليها . ولم يتوان ابن الزبير في السعي وراء تسلم عرش الخلافة خصوصاً بعد وفاة معاوية بن ابي سفيان . لكن أنى له النجاح وقد تطلب الزعامة ابن بنت الرسول والتف الناس حوله في الحجاز . اما الاسباب التي جعلته يلعب دوراً كبيراً في التاريخ الاموي وبظهور بمظهر الزعيم القوي الشكيمة فهي كما يأتي :

**السبب الاول :** فاجعة كربلاء ومقتل الحسين : أعلن عبد الله بن الزبير دعوته للناس وحمته في الخلافة بعد مقتل الحسين . وكان قبلاً لا يجراً على التصريح بطاها . فاستفاد من فاجعة كربلاء واخذ يحمل الحملات الخطائية الواحدة اثر الاخرى ضد بني امية ، فعرض بيزيد ووصف استهتاره وتمتعه بملاذ الحياة الدنيا . ثم رجع فبكى حسيناً واستبكى الناس عليه . وعدد مزاياه الشريفة فذكر ورعه وتقاه وشجاعته وفضله واحسانه . ولام اهل الكوفة وعاب عليهم غدرهم بالحسين ورياءهم ومحاسنهم الفارغ من اجل قضيته فآثر على الحجازيين خاصة وعلى الاحزاب المعارضة الغاضبة عامة ، فالتفوا حوله ورأوا به الزعيم القادر على ان يثار لندم الزكي المسفوك ظلاماً وعدواناً . فانت ترى ان الرجل الذي كان يشجع الحسين على الرحيل الى العراق ويمدح السكوفيين ويرفع ذكركم هو

تقس الزجل الذي كان يقف يومذاك على منابر مكة ليعرض بهمم ويغمز من قناتهم .  
وقد اثبت التاريخ لنا ايضاً ان ابن الزبير كان يكره الحسين و يضر له العداء .  
ويراه « اثقل خلق الله ، الطبري / V ٢٣٤ ص » فتجول كرهه  
للحسين الى حبه بعد وفاته ، ومد يده لـ الكوفيين الى ذمهم بعد خيانتهم . وكل  
هذا في سبيل تنفيذ ما ربه السياسية واليك البرهان على صحة دعوانا فقام  
يخطب في مكة بعد سماعه بمقتله :

( أبعده الحسين نظمتن الى هؤلاء القوم ونصدق قولهم وتقبل لهم عهداً ،  
الا ولا نراه لذلك اهلاً . اما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه ، كثيراً  
في النهار صيامه ، أحق بما هو فيه منهم وأولى به في الدين والفضل . أما  
والله ما كان يبذل بالقرآن الغناء ، ولا بالبكاء من خشية الله الخداء ، ولا بالصيام  
شرب الحرام ، ولا بالمجالس في جلق الذكر الرخص في تطلاب الصيد ) يعرض  
بيزید ) ، فسوف يلقون غيماً ، الطبري / V ٣٨٦ ص )

السبب الثاني : الصحابة لاتنازع ابن الزبير :

خلا الجولأبن الزبير بعد مقتل الحسين فلم ينازعه منازع من الصحابة  
ولا ابناء الصحابة . وقد كنا نأمل ان يقوم عبد الله بن عمر ويدعي الخلافة  
لنفسه فلم يفعل حباً بالسلام واطقاء للفتنة وحقنا لدماء المسلمين . ولا ريب ان



عبد الله كان يحن الى التربع في دستها لكنه فضل العافية والسلامة على القتال والهلاك، وسعى سعياً حثيثاً ليحمل ابن الزبير والحسين على جمع كلمة الامة بدلا من تفرقتها. وطلب اليهما مبايعة يزيد الاول فأبيا. ويذكر الطبري انه خاطبهما بقوله ( اتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين . . . وأقام أياماً فانتظر حتى جاءت البيعة من البلدان فتقدم الى الوليد بن عتبة فبايعه الطبري ص ٢١٣ ٧١ ص ٤٩ ).

وقد تألم لقتل الحسين فنوه حينما رآه وترحم عليه بما صرح به مراراً من وجوب الاتحاد والتعاقد والانتصار لرأي الجماعة فقال: ( غلبنا الحسين على الخروج ، ولعمري لقد رأى في ابيه واخيه عبرة ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له ان لا يتحرك ما عاش وان يدخل في صالح ما دخل فيه الناس فان الجماعة خير، ابن عساكر ج ٤ ص ٢٢٨ )

### السبب الثالث : ضعف الحامية الاموية وتعدد الولاة في الحجاز :

وساعد بن الزبير على نشر دعوته ضعف الحامية الاموية في الحجاز وتعدد الولاة الذين تقبلوا في ادارته لأمد قصير . فلم يتح لهم الحظ درس الاحوال الحجازية درساً دقيقاً . وكان بعضهم ضعفاء الارادة لم يجربهم الدهر ولم تحنكهم الايام فارتكبوا اغلاطاً فادحة كبدت الامويين كثيراً من الدماء . نستنتج هذا من دفاع عمرو بن سعيد امير الحجاز عن نفسه يوم اتهم بسوء

الادارة ، قال : « ان جل اهل مكة واهل المدينة قد كانوا مالوا اليه - ابن الزبير - وحووه واعطوه الرضا ودعا بعضهم بعضاً سرّاً وعلانية ، ولم يكن معي جند أقوى بهم عليه لو ناهضته . وقد كان يحذرنى ويتحز منى . وكنتم ارفق به واداريه لاستمكر منه فأثب عليه . مع اني قد ضيقت عليه ومنعته في امهيا . كثيرة لو تركته واياها ماكانت له الامعونة ، وجعلت على مكة وطرقها وشعابها رجالا لا يدعون احداً يدخلها حتى يكتبوا الي باسمه واسم ابيه ومن اي بلاد الله هو ، وما جاء به وما يريد ، فان كان من اصحابه او ممن ارى انه يريد رددته صاغراً . وان كان ممن لا اهتم اخليت مديله ، الطبري / ٧ ص ٤٠١ )

ويصف الطبري احد الولاة وهو عثمان بن محمد بن ابي سفيان بقوله : « فقدم فتى غرٌ حدثٌ غمرٌ لم يجرب الامور ولم يحنكه السن ولم تضرسه التجارب وكان لا يكاد ينظر في شي من سلطانه ولا عمله ، الطبري / ٧ ص ٤٠٢ ،

**السبب الرابع :** فقر الحجازيين . واغتصاب الامويين لأملا كهم وارا ضيهم :

لاريب ان لاقتصاديات الامة الشأن الاكبر في مجاري حياتها السياسية فان كانت المشاريع التجارية والزراعية والمعدنية وغيرها سائرة سيراً حسناً بضمن لأهلها ربحاً جزئياً تظل تلك الامة ناعمة البال قريرة العين لا تفكر في الثورة ولا في العصيان . ولو درسنا طبيعة الوسط الحجازي لو جدناها فقيرة قاحلة

الا فيما ينتجه نخيلها من التمور التي يصدرونها للخارج فيعيشون عليها . وكان معاوية يسعى لأضعاف الحجاز وتقوية الشام فلم يبذل للحجازيين في العطاء فأجبروا على بيع املاكهم فاشتراها منهم بالبخس الاثمان . فلما قام ابن الزبير عاضده آملين ان ينصفهم ويرد عليهم اموالهم واملاكهم . اما قلب الثورة الخلفاء وعصبة النابض فسكانت المدينة ويقص علينا ابن قتيبة كيفية تألمهم من اغتصاب معاوية لاموالهم فيقول : « . . . وأقبل ابن ميثاء - قيم املاك معاوية - بسراح له من الحرّة يريد الاموال التي كانت لمعاوية فمنع منها وازاحه اهل المدينة عنها ، وكانت اموالاً اكتسبها معاوية ونخيلاً يجمد منها مائة الف وسقي وستين الفاً . ودخل نقر من قریش والانصار على عثمان بن محمد - والي المدينة - فكاموه فيها فقالوا قد علمت ان هذه الاموال كلها لنا وان معاوية آثر علينا في عطائنا . ولم يعطنا قط دهما فما فوقه حتى مضى الزمان وناالتنا المجاعة فاشتراها منا بجزء من مائة من ثمنها فاغلظ لهم عثمان في القول واغلظوا له . فقال لهم لا كسبن الى امير المؤمنين بسوء رأيكم وما اتم عليه من كمون الاضغان القديمة والاحقاد التي لم تزل في صدوركم فافترقوا على موجدة . ثم اجتمع رأيهم على منع ابن ميثاء القيم عليها ، ابن قتيبة ج ١ ص ٣٢٥ »

اغتنصب معاوية اهل المدينة وضيق على الحجازيين الخلفاء وضربهم

في ضمير اقتصادياتهم كي لا تقرم لهم قائمة . اما يزيد فجزى على عكس سياسة  
 ابيه فغمرهم بعطاياه واكرم زعماءهم واحسن الى فقرائهم ووعدهم باجراء العطاء  
 عليهم مضاعفاً انهم اخلدوا الى السكينة وارتاحوا الى الحكم الاموي . ولم يكن  
 لابن الزبير تجاه هذه المواعيد الا ان يسرف الاسراف الكبي في ذم يزيد  
 وانتقاده الانتقاد المرير . ومع ان الخليفة في دمشق اكرم وفادة الوفود  
 الحجازية فهو لم يظهر امامهم بمظهر الرجل المتحفظ في سلوكه الخاص وآدابه  
 الشخصية فشرب الخمر وعزف بالطنابير وجالس القيان والفتيان وراح يلهو  
 متنعماً لا يعبأ بالتقاليد التي سنها القوم فغضبوا وقالوا هو ذا رجل يحطم تعاليمنا  
 ويقوض اركان ديننا . وانتشرت الدعوة ضد الامويين المعتصبين لاموال  
 الامة المعرضين عن الكتاب الكريم والسنة الشريفة والشريعة المطهرة  
 السمحاء . وهالك الدليل على سياسة الكرم التي امتاز بها يزيد ، واستهتاره  
 الذي وصفناه . قال ابن قتيبة : « فان اقرؤا بالطاعة ونزعوا من غيرهم فلهم علي  
 عهد الله وميثاقه ان لهم عطاءين في كل عام ، مالا افعله بأحد من الناس طول  
 حياتي ، عطاء في الشتاء وعطاء في الصيف . ولهم علي عهد ان اجعل الخنطة  
 عندهم كسعر الخنطة عندنا . . . . والعطاء الذي يذكرون انه احتبس عنهم  
 في زمان معاوية فهو علي ان اخرجه لهم وافراً كما بلا ابن قتيبة ج ١ ص ٣٢٦ » .



وروى الطبري : « قدم وفدٌ من اهل المدينة فيهم عبدالله بن حنظلة الغسيل  
الانصاري ورجل كثير من اشرف المدينة على يزيد بن معاوية فاكرمهم واحسن  
اليهم واعظم جوائزهم . فلما قدم اولئك نفر الوفد المدينة قاموا فيهم فاطمروا  
شتم يزيد وقالوا انا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب ويعزف بالطنابير  
ويضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخراب والفتيان واذا  
نشهدكم انا فد خلعناه فتابعهم الناس ، الطبري / ٧ ص ٤٠٢ - ٤٠٣  
ثار اهل المدينة بقيادة عبد الله بن حنظلة الغسيل ووثبوا على الامويين  
واحزابهم فيها فاجبروا على الهرب والالتجاء الى دار مروان بن الحكم :  
- في ظاهر المدينة -- وهي حصينة متينة الاركان . واخذوا يرسلون الكتب  
الى يزيد يسألونه بها المعونة والامداد . فنرسلهم اليه : ( ٠٠٠ اما بعد  
فانا قد حصرنا في دار مروان بن الحكم ومنعنا العذب ورمينا بالحبوب فيها  
غوثاه يا غوثاه الطبري / ٧ ص ٤٠٦ »

فجيز اليهم يزيد جيشاً قوياً بقيادة مسلم بن عقبة المري ويقول عنه  
القنري « انه احد جبابرة العرب وشياطينهم القنري ص ١٠٨ - ١٠٩ .  
واسمات المحكومة الناس لقتال الحجازيين بما وهبته لهم من الاموال فنادى  
مناديها في الشام : ( سيروا الى الحجاز على أخذ اعطياتكم كلاً ومعونة مائة

دينار توضع في يد الرجل من ساعته فانتدب لذلك اثنا عشر الف رجل ،  
الطبري S 271 ص ٤٠٧ - ٤٠٨ ) ويقدر المؤرخون عدد هذا الجيش  
بأثنى عشر ألفاً .

استمرض يزيد الاول الجيوش الأموية في دمشق قبيل خروجها لاجناد  
الثورة في المدينة فأتى الى الخليل يتصفحها وينظر اليها وهو متقلد سيفاً ممتكب  
قوساً عربية . واخذت القرق تمر امامه ومعها راياتها . وكان واقفاً على نسر  
من الأرض يحيط به الحرس القرسان ، ( المسعودي ص ٣٠٤ ) . ولم يشأ  
يزيد الا ان يودع جنده قبل مبارحتها العاصمة بكلمات حماسية فوجه خطابه  
الى القائد العام وقل : « اذا قدمت الى المدينة فمن عاقتك عن دخولها أو نصب  
لك حرباً فالسيف السيف ، ولا تبقي عليهم وانتهبها ثلاثاً وأجز على جراحهم  
واقتل مدبرهم وأنشأ يردد :

بلغ ابا بكر « يعني ابن الزبير » اذا الامر انبرى

وانحطت الرايات من وادي القرى

أجمع سكران من القوم ترى

ام جمع يقظان نفى عنه الكرى « المسعودي ص ٣٠٥ » ،

الطبري S 271 ص ٤٠٦ »

ويروي القفري أنه استشهد بالبيت الآتي حينما بلغت ثورة المدينة :  
 لقد بدلوا الحلم الذي في سجيتي فبدلت قومي غلظه بليان  
 ص ١٠٨ - ١٠٩»

التقى الجيش الأموي بثوار المدينة في الحرّة وهو مكان بظاهر يثرب .  
 وقد استمتمل انصار ابن الغسيل واستأثروا في الدفاع عن حصونهم وامواظهم  
 واهلهم حتى كادوا يهزمون جيوش مسلم مراراً . فقام مسلم خطيباً يهز اوتار  
 قلوبهم ببلاغته ويحضهم على القتال واكتساب اجر الشهادة وجزاء امير المؤمنين .  
 والغريب انه كلما كانت تشد عليه خيول الاعداء تراه يغضب فتتردد على  
 لسانه كلمات الالهانة ايضاً شأن السكثيين من القواد العسكريين فهم  
 يمدحون ويذمور في آن واحد . قال من خطاب له مرة : يا اهل الشام انكم  
 لستم بافضل العرب في احسابها ولا انسابها ولا اكثرها عدداً ولا اوسعها  
 بلداً ، ولم يخضعكم الله بالذي خضعكم به من النصر على عدوكم وحسن المنزلة عند  
 أئمتكم الا بظاعتكم واستقامتكم .... فتموا على احسن ما كنتم عليه يتم الله  
 لَكُمْ احسن ما ينيلكم من النصر . . . انكم اهل البصيرة ودان الهجرة ،  
 والله ما اظن ربكم أصبح عن اهل بلد من بلدان المسلمين بأرض منه  
 عنكم . . . . ان اسكل امري منكم ميتة هو ميت بها . والله ما من ميتة

بأفضل من مية الشهادة وقد ساقها اليكم فاعتنموها، فوالله ما كل ما اردتموها  
 وجدتموها . ، الطبري S 2 V 1 ص ٤١٦ - ٤١٧ . « . وقال يؤنب  
 جيشه لما حمل عليه اهل المدينة حملات منكرة : « يا اهل الشام اهنا القتال  
 قتال قوم يريدون ان يدفعوا به عن دينهم و يعزوا به نصر امامهم ، ان قبح الله  
 قتالكم منذ اليوم ما اوجعه لقلبي وأغيطه لنفسي ، اما والله ما جزاؤكم عليه  
 الا ان تحرموا العطاء وان تجمروا في اقاصي الثغور . شدوا مع هذه الراية  
 ترح الله وجوهكم . . . الطبري S 2 V 1 ص ٤١٤ »

هزم مسلم الثوار و اباح المدينة ثلاثاً فأرهب القوم وجعل الرعب يسود  
 في قلوبهم . وقد قتل نحو من سبعمائة رجل من المهاجرين والانصار و ابنائهم  
 ومواليهم وخلفائهم . وعدد غير قليل من الاهلين بينهم النساء والاطفال وتقدره  
 بعضهم بعشرة آلاف (المسعودي ص ٣٠٥ - ٣٠٦) . وصالحهم على  
 انهم خول وقرن ليزيد بن معاوية يحكم في دماهم واموالهم واهليهم ماشاء .  
 (المسعودي S 2 V 1 ص ٣٠٥ - ٣٠٦ الطبري ص ٤٢٣)

انتصر مسلم لبراعته الخيرية فكان دائماً يسرع الى عدوه فيفاجئه  
 و يضربه في قلبه قبل ان يمكنه من الاستعداد وتهيئة الخطط . ويمجل معه  
 الوقعة الفاصلة حتى يصدمه الصدمة الاولى فيوهن قبواه المعنوية والمادية .



ثم كان له ادارة منظمة لمعرفة اخبار اعدائه ونشر الدعوة ضدها وتنوير الازهان  
 لما يريد بثه من الافكار والاراء التي ترتأها الحكومة لخيرها . واعتمد اعتماداً  
 تاماً على اهل الشام فكانوا مادة جنده القوية الخلصة ولم يستعن بالزعماء  
 القرشيين فقال مرة للحصين بن نمير السكوني نائبه في قيادة الجيش :  
 « لا تمكن قرشياً من اذنك . . ولا تردن اهل الشام عن عدوهم ،  
 الطبري S 2 V ص ٢٢٤ - ٢٢٥ »

تابعت الحملة سيرها الى مكة بعد اخضاع الثوار في المدينة وذلك لناجزة  
 ابن الزبير الواقعة . فتوفي مسلم بن عقبة في الطريق في ( قدا المشلل )  
 أو « ثنية هرشا » في آخر الحرم سنة ٥٦٤ هـ و « ٦٨٣ م » وكان شيخاً مريضاً فاستولى  
 الحصين بن نمير على قيادة الجند بعده ، ويلقبه المؤرخون ببرذعة الحمار . والتجأ  
 فلول اهل المدينة الى ابن الزبير لينصروا ويثأروا لدمهم المهدور . فشدت الحملة  
 عليه شدة منكرة فصارها وجالداً اربماً وستين يوماً ، وهو محصور ضمن  
 اسوار الكعبة . ويدعي السكثيرون من المؤرخين ان الامويين حرقوا البيت .  
 وفي هذا الادعاء شي كثير من الصحة اذ قذفوه بالجانيق . ولسكن لا يعرب  
 عن بالنائه كان للزبيريين نصيب طيب في احراق الكعبة فقال الطبري :  
 « كانوا - اشيع ابن الزبير - يوقدون حول الكعبة فاقبلت شررة

هبّت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق خشب البيت، الطبري  
 S 2 V1 ص ٤٢٧ «

وروى ما سمعه من المشاهدين العيانيين عن اسباب اشتعالها فقال : « قد  
 خلعت اليها - الى الكعبة - النار ورأيتها مجردة من الحرير . ورأيت الركن  
 قد اسود وانصدع في ثلاثة أمكنة فقلت ما اصاب الكعبة فاشاروا الى رجل  
 من اصحاب عبد الله بن الزبير قالوا هذا احترق بسببه ، اخذ قبساً في رأس  
 رمح له فطيرت الريح به، فضرب استار الكعبة ما بين الركن اليماني والاسود.  
 الطبري ١ / ٢٧ ص ٤٢٧ «

ووصف العقد الفريد الضرر الذي اصاب الكعبة فقال : « احترق  
 الخشب والسقف وانصدع الركن واحترقت الاستار وتساقطت الى الارض،  
 ج ٣ ص ١٢٤ . والحقيقة التي لامرية فيها ان ابن الزبير احب ان  
 يستفيد من حرمة الكعبة وقد استهيا فعاذ بها كما ان الامويين لم يتأخروا عن  
 احراقها في سبيل التخلص من عدوهم الجبار وان كان في ذلك اغضاب المسلمين .  
 فاعتنى ابن الزبير في التحصن بالكعبة كما يضع الامويين تجاه امر واقع  
 فيعملون فيها نيرانهم . ويكون له من ذلك سلاح يطعنهم به فتجح في خطته  
 التي دبرها نجاحاً باهراً .

بينما كان الامويون يحاصرون ابن الزبير ويضيقون عليه الخناق اذجات  
 الأخبار بوفاة يزيد في حواريين من اعمال حص ١٤ ربيع الاول سنة ٦٤ هـ و «٦٨٣ م» .  
 واختلاف الاحزاب الاموية فيما بينها من أجل العرش . فنشط ابن الزبير  
 اذ ذاك وجرب ان يفتح باب المفاوضات على مصراعيه آملا ان يجتذب  
 خصومه المحاربين الى حزبه فأفلح وكف القوم عن قتاله - بعد وفاة يزيد  
 باربعين يوماً - وسعى في عقد مؤتمر الابطاح . واليك وصف المحادثات  
 فيه ونتائجه .

كانت نقطة الخلاف والمشادة بين مندوبي الامويين والزبيريين في مؤتمر  
 الابطاح تنحصر فيما يلي : هل تكون الشام مركز الحركة الزبيرية ام الحجاز ؟  
 وهل يظل الشاميون أصحاب الدولة والسيطرة والسلطان اذا انتقل ابن الزبير  
 الى دمشق ونشر دعوته هناك ام لا ؟ تلك هي الاسئلة التي وجهها الحصين بن نمير  
 الى ابن الزبير فأبى الاخير الاجابة عليها والقبول بها لانه كان لا يثق بالشاميين  
 وفيهم ابناء يزيد وآل مروان ولأن الحجازيين ناصروه فكانوا جنده الأمين  
 ورجاله المخلصين ولذا لا يعدل بهم احداً . ولم ينصره أهل الحجاز الا لتكون  
 العاصمة عندهم فيستلمون زمام الامور ويديرون دفة الاحكام ويودعون القفر  
 الذي احاق بهم وكاد يقتضي عليهم . وقد شجع الحصين ابن الزبير على قبول

ارائه ووعده بأخذ البيعة له من وجوه أهل الشام في جيشه ان اتبع نصابه  
فرفض . وانا لنعقد ان ابن الزبير ارتكب غلطاً فادحاً في عدم ثقته بالحصين  
لان الامويين كانوا عازمين على بيعته لقيام القادة الشاميين في نصرته من  
اقصى فلسطين الى اقصى قنسرين كما سيأتي معنا . وهاك ملخص المفاوضات  
والاحاديث التي دارت بين الحصين وابن الزبير .

الحصين يخاطب ابن الزبير - ان يك هذا الرجل قد هلك فأنت احق  
الناس بهذا الامر . هلم فلنبايعك ثم اخرج معي الى الشام فان هذا الجند  
الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم فوالله لا يختلف عليك اثنان  
وتؤمن الناس وتمهر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك والتي كنت بيننا وبين  
أهل الحرّة .

ابن الزبير - أنا اهدر تلك الدماء اما والله لا ارضى ان اقتل بكل  
رجل منهم عشرة .

الحصين - قبح الله من يمدك بعد هذه داهياً قط أو اديباً . قد  
كنت اظن ان لك رأياً ، الا اراني اكلمك سرّاً وتكلمني جهراً وادعوك الى  
الخلافة وتعدني القتل والهلكة .

ابن الزبير - اما ان اسير الى الشام فلبت فاعلا واكره الخروج من



مكة ولسكن بايعوا لي هناك فاني مؤمنكم وعادل فيكم .

الحصين - أرأيت ان لم تقدم بنفسك ووجدت هنالك اناسا كثيراً

من أهل هذا البيت يطلبونها بجيهم الناس .

**السبب الخامس :** تخاذل الأمويين من أجل العرش .

لو اتيح ليزيد الأول ان يعمر لعامل ابن الزبير معاملة شديدة ولأرسل عليه الحملة تلو الحملة . يدلنا على هذا سياسة الأرهاب التي مافتى منذ ولايته اختلافه يسير بحسبها وكان من نتائجها فاجعة الحسين بن علي ، وقد اسهبنا في وصفها . فما قولك بان الزبير الذي اوصى معاوية ابنه باعدامه وهو على فراش الموت . قال معاوية : ( ان الذي يحتم لك جثوم الأسد ويراوغك رونغان الثلب فان امكنته فرصة وثب فذاك عبدالله بن الزبير فان فعل وظفرت به فقطعه ارباً ارباً الا ان يلتمس منك صلحاً فان فعل فاقبل منه واحقن دماء قومك بجهدك وكسف عاديهم بنوالك وتغمدهم بجملك ، الدينوري ( ص ٢٤٠ ) . ولسكن مات يزيد وهو في ريعان الشباب فعقبه على عرشه ابنه معاوية الثاني . وهو شاب ضعيف ربعة في الرجل يعتره صفار . غلب عليه الزهد والتشرف في الحياة . وكان من دعاة القدرية ويعتقد هؤلاء ان معاوية نازع علياً بغيز جقي وان ولاية يزيد للخلافة ليست صادقة فاعتزل

وأعلن في خطاب العرش ما يؤيد فلسفته هذه فقال : ( ان جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى به وأحق ، ثم تقلده أبي ، ولقد كان غير خليق به ، ولا احب ان القى الله عز وجل بتبعاتكم فشأنكم وأمركم ، ولوه من شتم ، ابن العبري مختصر الدول ص ١٩٠ - ١٩١ ) .

ويروي لنا الطبري انه قال : ( اما بعد فاني قد نظرت في امركم فضمعت عنه فابتغيت لكم رجلا مثل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه حين فزع اليه ابو بكر فلم أجده ، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر فلم أجدها فانتم أولى بأمركم فأختاروا له من أحببتم ، الطبري ٧ ص ٢٦١ ) . ويظهر ان الرجل كان عاجزاً عن القيام بالأمر ضعيف الارادة . استهواه عمر المقصود زعيم القدرية يومئذ فملك تعاليمه عليه له حتى أفقدته معنى الرجولة والبطولة في مكافحة الحياة . ولعل هذا ناتج عن كثرة ما حمل نفسه من انواع العبادة . ان تخلي معاوية الثاني عن عرشه وتصريحاته هذه آلمت الحزب الأموي فسعى لأغتياله ، وتضاربت الأقوال في كيفية وفاته فقال بعضهم انه دُس إليه فسقي سمّاً وقال غيرهم انه طعن . ولم تدم خلافته اكثر من ثلاثة اشهر .

ومهما يكن من ضعف معاوية الثاني وعجزه عن استلام زمام الأحكام

فان تنازله عن العرش خلق مشا كل عظيمة كادت تهت في ساعد بني امية .  
 فصحت عنزة الزبيريين على مهاجمة صفوف اعدائهم في كل قطر فقام زفر  
 بن عبدالله السكلابي والي قنسرين وبايع لعبدالله ابن الزبير . كذلك فعل  
 النعمان بن بشير الانصاري بمصر . وكان الضحاك بن قيس القهري حاكم  
 دمشق يهوى هوى ابن الزبير ويدعو اليه سراً . وانتشرت دعوتهم بفلسطين  
 فطردوا الامويين منها ولم يبق ثابتاً على ولائهم الا الأردن وهي تحت امره  
 حسان بن مالك بن بحدل الكلابي . فترى مما تقدم ان الشام شمالها وجنوبها  
 تقريباً أخذ يدين لأبن الزبير . هذا هو المشكل الاول في عرفنا . واما المشكل  
 الثاني فهو اختلاف بني امية بعضهم مع بعض وانقسامهم على اقسامهم فتعدد  
 المرشحون منهم للخلافة واشهرهم اثنان ، الاول خالد بن يزيد الوريث الشرعي  
 للعرش وكان صبياً لم تحنكه الايام ولم تعركه التجارب والثاني مروان  
 بن الحكم شيخ بني امية . واما المشكل الثالث فهو طلب الضحاك بن قيس  
 للخلافة فدعا قيساً وغيرها الى البيعة لنفسه فبايعوه « الطبري ٤٧٧ ص  
 ٤٧٣ » ويظهر انه اراد استعمال ابن الزبير مسلماً يرقى عليه الى اطماعه  
 ومآربه لأن مصلحته ومصلحة ابن الزبير واحدة في الشام . فالامويون اعداؤها  
 على السواء فاذا تمكن الضحاك من الاستعانة بالزبيريين على آل مروان وابناء

يزيد يسهل عليه بعد مناواتهم والاستعداد لمنازلتهم.

لابد للامويين تجاه هذه الاخطار المحدقة بهم من التكتاف والاتحاد والتدرع بالصبر والتمسك بحبال المفاوضة فاتفقت الاحزاب في الشام كلها على عقد مؤتمر يحلزون به جميع العقد السياسية التي اوجدت الخلاف والضعف في جميع انحاء القطر . فقررت الاحزاب المروانية « دعاة مروان بن الحكم » والاموية الشرعية « دعاة خالد بن يزيد » ومعظمهم من بني كلب مع الاحزاب القيسية الداعية الى ابن الزبير ونصرة الضحاك على الاجتماع في الجابية . وكان الضحاك يأمل ان ينال من الامويين الكثير من مطالبه السياسية لعشيرته فيما اذا انضم اليهم ، فيتربع رجالها في دست المناصب العالية . فرضي بالتخلي عن ابن الزبير ان اجابوه الى ما يبغيه من المطامع . فاشتم دعاة الزبيرين منه ذلك فسعوا سعيا حثيثا لأجباط مفاوضات الجابية ونادوا ان السيف خير حكم بينهم وبين خصومهم . وبرهاننا على هذا ما قاله ثور بن معن بن يزيد الاخنس السلمي للضحاك : « . . . دعوتنا الى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك واذت تسير الى هذا الاعرابي من كلب « يعني حسان بن مالك » تستخلف ابن اخيه خالد بن يزيد فقال له الضحاك فما الرأي قال الرأي ان تظهر ما كنا نسر وندعو الى طاعة ابن الزبير وتقاتل عليها فقال الضحاك بمن معه من الناس



فعضتهم ثم اقبل يسير حتى نزل بمرج راهط ، الطبري ٧١ ص ٤٧ .  
 فغلب الضحاك على امره وسار بجيشه الى مرج راهط بدلا من ان يبعث مندوبيه  
 الى مؤتمر الجابية .

اجتمعت الاحزاب الاموية على اختلافها في الجابية وقررت بعد جدال  
 عنيف مبايعة مروان بن الحسك لأمرين : الامر الاول لسنه وشيخوخته ، (الفخري  
 ص ١١٠ - ١١١) . وبلوه الحياة ومعرفته حلوها من مرها ولأن العرب  
 تميل بطبعها الى الزعيم الشيخ الحنك فقال أهل الاردن لمروان : « أنت شيخ  
 كبير وابن يزيد غلام . وابن الزبير كهل ، وانما يقرع الحديد بعضه ببعض  
 فلا تباره بذا الغلام وارم بنحرك في نحره ونحن نبايعك ، بسط يديك فسطها  
 فبايعوه بالجابية يوم الاربعاء ثلاث خلون من ذي القعدة سنة ٦٤هـ و٦٨٣م . الطبري  
 ٧١ ص ٤٧٣ . والامر الثاني لجهاده الدائم في نصرة قومه وللصفات  
 السياسية الباهرة التي تجلي بها . فكان من اكبر انصار عثمان بن عفان ، و معاوية  
 بن أبي سفيان ، ويزيد بن معاوية فعد له مناقبه هذه انصاره . قال روح بن زنباع  
 الجذامي : « اما مروان بن الحسك فوالله ما كان في الاسلام صدع قط الا وكان  
 مروان ممن يشعب ذلك الصدع وهو الذي قاتل عن امير المؤمنين عثمان بن  
 عفان يوم الدار ، والذي قاتل علي بن ابي طالب يوم الجمل وانا نسري للناس

ان يبايعوا الكبير ويستشبو الصغير يعني بالكبير مروان بن الحكم وبالصغير  
 خالد بن يزيد بن معاوية الطبري ٧/ ٤٧٦ ص ٤٧٦ ، وقال ابنه عبدالعزیز  
 ابن مروان : « ما احدث اولی بهذا الامر من مروان بن الحكم ، انه لكبير  
 قريش وشيخها وافرطها عقلاً وكالاً ودينياً وفضلاً ، والذي تسمى بيده لقد  
 شاب شعر ذراعيه من الكبير ، ابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣ « فتعاونت الاحزاب  
 كلها على الوقوف وقفة الرجل الواحد امام الزبيريين وعلى رأسهم الضحاک  
 بن قيس .

كان جيش الضحاک يتألف من اجل اهل دمشق وحمص وقنسرین  
 وفلسطين ومعظمهم من قيس ومضر ويقدرون جميعاً بثلاثين الفاً وأكثرهم  
 فرسان . اما مروان فكان في ثلاثة عشر الفاً من الين وكاب والسكاسك  
 والسكون وغسان وسواهم « المسعودي ٣٠٧-٣٠٩ » . والتقى الجيشان في  
 مرج راهط ودامت المعارك مستمرة بين الطرفين نحواً من عشرين يوماً  
 والحرب بينهما سجال الى ان كادهم مروان ودعاهم الى المواقعة والصلح فلما  
 اطمانوا الى ذلك اخذهم على حين غره وحمل عليهم حملة منكورة وهم على  
 غيرعدة ولا اهبه المسعودي ص ٣٠٧ - ٣٠٩ . فم النصر له وقتل  
 الضحاک مع ثمانين شريعاً من اشرف الشام اصحاب القطيفة وهؤلاء ياخذ كل

منهم القين في العطاء » الطبري S 271 ص ٤٧٧ - ٤٨٧ «

ومما ساعد مروان على الانتصار اشتعال الثورة في دمشق بقيادة يزيد بن ابي النمير الفسائي فغلب عليها ووضع يده على الخزائن وبيت المال وابع مروان وأمه بالرجل والاموال والسلاح. فقطع على الضحاك سبل الامداد والمخابرة مع العاصمة ويقول المؤرخون ان هذه الثورة فتت في عضد الزبيريين وكانت اول فتح فتح على بني امية .

أكثر شعراء البين من التفاخر على قيس في هذه المعركة فانشد الفرزدق:  
 وقد جعلت الدين في المرح والقنا مروان ايام عظام الملاحم  
 رأيت بني مروان جلت سيوفهم عشي كان في الإبصار تحت العمام  
 ولورام قيس غيرهم يوم راهط للاق المنايا بالسيوف الصوارم  
 ولكن قيساً روغمت يوم راهط بطود ابي العاص الشديد الدعائم

فترى ان العصبية القبائلية كانت داء وبلاء « المسعودي ص ٣١٠ »  
 يسري في مفاصلهم سريان الحى الفتاكة في الجسم الانساني . وسنصف لك  
 الولايات والمصائب التي حلت في الدولة من جرائها .

لما رأى ابن الزبير ما أصابه من الانكسار في معركة مرج راهط  
 اراد ان يطلق آخر سهم في كسنته صوب الشام فبعث اخاه مصعب بن الزبير

بحو فلسطين فسرّح له مروان عمرو بن سعيد بن العاص في جيش فصدّه  
وهزمه وأرجعه على اعقابه . فقد آماله في الشام .

وجه مروان وجهه نحو مصر الخاضعة لابن الزبير لفتحها وتثبيت اقدامه  
فيها بعد ان وطد نفوذه من اقصى الشام الى اقصاه . فسير حملة على رأسها  
ابنه عبد العزيز ورجا ان يكون الفتح عن طريق أيلة . فاجع ابن حجّوم والي  
مصر على حرب به فخصن القسطنطين وحفر حولها الخنادق ، وبعث اسطولاً الى  
السواحل السورية ليناض المرابطين فيها ويشاغلمهم ، فيهم مروان برسالة  
الفرق من جيشه لهذه الجبهة الساحلية الجديدة . وجيز حملة لمقاومة الجيوش  
المهاجمة . اما الاسطول فنزل عليه عاصف غرق معظمه واما الحملة فانهزمت  
امام الفاتحين واستسلم قسم كبير منهم « كتاب الولاة وكتاب القضاء لابن  
الكسندي ص ٤٠ - ٤٥ » .

دخل مروان مصر فوضع العطاء في الناس فبايعوه واقدموا على نصرته .  
ثم بنى القصر المعروف « بالدار البيضاء » في القسطنطين وجعلها مقر الاحكام  
لنائبه فيها . وولى عليهم ابنه عبد العزيز وأمره بالاحسان اليهم والمشورة في  
تدبير اموره وبذل الهمة في تفريق زعمائهم . نستنتج هذا من الوصايا التي  
اوصاه بها فقال له مرة : « يا بني عمهم باحسانك يكونوا كلهم بني ابيك ،



واجعل وجهك طلقاً تصف لك مودتهم ، وواقع الى كل رئيس منهم انه  
 خاصتك دون غيره يكن عيناً لك على غيره ، وينقاد وقومه اليك ، الولاة  
 والقضاء ص ٤٧ « وقال له ايضاً : ( واوصيك ان لا تعد الناس موعداً  
 الا اققده وان حملت على الأسنه ، واوصيك ان لا تعجل في شي من  
 الحكم حتى تستشير ، الولاة والقضاء ص ٤٨ ) راجع ايضاً للسعودي ص ٣١١  
 والطبري ص ٤٨١ ٧١ ٤٩ » .

كل ما قدمناه يؤكد لنا ان مروان لم يتغلب على ابن الزبير الا بعد  
 الجهد الطويل . فاستمال الزعماء ، وقبل شروطهم القاسية وكان يعتقد بعضهم  
 انهم شركاء له في ملكه فاشترط الحسين بن نعيم جزاء نصرته له ان يجعل  
 البلقاء مأكأة لكسندة « الطبري ٧١ ٤٩ ص ٤٨٧ » . وقد ظل  
 يوجس خوفاً من آل يزيد لثلاث يثب لهم رأي في التخلص منه فتزوج ام  
 خالد بن يزيد وهي فاخنة ابنة ابي هاشم بن عتبة ليسقط خالداً عن درجة  
 الخلافة « الفخري ص ١٠٩ - ١١٠ » . وكان مروان لا يعتبر خالداً  
 ويجرب ان يصغر امره عند أهل الشام فينسبه الى الحق مع انه كان فصيحاً  
 بليغاً . فتآمر عليه مع والدته واعدماه خنقاً حسبما يروي لنا معظم المؤرخين .

السبب السادس : حركة التوابين . الثار للحسين بن علي :

كان اختلاف الأمويين بعضهم على بعض سبباً كبيراً في نشاط الحركة الزبيرية كما أسهبنا في قولنا . لسكن حركة التوابين التي قامت على أثر فاجعة الحسين بن علي . أخذت تناويء بني أمية وتسعى في إعدام من اشترك في التدبير على ابن بنت الرسول « ص » وتنتشر الدعوة ضد سياسة الشدة التي اتبعها عبيد الله بن زياد وأمثاله . وقد استفاد ابن الزبير من هذه الحركة واستعان بأكابر الرجال على تشجيعها سرّاً وعلانية حتى يشغل الأمويين في الساحة العراقية وينال الفرصة الكافية لتثبيت مركزه وتقوية جيشه .

دعت الشيعة الحسين إلى الكوفة ووعدوه رجالها بالنصرة فلم يبروا بوعدهم وتحلوا عنه في الساعة الأخيرة فوقع في معركة كره بلاء مضرراً بدمائه . فرأت فئة منهم أنه لا يغسل عارهم ولا يحجوا أمهم وذلمهم إلا أعداءُ مهم قتلته فأسسوا حزباً جديداً دعوه « بحزب التوابين » كان من أركانه سليمان بن 'صرد' والمسيب بن نجبة الفزاري وعبد الله بن سعد بن قهيل الأزدي ، وعبد الله بن وال التيمي ورفاعة بن شداد البجلي . عقد هؤلاء الخمسة مع دعواتهم اجتماعاً خاصاً في دار سليمان بن 'صرد' زعيمهم فانبأ بعضهم البعض على تراخيهم في الذود عن حرمة الحسين وأقسموا على الأخذ بثأره إلى النفس الأخير وهيئوا الأسباب التي تؤمن لحركتهم النجاح . وكانت علامة الخماس

والألم والتأثر لقتل الحسين بادية في خطبهم . فقام المسيب بن نجبة يحرض  
القوم على الاستشهاد في سبيل آل البيت ، أولئك الذين قتلوا على مقربة منهم  
وهم عنهم لاهون فقال : « . . . . . كسنا مغرمين بترك نكبة آهسنا وتقر بفظان  
شيعتنا حتى بلا الله اختيارنا فوجدنا كاذبين في موطنين من مواطن ابن ابنة  
نبينا صلى الله عليه وسلم . وقد بلغتنا قبل ذلك كعتبه . وقد مك علينا رسله  
واعذر الينا يسألنا نصره عوداً وبدءاً وعلانية وسراً فبخلنا عنه  
باقسنا . . . . . حتى قتل الى جانبنا لا نحرك نصرناه بايدينا ولا اجدلنا عنه  
بالستنا ولا قويناه بأموالنا ولا طلبنا له النصره الى عشائرتنا . فما حذرنا  
الى ربنا وعند لقاء نبينا صلى الله عليه وسلم . وقد قتل فينا ولده وحببيه  
وذريته ونسله ، الا والله لا عذر دور . ان تقتلوا قتله والمرايين عليه ،  
او تقتلوا في طلب ذلك فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك . . . . . الطبري  
٧١ ص ٤٩٨ » فأمن رفاعه بن شداد على إكلامه وقال : ( . . . دعوت  
الى جهاد القاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم الفسوخ منك مستجاب لك  
مقبول . . . . . الطبري ص ٧ ص ٤٩٨ ) ثم تكلم سليمان فشحهم  
على الاستعداد لاعدائهم بالسلاح والأموال والرجال فقال : ( . . . فإني والله  
الا يكون آخرنا الى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة وعظمت فيه الرزية

وشمل فيه الجور اولى الفضل من هذه الشيعة لما هو خير . انا كسنا نمد  
 اعناقنا الى قدوم آل نبينا و نمنهم النصر ونحتمهم على القدرم فلما قدموا ونبنا  
 وعجزنا واذهلنا وتربعنا وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولدنا ، ولد نبينا وسالته  
 وعصارتة وبضعة من لحمه ودمه اذ جعل يستصرخ ولا يصرخ ويسأل النصف  
 فلا يعطاه . اتخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودرية للرماح حتى أقصدوه وعدوا  
 عليه فسلبوه ، الا انهضوا فقد سخط ربكم ولا ترجعوا الى الهلائل والابناء  
 حتى يرضى الله والله ما اظنه راضياً دون ان تناجزوا من قتله . . . الا لاتهاوا  
 فوالله ما هابه امرؤ قط الاً ذل . . . اشحنوا السيوف وركبوا الاسنة واعدا  
 لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل حتى تدعوا حين تدعوا وتستغفروا

الطبري ٧ ٢٧ ص ٥٠٠ - ٥٠١

تمكن حزب التوابين الركن المتين من اركان الشيعة من لم شعثه والالتفاف  
 حول زعيمه لسبيين . السبب الاول لتبرع الزعماء بالاموال الكثيرة لاجل  
 الدعوة فكانهم هذا من استفار الناس للجهاد وتشويقهم للقتال فقدم خالد  
 بن سعيد بن قليل كل امواله واملاكه ومزارعه في سبيل الحزب فقال :  
 « اشهد الله . ومن حضر من المسلمين ان كلما اصبحت املكه سوى سلاحى  
 الذي اقاتل به عدوي صدقة على المسلمين اقومهم به على قتال القاسقين



الطبري ٧١ ص ٥٠١ « وقال غيره مثل قوله . والسبب الثاني لاستعمالهم البلغاء من الرجال في نشر دعوتهم فماتوا مقتل الحسين تمثيلاً محزوناً مبكياً فكانوا اينما حلوا ينالون من اعدائه الذين انتهكوا حرمة ذواتهم واحترزوا رأسه وداوسوا بخيالهم على جسده . وحلوا على قتلته اولئك الذين لا تعرف الشفقة قلوبهم ولا المرحمة نفوسهم فكانوا يبيحون ويستبكون الناس على القتل فحيد رسول الله ( ص ) . واليك خطبة عبيد الله بن عبد الله المري اشهر دعواتهم ، فانه كان يجوب الانحاء العراقية ويلقيها على مسامع الناس : « ..... الله انتم ألم تروا ويبلغكم ما اجترم الى ابن بنت نبيكم ، اما رأيتم الى انتهاك القوم حرمة واستضعافهم وحدته ورميلهم اياه بالدم وتجرارهموه على الارض لم يراقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم ، اتخذوه للنبل غرضاً وغادروه للضباع حزرا ، فله عينا من رأى مثله والله حسين بن علي ، ماذا غادروا به ذا صدق وصبر وذا امانة ونجدة وحزم ، ابن اول المسلمين اسلاماً وابن بنت رسول رب العالمين قذت حماه وكسرت عدائه حوله ، فقتله عدوه وخذله واه فويل للقاتل وملامة للخاذل . ان الله لم يجعل لقاتله حجة ولا لخاذله معذرة الا ان يناصح الله في التوبة فيجاهد القاتلين وينابذ الفاسقين . فعسى الله عند ذلك ان يقبل التوبة ويقل العثرة . انا ندعوك الى كتاب

الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل بيته والى جهاد المحليين والمارقين فإن  
 قتلنا فما عند الله خيرٌ للأبرار . وان ظهرنا رددنا هذا الأمر الى أهل  
 بيت نبينا ، الطبري ، ص ٥٠٨ .

واستمال حزب التوابين سكان المدائن فبثوا بينهم دعوتهم ورجعهم  
 الى قتال اعدائهم فانتصروا لهم ورجعوا قواهم لتنشيط هذا الحزب . ولو دققنا  
 في الأسباب التي جعلت أهل المدائن ينضمون الى الكوفيين لتحققنا انها  
 مبنية على الأسس المالية فسكان المدائن وارباب الثروة فيها هم شركاء لاهل  
 السكوفة في نخيلهم ودورهم وعطائهم ولذا لم يكن بوسعهم ان يتخلوا عنهم  
 ويناضلهم . فلما طلب اليهم سليمان بن صرد<sup>١</sup> الالتحاق بالحزب في رسائله  
 المشهورة اليهم سمعوا له وأجابوا . واني مورد لك نص بعض الرسائل التي  
 جرت بين القرينين لتفهم روح المفاوضات ومعناها اذ ذلك :

### رسالة سليمان بن صرد لأهل المدائن :

« ..... ان اوليا الله من اخوانكم وشيعة آل نبيكم نظروا لأقسامهم  
 فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيهم الذي دعي فاجاب ودعا فلم يجب واراد  
 الرجعة فخبس وسأل الأمان فنعى وترك الناس فلم يتركوه وعدوا عليه فقتلوه  
 ثم سلبوه وجردوه ظلماً وعدواناً ..... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب

ينقلبون ٠٠٠ فلما نظر اخوانكم وتدبروا عواقب ما استقبلوا رأوا ان قد  
خطئوا بخذلان الزكي الطيب واسلامه وترك مواساته ٠٠٠٠ ولا توبة دون  
قتل قاتليه او قتلهم ٠٠٠ فقد جدوا اخوانكم فجدوا واعدوا واستعدوا وقد  
ضربنا لأخواننا أجلاً يوافوننا اليه وموطناً يلقنوننا فيه فأما الأجل فغرة شهر  
ربيع الآخر سنة ٦٥ هـ (٦٨٤م) واما الموطن الذي يلقنوننا فيه فالنخيلة ٠٠٠  
وانكم جدراء بتطلاب الفضل والتماس الأجر والتوبة الى ربكم من الذنب  
ولو كان في ذلك حز الرقاب وقتل الأولاد واستيفاء الاموال وهلاك  
العشائر ٠٠٠٠ ان التقوى أفضل الزاد في الدنيا . . . . . ولتكن رغبتكم في  
دار عافيتكم وجهاد عدو الله وعدوكم وعدو أهل بيت نبيكم ٠٠٠ الطبري  
S 2 V 7 ص ٥٠٣ - ٥٠٤

### من رسائل أهل المدائن للتوابين :

« . . نجيبهم ونقاتل معهم ورأينا في ذلك مثل رأيهم . . .  
نحن جادون مجدون معدون مسرجون ملجمون سننتظر الامر ونستمع  
الداعي فاذا جاء الصريح أقبلنا ، الطبري S 2 V 7 ص ٥٠٤ - ٥٠٥ »  
انتشرت دعوة التوابين انتشاراً عظيماً بعد وفاة يزيد الأول فاصبحوا  
عدداً رهيباً يخاف الناس جانبهم . واخذت الدولة في دمشق تعد عدتها

لمنازلتهم وإخماد ثورتهم . والنظر بعين بصيرة تقادة الى حركة-تهم من اولها الى الى منهاها يرى انها صارت الى الانحلال لأسباب خمسة هي كما يأتي:

**السبب الاول :** الدعوة تتطلب اعدام اشراف الكوفة لقتلهم

الحسين . خوف التوابين من اعدامهم : قرأنا فيما سبق ان اشراف الكوفة كانوا الساعد الاقوى في اعدام الحسين . ومع ذلك فقد تردد سليمان واتباعه في قتلهم لان بينهم اخوانهم و بنى عمومتهم وأعر اقاربهم ، ولأنهم ان علموا بنوايا التوابين نحوهم صمدوا لهم وقاتلوه قتالاً شديداً . ولا ريب ان التوابين ارتكبوا غلطاً فادحاً في استعدادهم لمنازلة الامويين الاقوياء . قبل اقتصاصهم من الزعماء الاشراف القتلة الذين كانوا يرتعون في بجموحة من العيش بين ظهور انبيهم ، والذين كانوا على اتصال تام مع الحكومة الاموية . فمحقوا اعداءهم الاشراف بذلك فرصة الاستعداد لبيدهم والتدبير عليهم . نستشهد على صحة هذه الفكرة من الاقوال التي صدرت من زعماء التوابين بذا الخصوص ، قال :

احد زعمائهم : « انما خرجنا نطلب بدم الحسين وقتلة الحسين كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد بن ابي وقاص ورؤوس الارباع واشراف القبائل فاني نذهب ههنا ونذبح الاقتال والاورار ، الطبري ص ٧٦ S ٥٤١ » . وقال سليمان ابن صرد : « والله لو قاتلتم غداً أهل مصركم ما عدم رجل ان يرى رجلاً



قد قتل اخاه وأباه وحميمه او رجلاً لم يكن يريد قتله، الطبري V ٢٠٧ S  
 (ص ٤٢٢) • وروى لنا الطبري : « جاء الى سليمان اصحابه من الشيعة  
 فقالوا قد مات هذا الطاغية - يزيد الاول - والأمر الآن ضعيف فان  
 شئت وثبتنا على عمرو بن حرث - نائب عبيدالله بن زياد على الكوفة -  
 فأخرجناه من التصريح ثم اظهرنا الطلب بدم الحسين وتبعنا قتله ودعونا  
 الناس الى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم فقالوا في ذلك  
 فأكثرنا فقال لهم سليمان بن 'صرّد' رويداً لا تعجلوا اني قد نظرت فيما  
 تذكرون فرأيت ان قتلة الحسين هم اشراف أهل مكة وفرسان العرب وهم  
 المطالبون بدمه • ومتى علموا ماتريدون وعلموا انهم المطلوبون كانوا اشد  
 عليكم ، الطبري V ٢٠٧ S ص ٥٠٦ - ٥٠٧ » •

**السبب الثاني :** التواؤم ضعاف في جيشهم وعدتهم : ذكرنا ان  
 التواؤم تكاتفوا وتعاضدوا واقسموا الايمان على القتلك بقتلة الحسين وبنلوا  
 الاموال في سبيل هذه الغاية • ولكن اموالهم كانت قليلة نسبة لاموال  
 الامويين وجيشهم ضعيفاً لاحول له ولا قوة على الثبات امام الجيش الاموي •  
 هذا عدا اولئك الذين تحلوا عنهم بتأثير الذهب الوهاج الذي كانت تدفعه  
 الحكومة بسخاء • فيروي لنا الطبري : « دعا سليمان بن 'صرّد' الى ديوانه

لينظر فيه الى عدة من يابغه حين اصبح فوجدهم ستة عشر ألفاً وقال سبحان  
الله ما ارانا الا اربعة آلاف من ستة عشر ألفاً ، الطبري S 271 ص  
٥٣٩ - ٥٤٠ ، و يروي ايضاً : « اتى سليمان عسكره فداره  
ووجوه اصحابه فلم يعجبه عدة الناس ، الطبري S 271 ص ٥٣٨ .

ويقول بهذا الخصوص : « خاطب سليمان بن صرد حربه فقال :  
ونظرت فيمن تبعني منكم فعلت انهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرم ولم ينشوا  
اقسهم ولم ينكوا عدوهم . . . الطبري S 271 ص ٥٠٧ » .

وقد صرح التوابون انهم فقراء وانه ليس عندهم مال يهبونه للناس كما  
تفعل الحكومة في دمشق وان لا غاية لهم سوى التوبة بثأرم للحسين . وكان  
هذا اعتراف ظاهر على عجزهم وضعفهم والناس لا يستهويهم الكلام الجذاب  
الى امد طويل وان استهواهم فالى حين . قال سليمان بن صرد : « .. ايها  
الناس من كان انما اخرجته ارادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن  
منه فرحمه الله عليه حياً وميتاً ، ومن كان انما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأثي  
فيئاً نستفيثه ولا عنيمه لغنيمها ما خلا رضوان الله رب العالمين وما معانمنا ذهب  
ولا فضة ولا خز ولا حرير وما هو الا سيوفنا في عواتقنا ورماحنا في اكفنا  
وزاد قدر البلغة الى لقاء عدونا فن كان غير هذا بنوي فلا يصحبنا ، الطبري

**السبب الثالث:** المنافسة في طلب الزعامة تهيض جناحهم: كان بين الشيعة رجالٌ ينافسون سليمان بن صرد في طلب الزعامة والرئاسة. أشهرهم المختار بن أبي عبيد الثقفي — وستكلم عنه مفصلاً — فخرج رجاله يبتطون هم الناس عن الأحقق بسليمان مدعين جهله في الأمور العسكرية وضعفه في قيادة الجند وقالوا إن المختار إنما يدعو لمحمد بن علي بن الحنفية فهو وزيره وأمينه، فانقسم التوابون بعضهم على بعض، فثمة تدعو لسليمان وثمة تدعو للمختار. فكان هذا الانقسام مما سهل على الحكومة الأموية ضرب سليمان واتباعه ضربة قاضية. قال الطبري بهذا الشأن: «... فسليمان أثقل خلق الله على المختار وكان المختار يقول لأصحابه أتدرون ما يريد هذا يعني سليمان بن صرد إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم، ليس له بصر بالحروب ولا علم بها.

الطبري 7/ ص 509 — 510

**السبب الرابع:** التوابون يرفضون مساعدة ابن الزبير: أراد ابن الزبير أن يستفيد من التوابين فحرب ان يقنع زعماءهم في الانضمام اليه والانتصار له. فأبوا ان يقاتلوا في صفوفه لئلا يكونوا سلباً يرقى عليه لمطامعه وآلة هينة لينة يديرها كيفما شاء. ولقد حاول انصار ابن الزبير أن يؤكدوا للتوابين ان الامويين اعداء لكلا الطرفين على السواء. وعرضوا عليهم المساعدات المالية

فما عاروهم اذناً صاغية ولا قلباً واعياً لأن دعوتهم معينة مفهومة لا تتجاوز طلب الثأر للحسين وارجاع الامامة لاهلها من العلويين. ان التوابين لم يفيدوا الزبير بين الافادة السكينة اذا لم ينضموا اليهم ولكنهم شاغلوا الامويين في الساحة العراقية مدة ليست بالقليلة ، استراح في خلالها ابن الزبير وهي الاسباب القوية لمناجرتهم في معركة فاصلة . فقال دعاة ابن الزبير للتوابين لا قناءهم : « انتم اخواننا واهل بلدنا واهل مصر خلقه الله الينا فلا تقمعونا باقمسكم ولا تستبدوا علينا برايكم ولا تنقصوا عدونا بخروجكم من جاعتنا . اقيموا معنا حتى نتيسر ونهياً فاذا علمنا ان عدونا قد شارف بلدنا خرجنا اليهم بجاعتنا فقابلناهم ، الطبري S 27 ص 543-544 . و ذكر المؤرخون ان ابن الزبير لم يتأخر عن بئل الاموال لهم فيروي الطبري : « عرضوا على سليمان ان يقيم معهم حتى يلقوا جموع اهل الشام على ان يخلصوه واصحابه بخراج « جوشي » خاصة لهم دون الناس ، الطبري S 27 ص 544 ، وكان يعتقد التوابون ان القتال مع ابن الزبير ضلال في ضلال . قال سليمان في ذلك : « . . . ولا ارى الجهاد مع ابن الزبير الا ضلالاً وان نحن ظهرنا رددنا هذا الامر الى اهلنا وان اصبنا فعلى نياتنا ثابتين من ذنوبنا ان لنا شكلاً ولا ابن الزبير شكلاً ، الطبري S 27 ص 550 . »



**السبب الخامس:** أهل المدائن يتأخرون عن اللحاق باخوانهم التوايين: أجمع التوايون ان يكون معسكرهم في النخيلة وموعد اجتماعهم في ربيع الثاني سنة ٦٥ هـ و ( ٦٨٤ م ) وذلك لتعبئة صفوفهم ولتهيئة الخطط الحربية الضرورية قبل الزحف للملاقاة الجيوش الاموية القادمة بقيادة عبيدالله بن زياد . فلم يوافقهم انصارهم من أهل البصرة وأهل المدائن الميعاد المضروب بينهم . وقد أقدمهم عن اللحاق بهم قلة النفقة وسوء العدة فأقاموا مدة يتجهزون فانهز الامويون القرصة وناجزوا التوايين الواقعة في «عين الوردة» قبل قدوم الامداد لهم فكسروهم شر كسرة .

**المعركة:** أقام التوايون يوماً وليلة بالقرب من قبر الحسين قبل زحفهم للقتال يثيرون احقادهم ويشعلون نار الضغائن في صدورهم ويستفزون همهم لطلب النار بالبكاء على الحسين . وقد ازدحموا حول قبره ازدحاماً شديداً يترحمون عليه ويستغفرون له ولا تسهم فزادهم هذا حنقاً على حنق وألماً على ألم . ثم ساروا للملاقاة عدوهم الزاحف اليهم من دمشق بطريق الزقة فانهزوا الى عين الوردة . ورسم لهم حاكم قرقيسيا الخطة الحربية التي يجب ان يسيروا بحسبها وهي تأمرهم بالانتباه الى حماية خط الرجعة لئلا يفقدوا الماء والمادة والذخيرة من ايديهم وان لا ينازلوا اعداءهم في فضاء

وسمع يتم لهم به الالتفاف حولهم وان يشاغلوهم بالسكتاب بدلا من النزول اليهم دفعة واحدة في صف واحد . وقد حفظ لنا التاريخ نص هذه الخطة وهالك هي : ( ٠٠ ان القوم قد فصلوا من الرقة فبادروهم الى عين الوردة فاجعلوا المدينة في ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادة في ايديكم وما بين مدينتنا ومدينتكم فانتم له آسون ٠٠٠ اطواوا المنازل الساعة الى عين الوردة فان القوم يسرون سير العساكر وانتم على خيول ٠٠٠ وان بدرتوهم الى عين اوردة فلا تقالونهم في فضاء ترامونهم واطاعونهم فانهم اكثر منكم فلا آمن ان يحيطوا بكم ولا تقموا لهم ترامونهم واطاعونهم فانه ليس لكم مثل عددهم فان استهدفتهم لم يلبثوكم ان يصرعوكم ، ولا تصفوا لهم حين تلقونهم فاني لا ارى معكم رجالة ولا اراكم كلكم الا فرسانا والقوم لا قوكم بالرجال والفرسان ، فالفرسان يحمي وجالها ووالرجال يحمي فرسانها . وانتم ليس لكم رجال يحمي فرسانكم فالقوم في السكتاب . . . ثم بثوها ما بين فيمنتهم وميسرتهم واجعلوا مع كل كتبية الى جانبها فان حمل على احدى السكتيبتين تجلت الاخرى فنفس كتبية عنها الخليل والرجال ومتى شاءت كتبية ارتفعت ومتى شاءت كتبية انحطت ولو كتمتم في صف واحد فزحفت اليكم الرجال فدفعتم عن الصف انتمضوا كاذات الهزيمة ، الطبري ٧١ ص ٢٥٤ - ٥٥٥ )

بعث عبيد الله بن زياد الحصين بن نمير على مقدمته في اثني عشر الفاً

لملافة التوابين فاجتمع بهم في عين الوردة . فدارت المفاوضات بين مندوبي  
 الفريقين لحقن دماء المسلمين فلم يصلوا الى نتيجة مرضية لان التوابين أصروا  
 على خلع عبد الملك بن مزوان - وكان قد ولي الخلافة - اولاً ، وتسليم عبيد  
 الله بن زياد لهم ثانياً ، ولم يتساهلوا الا في طرد آل الزبير ودعاتهم من العراق  
 على ان يكون حق الخلافة لآل بيت النبي ( ص )

أدت هذه المفاوضات حتماً الى القتال فاشتبك الطرفان في معركة دامية  
 انتصر بها التوابون في اليوم الأول وظهروا من ضروب الشجاعة والتضحية  
 ما جعل اعداءهم يقرّون لهم ببطولتهم فشهدوا بهم وقالوا : ( انهم كانوا يقدمون  
 على شوكة شديدة ويقاتلون فرساناً شجعاناً ليس فيهم سقط رجل ، الطبري  
 ٧١٢ ص ٤٦٦ ) لسكن هبطت الامداد على الامويين في اليوم الثاني  
 فأكثروا فيهم الجراح وافشروها ، فاستمات التوابون في اليوم الثالث فكسروا  
 — جفون سيوفهم -- فقتل اكثر زعمائهم وبينهم سليمان بن صرد . فتقهقروا  
 بعد هذه الهزيمة في الظلام حاملين جرحاهم وعبروا الخابور متجهين الى بلادهم  
 وقد تركوا وراءهم فرقة من الجند لتحمي مؤخرتهم وتشاغل اعداءهم لدى  
 ارتدادهم .

ويجدر بنا ان نذكر وصايا سليمان بن صرد للتوابين قبل دخولهم المعركة وهي كلها تأمر بالرحمة والمواساة والعطف على الجرحى والمصابين والاسرى قل : ( لا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا اسيراً من أهل دعوتكم الا ان يقاتلكم بعد ان تأسروه او يكون من قتلة اخواننا ٠٠٠ فان هذه كانت سيرة امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، الطبري (٧٢٧ ص ٥٥٦) .  
 « راجع عن حركة التوابين في المسعودي ص ٣١١ ، والتخري ص ١١٠ - ١١١ » .

### السبب السابع : الازارقة الخوارج يساعدون ابن الزبير :

الخوارج في عرف الاسلام هم كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه سواء كان الخروج في ايام الصحابه على الائمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين باحسان والائمة في كل زمان . « الشهرستاني ج ١ ص ١٥٥ » . ويطلق اسم الخوارج على جماعات عديدة تختلف في مبادئها ونواحي تمكيزها ويهمننا من أمرهم في بحثنا هذا التعرف الى طائفة الازارقة وعلاقتها مع ابن الزبير . قامت هذه الطائفة غاضبة على جماعة المسلمين لاختلافها واياهم في بعض المبادئ الدينية السياسية فهم :

اولاً : يكفرون علماً ويقولون ان الله انزل في شأنه وزادوا على ذلك



تسكفير عثمان وطلحة واز بيز وعائشة وعبد الله بن عباس وسائر المسلمين معهم  
وتخليدهم في النار . ويحملون الحلات المنكرة على عثمان ويصمون به بصمات  
بعضها بعيد عن الحق ويبالغون في ذلك اشد المبالغة فيقولون عنه انه « آثر  
القربى . . . ورفع الدرّة ووضع السوط ومزق الكتاب وحتر المسلم وضرب  
منكري الجور وأوى طريد الرسول - الحسك - . وضرب السابقين بالفضل  
وسيرهم وحرّمهم ثم اخذ في الله الذي أفاءه عليهم فقسمه بين : فساق قريش  
ومجان العرب فسارت اليه طائفة من المسلمين أخذ الله ميثاقهم على طاعته  
لا يبالون في الله لومة لائم فقتلوه فنحن لهم اولياء ، ومن ابن عفان وأولياءه براء ،  
الطبري ٧١ ص ٥١٦ ،

ثانياً : يوجبون على كل من ينضم اليهم ان لا يتأخر عن القدوم الى ديار  
هجرتهم للنود عن بيعة دينهم . فهم يكفرون القعدة من رجالهم عن قتال  
اعدائهم ، ويظهرون البراءة منهم اينما كانوا وحيثما حلوا .  
ثالثاً : يأمرّون بقتل نساء مخالقيهم واطفالهم . وهذا غاية التسوية والهمجية  
وهم يرون وجوب التخلص من اعدائهم باستعمال الشدة معهم واعدام  
نسلهم .

رابعاً : يستطون الرجم عن الزاني اذ ليس في القرآن ذكره ويستطون

حد التذف عن قذف المحصنين من الرجال ويوجبون الحد على قاذفي المحصنات من النساء .

خامساً : يأمرهم بالتصريح في مبادئهم ونشرها ويقولون ان التقية غير جائزة في قول ولا عمل .

سادساً : يعتقدون ان جميع المشركين في النار .  
سابعاً : يجوزون ان يبعث الله تعالى نبيا يعلم انه يكفر بعد نبوته او كان كافراً قبل البعثة .

ثامناً : يجمعون على ان ارتكب كبيرة من الكبائر كفر ويكون مخلداً في النار ، « الشهرستاني ص ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ ، ابن حزم ج ٤ ص ١٨٩ »

وكان أول خروج هؤلاء الازارقة في اربعين رجلا وذلك في خلافة يزيد الاول . اما مقرهم فكانت الاهواز . وهم يلقبون بالازارقة نسبة لرئيسهم نافع بن الازرق . والغريب ان ابن الزبير ، جاني توطيد سلطانه وتمسكيناً لسيادته ودعوته تجاه الامويين ، أظهر انه على مبادئهم وأرائهم « فاعطاهم الرضا من غير توقف ولا تفتيش » ، الطبري / ٧ ص ٥١٦ ، فقاتلوا في صفوفه واسماتوا في الدفاع عن البيت الحرام وكانوا من اشد اعداء الامويين . وقد رُفدوا عليه

ولحقوا به وانتصروا له « الولاية والقضاء ص ٤٠ - ٤١ ». فكانوا ركنا متينا من ارکان جيشه . اسكنه لما مات يزيد الاول ترحم كابوس الامويين عن صدر ابن الزبير فأخذ يناقشهم في مبادئهم ويجرب ان يجلبهم الى حظيرة الجماعة الاسلامية حتى انه صرح مرة لما جادلهم في عمان بقوله « اني ولي لأبن عفان في الدنيا والآخرة وولي اوليائه وعدوا اعداءه ، الطبري ١٧١ ص ٥١٧ » . حقا لقد جاء هذا التصريح مابقاً لأوانه اذ جعل هذه الطاقة تناصبه العداة وتسكيده مع انه كان في حاجة ماسة الى من ينصره ويأخذ بيده امام الحكومة الاموية .

قلنا خرجت طاقة الازارقة في ولاية يزيد الاول فعهد هذا الى عبيد الله بن زياد والي البصرة يومئذ ان ينازلهم ويعاملهم بالشدة ، فكان لا يدع احداً ممن يتهم برأي الخوارج الا قتله حتى قتل بالهمة والظنه تسعمائة رجل حسباً يروي لنا الدينوري « ص ٢٧٨ - ٢٨٢ » . والحقيقة ان هذه السياسة القائمة على الدم لم تمت حركة الازارقة ولم تختفها بل زادت قوة ونشاطاً خصوصاً حينما توفي يزيد وأجبر ابن زياد على الهرب الى دمشق خوفاً على حياته . فبدلاً من ان يكون الازارقة في العراق وفارس رجال ابن الزبير وسيفه البتار اصبحوا عليه يناوؤونه ويضربونه الضربة تلو الضربة . فنستنتج ان

الازارقة بعد ان كانوا من احزابه اخذوا يفتون في عضده ويخنقون دعوته في  
البصرة وفارس .

لما ضعفت الدولة الأموية عن القيام بحماية العراقيين خصوصاً سكان  
الجنوب راسل اهل البصرة ابن الزبير يعلمونه ان لا امام لهم ويسألونه حمايتهم  
وصدء الخوارج عنهم ، وهم لقا ، ذلك ينصرونه ويثبتون اقدمه ويجهزون له  
الجيوش . فبعث اليهم المهلب بن ابي صفرة القائد المشهور — و س نصف فتوجه  
في وقتها — من خراسان فقدم البصرة وبث روح الاقدام والجهاد في القبائل  
والعشائر واشترط عليهم الطاعة ، وان له ما يغلب عليه من البلاد فقبلاوا ذلك درأ  
اللاخطار المحدقة بهم وتخلصاً من القوضى . وكان المهلب نزر الكلام الا فيما  
يختص بمصلحته فصعد منبر المسجد الجامع في البصرة وألقى خطبته التي أملى  
بها شروطه وهي : « انه قد غشيتكم عدوٌ جاهدي سفك دماءكم وينتهب اموالكم ،  
فان اعطيتموني خصالا اسألكموها قتُ اسمكم بحربهم واستغنت بالله عليهم . . .  
انتخب منكم أوساطكم لا الغني المثلث ولا السبزوت الخنف وعلى ان لي  
ماغلبت عليه من الأرض ، وألا أخالف فيما ادبر من رأيي في حربهم وارك  
ورائي الذي اراه وتدبيرى الذي ادبره . الدينوري ص ٢٠٨ — ٢٨٢ »

بلغت الحملة التي قادها المهلب لقتال الازارقة نحواً من عشرين الفاً



فواقعتهم في نهر «تستر» فهزموهم ثم في «نسلي» من أعمال الأهواز فهزموهم أيضاً وقتل زعيمهم نافع بن الأزرق، وما زال يلاحقهم من بلد إلى بلد حتى ضربهم في سابور من أرض فارس . وقد ضيق عليهم وسدَّ السبل دونهم بعد ذلك في أيام عبد الملك بن مروان حتى قلَّ أحدهم :

حتى متى يتبعننا المهلبُ  
ليس لنا في الأرض منه مهربُ

ولا السماء ابن المذهب ( الدينوري ص ٢٨٦ )

والغريب ان هؤلاء الأزارقة كانوا يناضلون نضالاً هائلاً وينتخبون الزعيم اثر الزعيم بعد مقتلهم، فترى قائمة من أسماء قادتهم بعد مصرع ابن الأزرق أشهرهم عبد الله بن ماحوز و«قطري بن العجاءة»، وعبدربه وغيرهم . والحقيقة التي تريد تأييدها من كلامنا هذا كله ان الأزارقة كانوا يداً قويه في نجاح دعوة ابن الزبير في اول امرها . وكان بوسعهم ان يحتفظ بهم لو احسن اساليب السياسة فأجلَّ المناقشة معهم في مبادئهم او غضُّ الطرف عنها فيظنون جنده القوي في الساحة العراقية ومدده العظيم في قتال بني امية . لكنه خطأ في مناقشتهم ومجادلتهم في آرائهم فحملوه احمالاً باهظة لا قبل له بها اذ اثاروا عليه حرباً وضروا ساقى العراق وفارس كفته دماء غزيرة واموالاً كثيرة كان بوسعهم ان يتجنبها .

السبب الثامن : الحركة المختارية تنشط ابن الزبير :

يتحقق الباحث عن الحركات الثورية التي قامت في صدر الاسلام انها نهضت تدفعها عوامل سياسية حمة قد لا تظهرها في البدء انما تجعل الدين ستارها فتضرب على وتره فتهمز عاطفات التعصب الكامنة في النفوس ، وتستهووي عامة الناس فتجعلهم آلة تسيروهم حسبما تشاء ، ونعاجاً تدبجهم على مذبح الجشع والمصلحة .

رأى المختار بن ابي عبيد الثقفي حبل الامن مضطرباً في الاقطار العربية ومطامع الزعماء تقرض بمراضها جسم المملكة الاموية ، فعلب عبد الله بن الزبير على الحجاز والعراق ونجدة الحروري على العروص وعبد الله بن خازم على خراسان ، فتحركت في نفسه محبة السيطرة والسيادة فدعا القوم في العراق الى الثورة فأجابوه . وسنين لك الاسباب التي رفعت شأنه وقدمت لحركته النجاح نوعاً .

حياة المختار السياسية : نرى المختار لأول مرة على مسرح التاريخ حينما نزل مسلم بن غنيم بن غنيم رسول الحسين في داره ، وجعل يبائع له ويدعو الناس الى معونته وذلك قبيل التجاء مسلم الى دار هاني بن عروة المرادي . ثم كانت فاجعة كربلاء . فقبض عليه عبيد الله بن زياد وضربه وسجنه وأهانته في كبريائه . فاستعطف عبد الله بن عمر صهر المختار يزيداً الاول ورجا منه اخلاء سبيله مشروطاً

ان لا يتداخل في سياسة الحكومة فأجابه الى ذلك على ان يخرج من العراق وان لم يفعل برئت منه الذمة . فرحل الى مكة وفي نفسه من الحقد والضعينة على ابن زياد ماجعله ينتمز كل فرصة للايقاع به والانتقام لانفته حتى لقد قال : « قتلني الله ان لم أقطع انامله . . واعضائه ارباً ارباً » الطبري ،

٧٧ ص ٥٢٤ «

اراد ابن الزبير ان ينتصر بالمختار فرحب به واوسع له وغمره باحسانه وعطفه ، فاشترى منه دينه على الشروط الآتية ، اولاً : يبايع المختار ابن الزبير على ان لا يقضي الامور دونه . ثانياً : يكون المختار الوزير الاول في دولته فلا يأذن لأحد قبله ويوله على احسن عمله . وقد ابلى المختار البلاء الحسن في اعداء ابن الزبير وشهد الحصار الاول يوم أحرق البيت وخدم رئيسه خدمة صادقة . والظاهر ان المختار تألم المأ شديداً من ابن الزبير لأنه لم يوف له بالعهود التي اخذها على نفسه فلم يستعمله وجعل يقدم عليه من هم دونه منزلة وكفاءة . فأقام يستطلع اخبار السكوفة ويتزود بالمعلومات الكثيرة عنها الى ان انتهز فرصة قيام حزب التوابين فرحل اليها وجعل يدس الدسائس بين اعضاء هذا الحزب حتى انشعبت اليه فرقة تؤيده وتعظمه وتبث دعوته .

قضت الدولة الأموية على حركة التوابين في معركة عين الوردت ولسكنها

لم تقض على الأحقاد المتأصلة في قوس الشيعة. فكانت تغلو مرآجل الضعينة في صدورهم اذ لا قوام من المنلة والاهانة بعد معركة كربلاء. وعين الوردة ما جعلهم مستعدين استعداداً تاماً لقبول زعيم نشيط يدبر دفة سياستهم ويستلم زمام امورهم. وقد كان المختار شاباً طموحاً عالي الهمة (الفخري ص ١١١) لم تقدر همة عن جمعهم تحت لوائه فتكلمت مساعيه بالنجاح. وانا موردون لك الاسباب التي اعانتته على الثورة وهاكها:

اولاً المختار يطلب بثار الحسين ويدعو لأبن الخنفيه:

لاريب ان السبب الرئيسي الذي دفع المختار للثورة هو محبته للزعامة والتغلب كما نوهنا سابقاً. وكان لا يتأتى له النهوض ان لم يجعل طلب الثار للحسين وارجاع الامامة الى آل بيت النبي غايته التي ليس وراءها غاية. فنشر هذه الدعوة بين الموتورين من الشيعة فلاقى ارضاً خصبة وجواً صالحاً للنمو والحياة. ويؤكد انا الشهرستاني ان امره لم ينتظم الا بانتمائه الى محمد بن الخنفيه اخي الحسين علماً ودعوة ولاشتمغاله بقتال الذين أجمعوا على القتل بآل البيت (الشهرستاني ج ١ ص ١٩٧). فدعا الناس قاتلاً (ان المهدي ابن الوصي محمد بن علي بعثني اليكم اميناً ووزيراً ومنتخباً واميراً وأمري بقتال الملحدين والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء، الطبري V ٢٤٧)



ص ٥٣٤) . ومن اقواله يدعوهم ايضاً : ( اني قد جئتكم من قبل ولي الأمر  
ومعبد الفضل ووصي الوصي والامام المهدي بأمر فيه الشفاء وكشف الغطاء  
وقتل الأعداء وتمام النعماء . . . . اني انما اعمل على مثال قد مثل لي وأمر  
قد بين لي فيه عز وليكم وقتل عدوكم وشفاء صدوركم فاسمعوا مني قولي  
وأطيعوا أمري ثم أشيروا وتباشروا فاني لسكم بكل ما تأملون خير زعيم ،  
الطبري ٧٧ ص ٥٢٤) . ونشط في بث دعوته نشاطاً عظيماً بعد  
مقتل سليمان بن 'صرذ' ورجوع فلوله الى اوطانها فكتب للتوابين يعزبهم  
بمصرع ابطالهم ويهنئهم بما نالوه من الأجر والقوز عند ربهم ويدعوهم الى  
الانضمام اليه ليجرد في عدوهم السيف ويثأر لأبن بنت الرسول . وهالك رسالته  
لشيعة : ( . . . اما بعد فان الله اعظم لسكم الأجر وخط عنكم الوزر بمنارقة  
الفاستين . . . فاني لو قد خرجت اليكم جردت . . . في عدوكم السيف . . .  
فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى ولا يبعد الله الا من عصى وابي ،  
الطبري ٧٦ ص ٤٩٩) فانضم اليه قسم كبير منهم كانوا من  
اشد انصاره في حركته واعظم احزابه في حروبه .

لقد كان الختمار اعظم خطورة في دعوته من سليمان بن 'صرذ' اذ  
اجتمعت فيه صفات الزعامة فخافه اولياء ابن الزبير في السكوفة فتقبضوا عليه

وأودعوه السجن . والحقيقة التي لا شبهة فيها ان المختار اراد الوثوب على العراق والتخلص من النفوذ الزبيرى بينما كان سليمان يسعى لقتال بنى امية اعداء ابن الزبير . فشتان بين الزعيمين فان لكل منهما مبدأ كما ترى .

أثقت الشيعة على القيام بتأييده فصار دعائه يبايعون له وهو مسجون الى ان أخلى سبيله . ولا شك فى عرفنا ان المختار اخذ يدعو لابن الحنفية ، وابن الحنفية جاهل تمام الجهل ما ينتحله باسمه . وذلك لضعفه وأثره الخمول على الشهرة . ان هذا الضعف فى زعماء آل البيت كان من اكبر المصائب على الاسلام اذ جعل لأحزابهم واصحاب النفوذ والمطامع من رجالاتهم القرض الكافية لادعاء مباديهم باسمهم لم يفكروا بها ولم تخاطر لهم على بل . فاستثمر المختار بعض التصريحات التي صرح بها ابن الحنفية بعد مقتل الحسين وأخذ يقول للناس ان امامكم ابن الحنفية يدعوكم لطلب الثأر لآل بيت نبيكم وقس على ذلك من الاقوال المؤثرة المؤلفة . ومن هذه التصريحات ما قاله ابن الحنفية لأحد الوفود العراقية فى الحجاز : ( . . . ) واما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم الى الطلب بدمائنا فوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء . من خلقه ، الطبري ٦٧ ص ٦٠٧ ) . وقد استمال المختار هذه الوفود فأكدت صدق دعوته للناس بقبولها : ( كئنا احببنا ان نتثبت

لأنفسنا خاصة ولجميع اخواننا عامة فقدمنا على المهدي ابن علي فسألناه عن  
 حز بنا هذا وعن ما دعانا اليه المختار منها فأمرنا بمظاهرتة وموازرتة واجابته  
 الى ما دعانا اليه فأقبلنا طيبة أنفسنا منشرحة صدورنا وقد اذهب منها الشك  
 والغل والزيب ، الطبري ٧٦ (٢٧٧ ص ٦٠٨) . وما فتى المختار منذ  
 ذلك الحين يلقي الخطب اثر الخطب في المجالس وكلها ترمي الى الدعوة لابن  
 الحنفية بواسطته . فترى ان الرجل عرف كيف يستفيد من اقوال ابن الحنفية  
 للمهمة الصادرة عن قلب طيب ونفس زكية تحب العافية وترجو السلام  
 وتود ان لاتسفك الدماء باسمها . فأعلن عن رغبته هذه بكتاب بعثه له :  
 ( . . . ) وان احب الامور كلها الي ما اطيع الله فيه فأطع الله ما استطعت  
 فيما علنت واسررت واعلم اني لو اردت القتال لوجدت الناس الي سراعا والاعوان  
 لي كثيراً ولكني اعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين  
 الطبري ٧٧ (٢٧٧ ص ٦٩٢) . واوصاه مرة بالكف عن القتال فروى  
 الطبري انه ذكر : « قل للمختار فليثق الله وليكفف عن الدماء ،  
 . . . » ٧٧ (٢٧٧ ص ٦٩٢) .

ثانياً المختار يستميل كبار الزعماء الى حزبه ويطمعهم بالفوائد المالية :  
 علم المختار حق العلم ان لا سبيل الى اجتذاب قلوب الزعماء ارباب المصالح

الا بمنحهم ما تصبو اليه تقوسهم من المناصب وما تنوق اليه ذواتهم من الارباح  
 المادية فكتب رسالة عن لسان ابن الحنفية الى ابراهيم بن الأشتر سيد الكوفة  
 وبها يؤكده انه ان نصره واطاعه وطلب دماء أهل بيته فله كل ثغر ظهر  
 عليه فيما بين الكوفة واقصى بلاد الشام . فاستماله وبسط له يده فبايعه على  
 الجهاد في اعدائه . وليس بوسعنا ان نمر بهذه الرسالة دون ان نثبت انها  
 مزورة ليس عليها مسحة من الحقيقة . نستشهد على ذلك بما قاله الشعبي وهو  
 يتهم المختار بان الكتاب مزور وان من شهد بصحته كاذب . قال الشعبي :  
 « أنا والله لم على شهادتهم منهم غير انه يعجبني الخروج وأنا ارى رأي  
 القوم واحب تمام ذلك الأمر فلم اطلمه على ما في نفسي من ذلك ، الطبري  
 ١٧١ ٤٦٢ ص ٤٠٠ . اما نص الكتاب الذي ادعى المختار انه من  
 ابن الحنفية فيها كه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد المهدي الى ابراهيم  
 بن مالك الأشتر . سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو . اما بعد  
 فاني قد بعث اليكم بوزيري واميني ونجبي الذي ارتضيته لنفسي وقد امرته  
 بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي فانض معه بنفسك وعشيرتك ومن  
 اطاعك فانك ان نصرتني واجبت دعوتي وساعدت وزيري . كان عندي  
 بذلك فضيلة ولك بذلك اعنة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنير وثغر



ظهرت عليه فيما بين الكوفة واقصى بلاد أهل الشام على الوفاء بذلك على عهد الله فان فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة وان ايت هلكت هلاكاً لا تستقيله ابداً والسلام عليك، الطبري، ٧٦١ ص ٦١١ «  
 • الدينوري ص ٢٩٧»

ثالثاً — المختار يؤمن الاشراف ويعدل بين الناس :

لم يكده المختار يعلن عن عزيمته في طلب الثار للحسين وارجاع الامامة الى ابن الخنفيه حتى أحسن السيرة جهده فتمعد للعدل وأمن الناس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأدنى الاشراف فكانوا جلساءه وحدائه. فظنوا أنه صادق النية فيما رمى اليه فتهافتوا عليه لكن العقد القريني يقول ان هذه كلها كانت مظاهر لأدراك بعينه فلما أدركها بانته مقاصده السياسية، (العقد القريني ج ٣ ص ١٥٢)  
 رابعاً — الامويون لا يحسنون صنماً بانتخاب عبيدالله بن زياد للأستيلاء على العراق . العراقيون يبغضون عبيدالله ، يلتمون حول المختار :

كلنا يعلم سياسة الشدة التي جرى عليها عبيدالله بن زياد في العراق، تلك السياسة التي ادت الى قتل الحسين بن علي. فمكره الناس وأرادوا القتل به بعد وفاة يزيد الاول فتمكن من الهرب اذ التجأ الى الازد . وقد قدم به هؤلاء الى الشام آمنًا مطمئنًا، « الدينوري ص ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ » زد على هذا

استعماله الدهاقين من القوس لجباية الاموال لأنهم ابصر بالمسائل المالية في عرفه من العرب وأوفى بالامانة وأهون بالمطالبة . وكان عبيدالله بن زياد بنخيلاً فحرب ان لا يبذل في العطاء اذا تمكن من ذلك . ان كل هذه العوامل دفعت العراقيين الى الالتفاف حول المختار ومناصرته

خامساً — المختار يستفيد من ثارات العصبية القبائلية :

قلنا فيما سبق ان العصبية القبائلية كانت داء وبيلاً . ولا نزال نذكر معركة مرج راهط وما احدثت اليمن فيها بقيس من المنلة الشنيعة . فلما قدم جيش عبيدالله بن زياد من قبل مروان بن الحكم لأخضاع العراق ومروراً بالجزيرة اصلاه اهلهما القيسيون ناراً حامية . وذلك لأنهم اهل خلاف لمروان وآل مروان ، ولأنهم ارادوا الانتقام ليوم راهط . ان هذه الحرب التي اشعلها القيسيون على اليمنيين انصار مروان كلفت عبيدالله ثمناً باهظاً اذ سفكت فيها دماً ، غزيرة ، واخرته سنة كاملة عن القدوم الى العراق . وقد تمكن المختار من الاستعداد خلال هذه المدة استعداداً كاملاً .

سادساً — المختار يداري ابن الزبير لثلاثا يصبح بين نارين :

ثار المختار في العراق وطرده الحامية الزبيرية واعلن استقلاله وهو متأكد كل التأكد انه لا بد له من مناجزة عدوين قويين طامعين في تثبيت سلطانهم في بلاد الرافدين ، الاول بنو أمية في الشام والثاني ابن الزبير في الحجاز . اما بنو أمية

فن الصعب المفاوضة معهم لكره الشيعة لهم وما ارتكبه ولاهم من المظالم في المصيرين حسب اعتقادهم . واما ابن الزبير فقد تسهل المحاربة معه لان المختار سيقوم بقتال اعدائه الامويين الذين كادوه كيداً عظيماً فان انتصروا على المختار تخلص منه وان انتصر عليهم كان اهون شوكة منهم عليه . فتوادعا حتى يستجمع لأحدهما الامر فيذب بصاحبه وهاك ما كتبه المختار لابن الزبير بهذا الشأن : ( . . . ) اما بعد فقد عرفت مناصحتي اياك وجهدي على أهل عداوتك وما كنت اعطيني اذا انا فعلت ذلك من نفسك ، فلما وفيت لك وقضيت الذي كان لك علي خست بي ولم تف بما عاهدتني عليه ورأيت مني ما قد رأيت فان ترد مراجعتي اراجعك وان ترد مناصحتي أنصح لك ، الطبري

« S 2 V 7 ص ٦٨٧ »

سابعاً - المختار يدعي مبادئ جديدة في الاسلام . كرسي علي عند

شيعة كالتابوت عند بني اسرائيل :

احب المختار أن يصعب مبادئه السياسية بصيغة دينية تؤثر في قلوب العامة من اتباعه فادعى انه يوحى اليه واخترع « مبدأ البدأ » ويفسره لنا الشهرستاني بقوله : « ومن مذهب المختار انه يجوز البدأ على الله تعالى والبدأ له معان ، البدأ في العلم وهو ان يظهر له خلاف ما علم ، والبدأ في الارادة وهو ان يظهر له صواب على خلاف

ما اراد وحكم ، والبدا في الامر وهو ان يأمر بشي ثم يأمر بعده بخلاف ذلك ،  
وانما صار المختار الى اختيار القول بالبدا لانه كان يدعي علم ما يحدث من الاحوال  
اما بوحى يوحى اليه واما برسالة من قبل الامام ، فكان اذا وعد اصحابه  
بكون شي وحدث حادته فان وافق كونه قوله جعله دليلا على صدق دعواه  
وان لم يوافق قال قد بدا لربكم الشهرستاني ص ١٩٧ - ١٩٨ ثم أتى  
بكرسي قديم قد غشاه وغطه بالحرير والديباج وزينه بأنواع الزينة . وكان  
يخرج به على بغل يسكه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، وادعى ان به  
قوة معنوية فاذا حارب خصومه ووضع في براح الصف فلهم الظفر والنصرة  
لأن فيه « السكينة والبقية والملائكة من فوقكم ينزلون مددا لكم  
الشهرستاني ص ١٩٤ - ٢٠٠ . وطالما ذكر لهم ان هذا الكرسي محله  
فيهم كحل التابوت في بني اسرائيل . واذا علمنا بعد ذلك ان المختار  
اخذ يعتمد على الاعاجم القرس فلا بد ان يأتي لهم بمثل هذه المبادي القرية  
من افهامهم والمفروسة في دماغهم .

والشعراء العرب قصائد حجة في وصف هذا الكرسي وهي كلها تقر بيا  
تظهر لنا كفرهم به واستصغارهم اياه . قال أعشى همدان :  
شهدت عليكم انكم سبابة . واني بكم يا شرطة الشرك علوف



وأقسم ما كرسيم بسكينة وان كان قد لقت عليه اللقائف  
وان ليقن كالتابوت فينا وان سعت شبام حواليه وهد وخارف  
وقال المتوكل الميثي :

أبلغ ابا اسحق «المختار» ان جثته اني بكوسيم كافر  
ذكرنا لك الاسباب التي وقعت المختار في حركته بعض التوفيق  
وجعلته مستقل بالكوفة استقلالاً لاشائبة عليه . ولقد كان يوسع له لو احسن  
السياسة في هاتيك الربوع ان يتمتع زمناً طويلاً بسيادته وسلطانه . فارتكب  
سلسلة من الاغلاط القادحة رمت بن من شاهق مجده الى الحضيض . فتتلت  
حركته بعد ان كاد يقتطف ثمارها .

اعتمد المختار في دعوته على الفرس بدلا من العرب فأخذ يقربهم ويسند  
اليهم المناصب ويمنل لهم في العطاء . وكان ذلك بعد اشتد ساعده وعظمت  
هيئته . فاعتاظ اشرف السكوفة من عماله وأضمرؤا له أن السوء . واجتمعوا في اعدامه  
واغتياله . فكادهم كيدا عظيما بعد ان منحهم باحسانه وعيهم بعدله وطلب قتلة  
الحسين منهم . فناروا به ثورتهم المشهورة والمعروفة بشورة اهل السبيع والكناسة  
سنة (٦٦ هـ و ٦٨٥ م) : (محللتان في السكوفة) فأخذها وضرب عنق كل من  
شهد مقتل الحسين ، او اشترك في التدبير عليه . وقامت طائفة الموالي والعبيد

تنتقم من اشراف الكوفة لأن فئة كبيرة منهم آذتهم وعاملتهم فيما سلف معاملة قاسية . فاستفاد المختار من عدااء طبقة الموالي لطبقة الاشراف وبعبارة ثانية من عدااء العرب الاشراف للفرس الموالي . فجعل يوسع شقة اختلاف بين الطرفين ويوغر الصدور بالأحتماد لتكون له الطاعة العليا . قال الدينوري : « ٥٥٥ واكثر من استجاب له - للمختار - همدان وقوم كثير من ابناء العجم الذين كانوا بالكوفة فقروض لهم معاوية وكانوا يسمون بالحمرأ . وكان منهم بالكوفة زهاء عشرين الف ٥٥٥ وجمع الف رجل من القعدة بالمعول وتتبع دور من خرج الى قتال الحسين بن علي فهدها وجعل يستقصي من ظفر به منهم وامر ان يكون عطايمهم واموالهم لأبناء العجم الذين كانوا معه ٥٥٥٥ ومكث المختار يطلب قتلة الحسين ونجى اليه الاموال من السواد والجليل واصبهان والرعي واذر بيجان والجزيرة ثمانية عشر شهراً ، وقرب ابناء العجم وفرض لهم ولأولادهم الاعطيات وقرب مجالسهم وباعد العرب واقصاهم وحرهم فغضبوا من ذلك ، الدينوري ص ١٩٧ - ٣٠٦ »

ويقول الطبري في هذا المعنى : ( المختار معه عبيدكم - عبيداهل الكوفة - ومواليكم وكلمة هؤلاء ، واحدة وعبيدكم ومواليكم اشد حنقا عليكم من عدوكم ٥٥٥٥ وانظروا كل من شهد منهم - من اشراف الكوفة - قتل الحسين فاعاموني

به فأخذوا لا يمر عليه برجل قد شهد قتل الحسين الا قيل له هذا ممن شهد  
 قتله فيقدمه فيضرب عنقه حتى قتل منهم قبل ان يخرج مائتين وثمانية واربعين  
 قتيلاً . وأخذ اصحابه كلما رأوا رجلاً قد كان يؤذيهم او يماريهم او يغيرهم  
 خلوا به فقتلوه حتى قتل ناس كثير منهم . . . . . وتجرد المختار لقتلة الحسين  
 فقال ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون احياء ن الدنيا آمنين . . . .  
 الحمد لله الذي جعلني سيفاً ضربهم به ورحماً طعنهم به وطاب وترهم والقائم  
 بحقهم . انه كان حقاً على الله ان يقتل من قتلهم وان ينزل من جعل حقهم فسموهم  
 لي ثم اتبعوهم حتى تقوهم . . . . اطلبوا في قتلة الحسين فانه لا يسوغ لي  
 الطعام والشراب حتى اطهر الارض منهم وأنقي مصر منهم ، راجع الطبري  
 ٧٢ ص ٦٥١ و ٦٦٠ و ٦٦٧ )

فترى ان الضعف الداخلي كان جلياً كل الجلاء في الحركة المختارية .  
 فالتجأ اشرف الكوفة الى مصعب بن الزبير والى البصرة لاختيه عبد الله بن  
 الزبير . وجعلوا يعينون الزبيرين بكل ما لديهم من مال وقوة ، ويشجعونهم  
 على تجهيز حملة يتمتعون بها لسيطرتهم المضاعة واملاكهم المفقودة . فتربص  
 ابن الزبير ليرى ماسيكون بين بني أمية والمختار .  
 وجه المختار لتتال عبداً لله بن زياد «يزيد بن أنس» مع ثلاثة آلاف فارس

فالتقى مع مقدمة الجيوش الاموية في ( بنات تلى ) من اعمال الموصل فقتل  
وانهزم اصحابه ، واخذوا يتسللون ويرجعون الى الكوفة . وقد استقط في يد  
المختار آتئذ الا ان ابن الاشر الشجاع جمع صفوفه وخرج اليهم بجيشه ، وأمر في  
السير حتى جاوز الحدود العراقية واوغل في الموصل فالتقوا في ( بار نيشا ) على  
الغازر . وبينها وبين الموصل خمسة فراسخ . وكانت جموع ابن الاشر  
من الاعاجم حتى لقد روى لنا الدينوري ان عمير بن الحباب احد قادة الشام  
قال له قبيل المعركة : ( لقد اشتد غمي منذ دخلت عسكريك وذلك اني لم اسمع  
فيه كلاماً عربياً وانما ملك هؤلاء الاعاجم وقد جاؤك صناديد اهل الشام  
وابطالهم وهم زهاء اربعين الف رجل . قال ابراهيم : وما قوم اشد بصيرة  
في قتال اهل الشام من هؤلاء الذين تراهم معي وانما هم اولاد الاساورة من  
اهل فارس والمزارية ، الدينوري (ص ٣٠٢) . وقد انضم عمير هذا الى ابن  
الاشتر وكان قيسياً ونادى في قيس بالثارات مريج راهط فنكسوا اعلامهم  
وانهزموا فأعمل ابن الاشر ورجاله السيف في الامويين فذهب الرعب في  
صفوفهم فقتل عبيدالله بن زياد والحصين بن نمير وغيرهما من القادة المشهورين  
وعلم ابن الاشر على الموصل وبغث عماله على سنجار ودارلوميا والاهل من  
ارض الجزيرة . ( للسعودي ص ٣٠٢ )



سطع نجم المختار في الديار العراقية بعد معركة الخازر وتشتيت شمل  
 الجيش الاموي ومقتل قائده عبيدالله بن زياد . ولم يبق أمامه لتأمين استقلاله  
 الا طرد الزبيريين من البصرة وكانوا اصحاب الحول والقوة في الجنوب .  
 كذلك ابن الزبير فانه بعد انكسار الامويين امام المختار رأى ان مجابهته واقعة  
 لا بد منها . فاخذ كل من القرينين يستعد للوثوب بصاحبه ولضربه ضربة قاضية  
 لا يرجو الحياة من بعدها . فارسل ابن الزبير أخاه مصعباً والياً على البصرة  
 ليناظر اعمال المختار ويراقبها مراقبة شديدة . وقد كان الاشراف الكوفيون  
 يستنجدون مصعباً على قتال المختار ويهيتون له أسباب الفتح ويثون الدعوة  
 ضد المبادئ الدينية الجديدة التي قام يؤيدها ، ويقولون انه من الذين يودون  
 القضاء على النفوذ العربي واستبداله بالنفوذ الفارسي . أما يد الزبير البطاشة  
 في قتال المختار فكان المهلب بن أبي صفرة صاحب الوقائع المشهورة مع الخوارج  
 فاستقدمه من فارس ومعه الجموع العديدة والاموال الكثيرة . ويظهر لنا ان  
 ابن الأشرع بعد فتحه الجزيرة اراد استثمار الارباح التي وعده بها المختار في الموصل  
 اتفاقاً فتقاعد عن مساعدته وتهاون في أمره فأجبر على إسناد القيادة في جيشه  
 لأحمر بن شميظ فالتقى الجيشان في (المدار) وتزاحم اشتبكا في معركة  
 دموية قتل بها القائد بن شميظ وقسم عظيم من جموعه ، وتراجعت البقية

الباقية الى الكوفة . ولو دققنا في الاسباب التي أدت الى هذا الانكسار  
 المرعب لتحققنا انها ترجع الى المنافسة الشديدة بين العرب الأشراف أصحاب  
 الأقطاعات الواسعة والموالي عبيدهم . فأحب الكوفيون ان ينتقموا لأتسهم  
 فاستأوا عبدالله بن وهب بن أنس أحد قادة المختار - وهو من اشراف الكوفة  
 ايضاً - وأوعزوا اليه ان يوقع بالموالي والعبيد الفرس فأشار على أحر بن شميظ  
 ان لا يركب هؤلاء الخيل ليثبتوا في ساحة الوغى لدى اشتداد القتال وليصابروا  
 حين الازمة فلا يولوا الادبار على متونها . فعمل برأيه وكار لايتهمه ففتكوا  
 بهم فتكا ذريعاً . ويثبت لنا الطبري مناصحة عبدالله بن وهب بن أنس  
 لابن شميظ وقوله له فيروي : ( ان الموالي والعبيد آل خوزر عند المصدوقة  
 وان معهم رجالا كثيراً على الخيل وازت تمشي فرهم فليزلوا معك فان لهم  
 بك اسوة فاني أخوف إن طوردوا ساعة وطوعنوا وضربوا ان يطيروا على  
 متونها ويسلموك ، وانك ان أرجلتهم لم يجدوا من الصبرُ بدأ . وانما كان هذا  
 منه غشا للموالي والعبيد لما كانوا لقوا منهم بالكوفة فأحب ان كانت عليهم  
 الدبرة ان يكرنوا رجالا لاينجوا منهم احد ولم يتهمه ابن شميظ وظهر انه انما  
 اراد بذلك نصحه ليصبروا ويقاتلوا ، الطبري ٧٦٧ § ٧٢١ ص ) وقد  
 انتقم الأشراف الكوفيون من الموالي انتقاما هائلا فلم يدركوا منهزماً الاقتلوه

ولا أسيراً الا ضربوا عنقه .

فلما علم المختار ما أصاب جيشه في (المدار) صمد لهم في (حروراء) أو (نهر البصريين) وحال بينهم وبين السكوفة وحصن قصره فيها وأدخل اليه المؤن والذخيرة . فحمل عليه أصحاب مصعب حملة شعواء واقتضوا على رجاله وأعملوا فيهم السيف حتى ليصف بعض المؤرخين حالهم بقوله ( كانوا أجنة فيها حريق ، الطبري ٧١ ص ٨٢٧ ) .

فلم يبق امام المختار الا التحصن في قصره ومناوشة اعدائه ولكن كيف يتأني له الفوز والثبات امام مصعب وأهل السكوفة انفسهم من اعظم اعدائه واشدهم بلاء عليه . فكانت لا تخرج فرقة من رجاله من القصر لقتال اذربيين الا رموهم بالحجارة وصبوا عليهم الماء القدر . ثم قطع مصعب عنهم الماء والمادة . اما جيشه فكان يأتيه الامداد بواسطة السفن في القرات . ويروي لنا المؤرخون انه كان يبني سفنه هذه من قصب واسط ولم تكن بنيت بعد ( راجع عن واسط في معجم البلدان ص ١٨٢ : ج ٤ ) واستحكمت الضائقة في صفوف المختار حتى لقد كانت نساء الجند تأتي أزواجهن ببعض القوت فأجبر مصعب ان يضع الحرس لمنع النساء من التقدم نحو الحصن . ويذكر لنا الطبري ذلك فيقول : ( . . . فكانت معاشهم افضلها من انفسهم فكانت المرأة تخرج

من منزلها معها الطعام ولألف والماء، قد التحفت عليه فتخرج كأنما تريد المسجد  
 الأعظم للصلاة وكأنها تأتي أهلها وتزور ذات قرابة لها فإذا دنت من القصر  
 فتفتح لها فدخلت على زوجها وحميها بطعامه وشرابه واطفءه . . . فجعل المصعب  
 دورياً حتى يمنع من يأتيهم من أهلهم وبنائهم . . . وكان القوم إذا اشتد  
 عليهم العطش في قصرهم استقوا من ماء البئر ثم امر لهم الختار بعسل فصب  
 فيه ليغير طعمه فشربوا منه ، الطبري / VII (٤٧ ص ٧٣٤)

ثم استقل الختار وخرج من قصره مع بعض جنده فخر صريعاً .  
 ونزلت بقية الجيش على حكم مصعب فأعدمها وجأها من العجم . وكان يود  
 لو يبقى على العرب ويطلق لهم الحرية فتغلبت عليه العصبية الدينية دون العصبية  
 الجنسية فساقهم جميعاً للموت . وكان مقتل الختار في ١٤ رمضان سنة  
 ٦٤هـ و (٦٨٣ م) وذلك بعد ان ثبت في قصره نحرأ من أربعة اشهر .

والخلاصة اننا قد اسهبنا لك في وصف الأسباب التي دفعت ابن الزبير  
 لمطالبة الأمويين وكفاحهم كفاحاً مستمراً . اما سياسة الشدة التي اتبعوها  
 فيما بعد فقد جعلت ابن الزبير وامثاله يسقطون امامهم الواحد اثر الآخر  
 وسنأتيك في الفصل التالي على ايراد اشكال هذه السياسة وتطوراتها . ا. هـ .



## الفصل الرابع

### سياسة الشدة ومظاهرها

الأصويون والشدة ، مظاهر سياسة الشدة ، عبد الملك وعمرو بن  
سعيد بن العاص ، القضاء على الحركة الزبيرية في العراق والحجاز ،  
انفجارات الثورة الأُسَينِيَّة ، الأسباب التي هبَّت ثورة ابن الأُسَينِيَّة في  
العراق ، الأصويون بموقفهم العراقيين دوماً للقتال ، قسوة الولاة  
الأصويين في العراق ، البتراء خطاب فنان بن عبد الله القسري في مكة ،  
خطب عثمان بن ميانة المري في المدينة ، أشهر خطب الحجاج بن يوسف  
في العراق ، ابن الأُسَينِيَّة طموح يسعى إلى الاستقلال ، انحصار الولاة  
الأصويين في العراق ونفاذهم في تنفيذ سياسة الشدة ، الحجاج بن  
يوسف ، حياته ، أعماله .

أقدم الامويون على اتباع سياسة الشدة والأتهم على الفتنة بعد ان سادت  
القوضى في الاقطار العربية وعتت الثورة مختلف الساحات الشامية والعراقية  
والمجازية . فلو أجلت نظرك في خارطة البلاد الاسلامية لرأيت ان الزعماء  
كانوا ينازعون المركزه الاموية نزاعاً عظيماً ويسعون جهدهم للأستقلال والمحافظة  
على نفوذهم . فوطد ابن الزبير اركان دولته في الحجاز والعراق وساعد التوابين  
وانصار المختار والازرقه . فراح هؤلاء جميعاً يلتقون بذور الفتنة من أقصى  
فارس الى أقصى مصر ويحرضون الناس على خلع الامويين واستئصالهم .  
واذالملا سموا لأن يضربوا آل امية بعضهم ببعض فازهرت جهودهم وكادت  
تثمر لولا سياسة الشدة التي اتبعها عبد الملك بن مروان وولاه .  
تظهر سياسة الشدة الأموية حسب اعتقادنا في مظاهر اربعة لابد لنا من  
تفصيلها وبيان حتميتها . فالظهر الأول هو بطش عبد الملك بن مروان بالزعماء  
الشاميين وعلى رأسهم عمرو بن سعيد بن العاص ، اولئك الذين ارادوا  
الاحتفاظ بحقوقهم السياسية وابتغوا تحطيم التاج الرواني باية وسيلة ممكنة .  
واما المظهر الثاني فهو الانتقام من الزبيريين واخزلهم انتقاماً هائلاً يريك  
ان المصلحة السياسية لارحم صديقاً ولا تشفق على خليل بل تدبج كل من  
يقف عثرة في سبيلها . واما المظهر الثالث فهو اخفسات الثورات الداخلية

واشهرها ثورة ابن الاشعث بالدم والحديد . واما المظهر الرابع فهو اخلاص الولاة الامويين وفي طليعتهم الحجاج بن يوسف اخلاصاً تاماً في تنفيذ هذه السياسة .  
تسم عبد الملك بن مروان عرش الخلافة سنة ٦٦ هـ ( ٦٨٥ م ) فعول على البطش باعدائه حيثما كانوا وياشر الامور بنفسه فلم يكلفها الى غيره .  
ومما لا ريب فيه ان اعتناء عبد الملك بمراقبة كل صغيرة وكبيرة من شؤون دولته ايقظ النفوس الباحجة وعرفها معنى التدبير والحزم .

### ( ١ ) عبد الملك وعمرو بن سعيد بن العاص :

لم يكد عبد الملك يدير احكام دولته حتى قام عمرو بن سعيد بن العاص وهو من الزعماء الامويين المعروفين الذين كانت لهم يد قوية في تثبيت دعائم الحكم الرواني - يطالب بالخلافة ويدعي انها من حقه وان مروان بن الحكم اوصى له بها . وانقسمت الاحزاب الاموية الى فرقتين، فرقة تؤيده وتناصره، وفرقة تهوى هوى عبد الملك وتسعى لنشر لوائه . فدخل العقلاء بينهما قبل ان تشتعل نيران حرب عديدة طاحنة، وبنوا لها ما يصيب الامويين من جراء هذه الفتنة واطهروا خطورة موقفهم تجاه الاعداء المحققين بهم . فتوصلوا الى عقد معاهدة بين الطرفين موادها ما يأتي :

المادة الاولى : يتفق عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد ان يكونا

مشاركين في الملك فيكون مع كل عامل لعبد الملك شريك لعمر بن سعيد .  
 المادة الثانية : يتسمى عبد الملك باسم الخلافة . فن مات عبد الملك  
 فانخليفة من بعده عمرو بن سعيد .

المادة الثالثة : لا يتطوع عبد الملك شيئاً دون عمرو بن سعيد ولا ينفذ امرأ  
 إلا بحضوره « راجع الدينوري ص ٢٩٤ ، وابن قتيبة ج ٢ ص ٢٥ »

لو درسنا هذه المعاهدة درساً دقيقاً لتحققنا ان هذه الشروط التي عقدت  
 بين الطرفين لا يمكن تنفيذها اذ لم يسبق ان رأينا في التاريخ الاسلامي خليفتين  
 لكل منهما عامل في الولايات . وهل من المعقول ان لا يشتبك انصار الطرفين  
 في معارضة بعضها البعض فتصبح الفوضى هي الحاكمة الناهية بدلاً من السيدتين  
المطلقين . ثم اننا لو اضعنا هذا الى ما نعرفه من صلاحية عبد الملك وجهه الشديد  
 لادارة زمام الدولة بنفسه لتأكدنا ان عبد الملك لم يقدم على تصديق هذه  
 المعاهدة الا ليطاول عدوه ويجد فرصة ينتهزها <sup>عليه</sup> للوثوب . قال الدينوري في  
 هذا المعنى : ( . . . ) وكان روح بن زنباع من أخص الناس بعبد الملك فقال له  
 وقد خلا به يوماً يا امير المؤمنين هل من رأيك الوفاء لعمر ، فقال ويحك يا ابن  
 زنباع ، وهل اجتمع فخلان في هجمة قط الا قتل احدهما صاحبه ، الدينوري  
 ص ٢٩٤ ) وكان عمرو بن سعيد رجلاً معجباً بنفسه متهاوناً في أمره مغتراً



بأعدائه فساعد ذلك عبد الملك على كيدته والتدبير عليه ، (الدينوري ص ٢٩٤)  
 صمم عبد الملك على اغتيال عمرو بن سعيد بن العاص فأدنى مجلسه  
 وقرّبه وأحسن إليه ولم يرد له أمراً فارتاح هذا لسياسته ، فدعاه مرة إلى  
 قصره فقدم آمناً مطمئناً فغدر به وذبحه عبد الملك بيده ذبح النعاج . ولما  
 قدمت فئمة من انصاره لتثأر له رمى عبد الملك بيدر الأموال اليها مع رأس القتيل  
 فاهتموا بجمعها والتقاطها . فكان للاصفر الزّمان التأثير الكبير على نفوسهم  
 حتى انهم لم يخفوا بالرأس . وقد وصف لنا الطبري والدينوري هذا الحادث  
 وصفاً دقيقاً فقال الأول : ( بعث عبد الملك الى عمرو أن اثني ٥٠٠٠ ومضى  
 في مائة رجل من مواليه وقد بعث عبد الملك الى بني مروان فاجتمعوا عنده  
 فلما بلغ عبد الملك انه بالباب أمر أن يجبس من كان معه وأذن له فدخل ولم  
 تزل اصحابه يجبسون عند كل باب حتى دخل عمرو قاعة الدار وما معه الا  
 وصيف له ، فرمى عمرو ببصره نحو عبد الملك فاذا حوله بنو مروان... فلما  
 رأى جماعتهم أحسن بالشر... ثم أمر بالابواب فغلقت . ودخل عمرو  
 فرحب به عبد الملك وقال هاهنا يا ابا أمية يرحمك الله، فأجلسه معه على السرير  
 وجعل يحدثه طويلاً ثم قال يا غلام خذ السيف عنه ، فقال عمرو انا لله  
 يا أمير المؤمنين، فقال عبد الملك أو تطمع أن تجلس معي متقلداً سيفك فأخذ

السيف عنه ..... أمر عبد الملك بعمره فصرع وجلس على صدره  
فذبجه ... وانتفض عبد الملك رعدةً فحمل عبد الملك عن صدره فوضع على  
سريره ، الطبري ٧ ص ٧٨٣ - ٧٩١ )

وقال الثاني : ( ..... وأحس اصحاب عمرو بذلك وهم بالباب فتنادوا  
فأخذ عبد الملك خمسمائة صرة قد هيئت وجعل في كل صرة الفادرم فأمر  
بها فأصعدت الى اعلا القصر فألقيت الى اصحاب عمرو مع رأس عمرو فترك  
أصحابه الرأس ملقى وأخذوا المال وتفرقوا . . ثم أخذ عبد الملك من اصحاب  
عمرو ومواليه خمسين رجلاً فضرب اعناقهم وهرّب الباقيون فلاحتموا بعبد  
الله ابن الزبير . الدينوري ص ٢٩٤ - ٢٩٥ )

لم تفكر البتة ان يقوم عبد الملك بذاته و يصرع عمرو بن سعيد ولكن  
هي سياسة الشدة والرهبه فلا تبقي على احد يقف في سبيلها . وقد اعترف  
عبد الملك بذلك فصرح لابناء عمرو بن سعيد حين قدموا عليه بقوله : « ان  
أباكم خيرني بين ان يقتلني أو اقتله فاخترت قتله على قتلي . واما اتم فما  
ارغبني فيكم واوصلني لقرابتكم وارعاني لحقكم ، الطبري ٧ ص ٧٩٥  
ص ٧٩٥ . » راجع عن عمرو بن سعيد في البيان والتبيين ج ٣  
ص ٢٢٩ - ٢٣٠ » .

## (٢) القضاء على الحركة الزبيرية في العراق والحجاز :

صفت الاحوال لعبد الملك في الشام واستقرت له الامور بعد مقتل عمرو بن سعيد وإعماله السيد في اتباعه، فوجه وجهه نحو العراق المضطرب بنيران القتل والقوضى . وكان مصعب والياً عليه لأخيه عبد الله بن الزبير فبذل جهده في تهدئة الثورات وارضاء الزعماء . ولكن كان الخرق قد اتسع فأصبح العراق مقراً لاختلاف الشيع السياسية المتضاربة في آرائها ومبادئها . فتمكنت الازارقة من بث دعوتها في البصرة ، ورتع انصار المختار وفلول التوابين في الكوفة والمدائن ، وقام الأمويون بسعون لاستجلاب أحزاب تؤيدهم ، ولذلك كان 'حكم العراق على مصعب امراً عسيراً ، وقد اراد عبد الملك ان يضرب مصعباً ضربة قاسية وان يستفيد من الاضطراب السائد في بلاد الرافدين فجهز جيشاً قوياً وسار به نحو العراق وناجز مصعباً في معركة ( دير الجالليق ) على الدجيل فجاز عليه وقتله واحتز رأسه سنة ٧١ هـ « ٦٩٠ م »

وانا لنعتقد ان عبد الملك فاز على مصعب وقضى على الحركة الزبيرية في العراق للأسباب الآتية :

اولاً : انتهز عبد الملك الفرصة وهاجم الزبيريين في العراق قبل ان يحموا عليه في عرينه الشام « فتعشى بهم قبل ان يتغنوا به » ويكون لهم الوقت

الكافي للأستعداد . وقد أكد لنا الدينوري ذلك فقال : ٥٠٠ . ولما صفا الأمر لعبد الله ابن الزبير ودانت له البلدان الارض الشام ، جمع عبد الملك بن مروان اخوته وعظماة أهل بيته فقال لهم : ( ان مصعب بن الزبير قد قتل المختار ودانت له ارض العراق وسائر البلدان واست آمنه ان يغزوكم في عقر داركم ، ومامن قوم غزوا في عقر دارهم الا ذلوا فما ترون ؟ فتكلم بشر بن مروان فقال يا امير المؤمنين أرى ان تجمع اليك اطرافك وتستجيش جنودك وتضم اليك قواصيك ، وتسير اليه وتلف الخيل بالخيال والرجال بالرجال والنصر من عند الله ، فوجه رسله الى كور الشام ، الدينوري ص ٣١٦-٣١٧ )

ثانياً : اسمعنا عبد الملك الكثيرين من اشياخ مصعب فوعدهم بالصلوات الحسنة والمناصب السنية فالتحق قوم من جنسده بعبد الملك يوم معركة دير الجائلق . واعتزلت ربيعة عنه . ولم يثبت معه الا أهل الحفاظ ، وابراهيم بن الاشرق قائد المختار المشهور ، وكان قد انضم الى مصعب بعد ان اختلف مع المختار وأسند هذا الأخير قيادة الجند المختارية لأحمد بن شميطة . ولدينا من الوثائق التاريخية ما يؤكد لنا ان ابن الاشرق احب الانضمام الى عبد الملك والتخلي عن مصعب اذ وعده الامويون بالعراق . وهالك اعترافه الصريح بهذا المعنى : ( رأيت اتباع أهل الشام . . . ولكن ليس قبيلة تسكن الشام الاً



وقد وترتها. الطبري ص ٢٧٤٣ V ٢ S )

ثالثاً : احب العراقيون الاخلاذ الى الراحة والسلام خصوصاً بعدما رأوا ضعف الزبيريين امام القوى الاموية ، وما حلّ ببلادهم من الخراب والدمار حينما اصبحت ساحة للقتال . فهموا بغدر مصعب والاستسلام لعبد الملك . يدلنا على ذلك ما قاله قيس بن الهيثم يحرضهم على الثبات ويحذرهم من الشاميين بقوله : « ويحكم لاندخلوا أهل الشام عليكم فوالله تطمعوا بعيشكم . . ليضيقن عليكم منازلكم ، والله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة يفرح ان ارسله في حاجة ولقد رأيتنا في الصوائف واحدنا على الف بعير وان الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه ، الطبري V ٢ S ص ٨٠٦ »

رابعاً : كان مصعب بطلاً وقد شهد له بذلك عبد الملك نفسه ولسنا بحاجة الى اثبات شجاعته فقد روى الفخري ان عبد الملك قال : « يوماً جلسنا به من اشجع الناس ، قلوا انت قال لا ، لكن اشجع الناس من جمع في داره بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين يعني مصعباً ، الفخري ص ١١٣ . »

ومع هذا كله فلم يستصحب معه القادة الأكفاء اصحاب البصر في الحروب والدرية في قيادة الجند كالمهلب بن ابي صفرة وغيره ، فقد ذكر لنا الطبري انه : « أخبر ابن خازم بمسير مصعب الى عبد الملك فقال أمعه عمر بن عبيد

الله بن معمر، قيل لا، استعماله على فارس، قال أفعه المهلب بن أبي صفرة، قيل لا، استعماله على الموصل. قال أفعه عباد بن الحصين، قيل لا، استخلفه على البصرة فقتل وانا بخراسان :

خذي نبي فخر نبي جعار وأبشري بلحم امري لم يشهد اليوم ناصره  
الطبري ٧ ص ٨٠٧ «

ولم يكن لمصعب علم بالفنون الحربية وان ربي في يدت شجاعته وفروسية، بينما كان عبد الملك شاباً مذبذباً مارس القتال وشهد المبارك وعرف ابواب الحيلة فيها على انواعها .

خامساً : قاد عبد الملك من الشاميين كل قادرٍ على حمل السلاح . وقد أجبر في بعض الأحيان على استعمال القسوة مع الذين ارادوا التخلف عن القتال والانزواء في بيوتهم حباً بالعافية والسلامة . فكان له جيش عديد حتى انه « لما نظر اصحاب مصعب الى كثرة جموع عبد الملك توالكوا وشملهم الرعب ،الدينوري ص ٣١٧ » . اما ساعد عبد الملك القوي في تجنيد الجند وتجهيز الجيوش فكان الحجاج بن يوسف ،فاستعمل هذا الشدة مع المتقاعسين عن القتال . وقد أكد لنا ذلك العقد القريني فقال : ( لما استقرت البيعة لعبد الملك اراد الخروج الى مصعب فجعل يستنفر اهل الشام فييظنون عليه فقال له

الحجاج بن يوسف سلطني عليهم فوالله لأخرجهم معك. قال له قد سلطتك عليهم فكان الحجاج لا يمر على باب رجل من اهل الشام قد تخلف عن الخروج الا أحرق عليه داره. فلما رأى ذلك اهل الشام خرجوا ، العقيد القريد

( ج ٣ ص ١٥٥ )

ولما تم لعبد الملك الاستيلاء على العراق بعث عماله على البلاد واكثر الحامية في مصرين وبذل للناس في العطاء . وقد أقام حفلة كبرى في الخورزرق بعد استيلائه على الكوفة دعى اليها الاشراف والوجه فجلسوا معه وتحادثوا واياهم . ثم مدت الموالد فأكلوا وشربوا ، وطاف القصر يشاهد اثاره الباقية واطلاله الدارسة ، ويمكننا ان نعد هذه الحفلة من الوجهة السياسية ، الفصل الأخير من فصول الحركة الزبيرية في العراق .

### القضاء على الحركة الزبيرية في الحجاز :

خفقت الاعلام الاموية على العراق بعد ان قتل عبد الملك صديقه وعشير صباه مصعباً جباراً بتوطيد ملكه وتنفيذاً لسياسة الشدة التي اتخذها غايته الاولى وهدفه الذي لا هدف بعده في ادارة احكام الدولة. نعم لم يبق امامه الا ابن الزبير في الحجاز فوضع نصب عينيه مقاومته والقضاء على حركته . وقد ساعده على ذلك عوامل ثلاثة :

العامل الاول : خضعت العراق لعبد الملك فأسقط في يد ابن الزبير  
 اذ حرم منها الرجال والذخيرة والمادة فأصبح جيشه في حل بأئسة لاسيما وكلنا  
 يعلم فقر الحجاز ونضوب مواردها . وقد وصف مشاهد غنى الجند الأموي  
 الذي وجهه عبد الملك الى مكة فقال : ( واصحابه - للحجاج قلند الحملة -  
 متسلحون ورأيت الطعام عندهم كثيراً ورأيت العير تأتي من الشام تحمل الطعام  
 والكمك والسويق والدقيق فرأيت اصحابه مخصيب ولقد ابتعنا من بعضهم  
 كعكا بدرهم فكفانا الى ان بلغنا - الجحفة - وانا لثلاثة قمر ، الطبري  
 ٧٢ ٢ ٥٩ ص ١٣١ ) .

العامل الثاني : أحب الحجازيون بحكم السابقة الأستسلام للامويين  
 بعد ان هدأت العراق ورضخ سكانها للحكم الاموي . فتخلوا عن ابن الزبير  
 وأعلموه ان مصيره للهلاك إذ من العبث مقاومة عبد الملك وهم فقراء معدمون  
 فوصف لنا مشاهد عياني ايضاً كيفية خذلان الحجازيين لابن الزبير فقال :  
 ( رأيت ابن الزبير يوم قتل وقد تفرق عنه أصحابه وخذله من معه خذلاناً  
 شديداً وجعلوا يخرجون الى الحجاج حتى خرج اليه نحو من عشرة آلاف .  
 وذكر انه كان ممن فارقه وخرج الى الحجاج ابناه حمزة ومُخيب فاختداه منه  
 لاقسهما آمانا . الطبري ٧٢ ٢ ٥٩ ص ١٤٥ ) وعاجل عبد الملك ابن الزبير



ليضعف قوى الحجاز بين المعنوية فارسل اليه الجيوش وقد فعل ذلك عملاً  
 برأي الحجاج فقال له : ( انك يا امير المؤمنين متى تدع ابن الزبير يعمل فكره  
 ويستجيش ويجمع انصاره وتثوب اليه فلا له ، كان في ذلك قوة له فأذن في  
 معاجلته لي فأذن له . الدينوري ص ٣١٩ )

**المامل الثالث** : بخل ابن الزبير على اصحابه ورجاله ففرقوا عنه وتفرّبوا  
 من الأمويين الذين أسرفوا في شراء دين الناس واجتذاب قلوبهم . وقد  
 ذكر لنا عبد الملك انه تغلب على ابن الزبير لخصال ثلاث استحكت فيه وهي  
 ( عجبٌ قد ملأه واستغناءٌ برأيه وبخلٌ التزمه فلا يسود بها ابداً . ابن قتيبة  
 ج ٢ ص ٤٣ ) .

والحقيقة التي نود تقريرها ان بخل ابن الزبير جعل الاحزاب العراقية  
 وغيرها تتخلى عنه وتنضم الى الأمويين . وقد ذكر لنا العقد الفريد ان  
 الوفود السكوفية كانت تقدم عليه ولا تحظى بشيء من المال . قال : ( لما قتل  
 المصعب بن الزبير المختار بن ابي عبيد خرج حاجاً فقدم على اخيه عبد الله بن  
 الزبير بمكة ومعه وجوه أهل العراق فقال له يا امير المؤمنين ، جئتك بوجوه  
 أهل العراق ، لم ادع لهم بها نظيراً لتعطيهم من هذا المال . قال : جئتني بعبيد  
 أهل العراق لأعطيهم مال الله ، والله لافعلت . فلما دخلوا عليه واخذوا

بجملتهم قال لهم : يا أهل الكوفة وددت والله ان لي بكم من اهل الشام  
 صرف الدينار والدرهم بل لسكل عشرة رجلا . قال عبيدالله بن طيمان أدري  
 يا امير المؤمنين ما مثلنا ومثلك فيما ذكرت . قال وما ذلك : قال فان مثلنا  
 ومثلك و مثل اهل الشام كما قال أعشى بكر بن وائل :

علمتها عرضاً وعلات رجلاً غيري وعلق اخرى ذلك الرجل  
 أحيفناك نحن ، وأحيت اذت أهل الشام ، وأحب اهل الشام عبدالمالك .  
 ثم انصرف القوم من عنده خائبين . فسكاتبوا عبد الملك بن مروان وغدروا  
 بمصعب بن الزبير . العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٩ )

كانت هذه العوامل كلها تعمل للقضاء على الحركة الزبيرية فبعث عبيد  
 الملك الحجاج بن يوسف قائداً للحملة الحجازية وعددها سبعة آلاف ، فسار  
 من العراق حتى نزل بالطائف . وكانت رحى المعارك تدور على جبل عرفة بين  
 الفريقين الى ان تم للحجاج حصر ابن الزبير في السكبة . ثم تحصن الامويون  
 في جبل أبي قيس ورموا منه السكبة بالمنجنيق . وجعلوا يدخلون عليه المسجد  
 فيشد عليهم الى ان قُتل سنة ٥٧٣ هـ (٦٩٣ م) وكان حصر الحجاج لابن الزبير  
 نحواً من ثمانية اشهر .

وأظهر عبد الله بن الزبير من ضروب الشجاعة في ثباته على القتال

مازل - حديث العرب بعد مماته زماناً طويلاً . واثبت المؤرخون موقفه في ساعاته  
 الاخيرة واجتماعه بأمه اسماء بنت ابي بكر وتحريضها اياه على الثبات في سبيل  
 المبادي التي قضى لأجلها اتباعه . وتدلتنا الاحاديث المؤثرة التي جرت بين  
 الأم ولدها على البطولة النسوية المشبعة بروح العربية وحرارة الاسلام .  
 وهالك حديثهما :

« عبد الله ابن الزبير - خذلني الناس حتى ولدي وأهلي فلم يبق معي  
 الا اليسير ممن ليس عنده من الدفع اكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما اردت  
 من الدنيا فما رأيك ؟

اسماء بنت ابي بكر - انت والله يا بني اعلم بنفسك ان كنت  
 تعلم انك على حق واليه تدعو فامضي له فتمت قتل عليه اصحابك ،  
 ولا تتمكن من رقتك يتلعب بها غلمان بني امية ، وان كنت ، انما اردت  
 الدنيا فبئس العبد انت اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك وان قلت ،  
 كنت على حق فلما وهن اصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الاحرار ولا اهل  
 الدين . وم خلودك في الدنيا . القتل احسن .

عبد الله بن الزبير - هذا والله رأيي والذي قت به داعياً الى يومي  
 هذا ، ما ركنت الى الدنيا ولا احييت الحياة فيها وما دعاني الى الخروج  
 الا الغضب لله ان يستحل حرمة ، ولو كنتني انجيت ان اعلم رأيك

فردتيني بصيرة مع بصيرتي ، فانظري يامه فاني مقتول من يومي هذا، فلا يشتد حزنك وسلمي لامر الله. فان ابنك لم يتعمد اتيان منكرو ولا عملاً بفاحشة، ولم يجره في حكم الله ولم يغدر في امان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل انكرته . ولم يكن شي . آثر عندي من رضى ربي . اللهم اني لا اقول هذا تزكية مني لنفسي . انت اعلم بي ولكن اقوله تعزية لأمي لتسلو عني .

اسماء - اني لأرجو من الله ان يكون عزائي فيك حسناً أن تقدمتني وان تقدمتك ففي نفسي أخرج حتى انظر الى ما يصير امرك .  
عبد الله - جزاك الله يامه خيراً ، فلا تدعي الدماء لي قبل وبعد .

اسماء - لا ادعه ابداً فمن قتل على باطل فقد قتل على حق . اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطه يل ، وذلك النجيب والظأ في هواجر المدينة ومكة وبرة باييه وبني . اللهم قد سلمته لامرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين . الطبري ٢ : ٢٢٥ ص

١٤٦ - ٨٤٧ «

وردد عبد الله ابن الزبير في آخر ايامه هذا البيت :

لسنا على الاعقاب تدمي كلو منا  
ولسكن على اقدامنا تقطر الدماء



وتمادى الحجاج في الانتقام من ابن الزبير فانه سلخ جلده وحشاه تبناً  
 وصلبه ( مختصر الدول ص ١٩٣ ) فتخلص الامويون بموته من عدو رهيب  
 جبار .

### ( ٣ ) افكات الثورة الاستيعبية :

كان العراق مركز المعارضة ومحرك الثورات ضد الامويين . فالتجأ اليه  
 زعماء الاحزاب الغاضبة من مختلف الجهات . ولا بد لنا من التول ان العراقيين  
 كانوا دوماً يتوقون للاستقلال ويحنون الى استلام زمام الاحكام ويودون لوتنتقل  
 الخلافة الى مصرهم ليصب حوا ليد العاملة في الحكومة العربية . فصادفوا من تشجيع  
 الاحزاب المعارضة ما جعلهم ينتهزون الفرص للقيام في وجه الدولة الاموية  
 كما كانت تسنح الايام بذلك . فعلم عبد الملك ذلك فيهم حق العلم فالتجأ الى  
 القوة في سياستهم وعزز الحامية الاموية في بلادهم . فتك بالمعارضين المشاغبين .  
 ان هذه التدابير كلها لم تجده . فعا لأن للقوة تأثيراً وقتياً لا بد ان يزول حين  
 يرتفع كابوسها . وانا نعتقد ان الاسباب التي دعت العراقيين للثورة ودفعتهم  
 لنصرة عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث وغيره من الزعماء ، تنحصر في عوامل  
 لا بد لنا من درسها وتدقيقها .

**العامل الاول :** الامويون يسوقون العراقيين دوماً للقتال :

جند الامويون اهل المصيرين ودفعوهم الى مجاهل البلاد القارسية  
 والتركستانية السحيقة لفتحها واعلاء كلمة الاسلام فيها ، كما يأمونوا شرهم  
 وقلقلهم في بلادهم فانهم طالما التحقوا بالزعماء النافخين في بوق الاتصال عن  
 المركزية الاموية والداعين الى نصره آل البيت والمطالبة بحقهم في الخلافة .  
 وصرح لهم الحجاج مندوب عبدالملك السامي في العراق بهذه الحقيقة علنا  
 فذكر لهم ان الدواء الناجع لقتل جرثومة الفوضى والثورة هو ارسالهم للفتح والغزو .  
 فتستثمر الدولة قواهم الكامنة في الاعمال الصالحة بدلا من تحميلها مالا قبل لها به  
 من الفساد فقال : ( يا اهل العراق اني لم اجد لكم دواء ادوا الدائكم من هذه المغازي  
 والبعوث لولا طيب ليلة الاياب وفرحة القفل فانها تعقب راحة ، واني لا اريد  
 ان ارى الفرح عندكم ولا الراحة بكم وما اراكم الا كارهين لمقاتلي . انا والله  
 لرؤيتكم اكره ولولا ما اريد من تنفيذ طاعة امير المؤمنين فيكم ما حملت نفسي  
 مقاساتكم ، والصبر على النظر اليكم . والله اسأل حسن العون عليكم ، العدة القريد

ج ٢ ص ٣٠١ )

اتبع الحجاج هذه السياسة فجهز من العراقيين جيشاً قوياً يبلغ عشرين الفاً  
 لفتح تركستان ومناجزة الاترك . وقد اسند قيادة هذا الجيش لعبد الرحمن  
 بن محمد بن الاشعث احد الزعماء الطموحين . فسار الى بلاد الترك وجعل

يفتح مدنها ويضمها اليه ويبحث اليها عماله ويضع الارصاد على الشعب والمسالح  
 في الامكنة المختلفة . وكان من رأيه ان لا يتقدم ويوغل في الفتح حتى  
 يتعرف المسلمون اليها ويجترئون على طرفها . ثم يعمت فيها بعد ذلك  
 غزواً ويضربها ضربة قاضية . فلا يجازف بارواح المسلمين ولا يرمي  
 بهم في التهلكة ولا يسوقهم الى الموت . فغضب الحجاج لهذه الخطة التي  
 سلكها ابن الاشعث فضعف رأيه وكتب له ( ١٠٠٠ ) اني لم اعد رأيك الذي  
 زعمت انك رأيت رأي مكيدة ولكني رأيت انه لم يملك عليه الا ضعفك  
 والتيال رأيك فانضي لما امرتك به من الوغول في ارضهم والهدم لمصونهم  
 وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ، الطبري ٢٧٤ ص ١٠٥٢ - ١٠٥٣ )

ولم يبحث الحجاج على الكتابة لابن الاشعث بمثل هذه اللغة القاسية  
 الا السياسة التي تقول بالفتح مهما كلف هذا الفتح من الضحايا لاسيما ان كانت  
 « على حساب » العراقيين الغاضبين في عرف الحجاج . فعول ابن الاشعث  
 على رفع راية العصيان ورمي أوامر الحجاج عرض الحائط فاعتلى منبر الخطابة  
 في جيشه وصرح لهم انه لم يدفعهم الى المجاهل السحيفة في تركستان جبا  
 بالمحافظة على ارواحهم وان خطته التروي في درس احوال البلاد وجغرافيتها  
 قبل الاقدام على فتحها دفعة واحدة . ثم استنهض مميمهم ووصف لهم ما قاساه

اسلافهم من المذلة والمهانة وما اصابوه من الجوع والبؤس فقال من خطاب له :  
 ( يا ايها الناس اني لكم ناصح ولصالحكم محب ، ولكم في كل ما يحيط بكم نفعه  
 ناظر وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأي استشرت فيه ذوي  
 احلامكم واولي التجربة للحرب منكم فرضوه لكم رأياً ورأوه لكم في العاجل  
 ولاجل صلاحاً وقد كتبت الى اميركم الحجاج ثناء في منه كتاب  
 يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في ارض العدو وهي البلاد  
 التي هلكت اخوانكم فيها بالأمس وانما انا رجل منكم امضي اذ مضيتم وآبي اذا  
 ايتم . فثار اليه الناس فقالوا لا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع ولا نطيع .  
 الطبري ٧ ٢٧٢ ص ١٠٥٣ - ١٠٥٤ ) .

وقام احد المفوهين من الزعماء المقربين لابن الاشعث وبين للجند طمع الحجاج ،  
 واهتمامه بالفنائم قبل اهتمامه يارواح المسلمين ووجوب بيعتهم لقائدهم الشجاع  
 وجهاد الحجاج بدلا من جهاد عدوهم . فقال : ( ..... ان الحجاج والله  
 ما يبالي أن يخاطر بكم فيحكمكم بلاداً كثيرة اللهب والصوص فان ظفرتم  
 ففنتم اكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه وان ظفر عدوكم  
 كنتم انتم الأعداء الذي لا يبالي عنهم ولا يفتي عليهم . اخلعوا عدو الله  
 الحجاج وبايعوا عبد الرحمن فاني اشهدكم اني اول خالع فنادى الناس من كل



جانب فعلنا ففعلنا . قد خلعنا عدو الله ، الطبري (٧ ص ١٠٥٤) والغريب ان ابن الأشعث لم يُقدم في البدء على خلع عبد الملك بل ظل متردداً حتى قدم فارس . ثم تمّ رأيه على خلعه أيضاً والمناداة بنفسه خليفةً للمسلمين يدلنا هذا ان ابن الأشعث حينما اقترب من فارس والعراق لدى رجوعه وجد الأفكار مهينةً للثورة ولقبول زعيمٍ نشيط يعرف كيف يقود الأمة في جهادها ضد الامويين وولايتهم العتاة . وقد بايعه الناس على كتاب الله وسنة نبيه وخلع أئمة الضلالة وجاهد الخليلين .

**العامل الثاني :** الولاة الامويون في العراق وقسوتهم :

أسند الامويون ولاية المصريين الى رجال قساة لا يعرفون الرحمة ولا تتخلل الشفقة الى قلوبهم فاتبعوا سياسة الشدة بحذاق فيرها ، وراحوا يتهمون الناس على الظنة فجردوا السيف على الرؤوس واعملوا السوط في الظهور وجعلوا السجن مقبرة للزعماء المعارضين ولو تصفحنا تاريخ الولاة الامويين في العراق امثال زياد ابن ابيه وعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف وغيرهم لتحققنا ان ملك بني أمية لم يقم الا على سيوفهم ولم تتوطد اركانه الا على اسنهم فمنعوا الشعب ان ينتقد سياسة الحكومة ، أو يندد باعمال رجالها أو يستد سهام غضبه الى مبادئها . وكانوا يحرصون على ذلك حرصاً شديداً حتى أنهم أجبروا مراراً على

ارتكاب كثير من الفظائع في سبيل تنفيذ هذه السياسة ، وقطعاً لألسنة  
الناس المريرة . وسادت سياسة القسوة في الحجاز ايضاً فخرءوا على الحجازيين  
ايواء العراقيين المعارضين للحكومة الأموية في بلادهم وهددوا من يخالف  
هذه القوانين بالاعدام ، واني مورد لك اشهر الخطب التي عثرت عليها  
لهؤلاء الولاة لتتعرف تماماً الى ما تقصد بسياسة الشدة والارهاب ولتفهم  
معنى خنق الحرية الكلامية والسياسية خنقاً لا حياة لها من بعده .

اسهر قطبة لزياد بن ابيم في البصرة . وتعرف بالبراء :

( . . . ) اما بعد فان الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والعمى الموفى  
بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم وتشتمل عليه حملواكم من الامور العظام  
ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير . . . ولا تذكرون انكم  
اخذتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه . من ترككم هذه المواخير  
المنصوبة والصفقة المساوية في النهار للبصر والعدد غير قليل .الم يكن منكم  
نهاة تمنع الغواة عن دبل الليل وغارة النهار . . . ما انتم بالعلماء ، ولقد  
اتبتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم  
الاسلام . . . اني رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به اوله ، لين  
في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ، واني لا قسم بالله لا خذن الولي بالمولى ،

والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدير، والصحيح بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم  
 اخاه فيقول انج سعيد فقد هلك سعد، او تستقيم لي قناتكم... وايادي ودعوى  
 الجاهلية فاني لا اجد احداً دعا بها الا قطعت لسانه وقد احدثتم احداثاً لم تكن  
 وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوماً اغرقناه، ومن حرق قوماً  
 احرقناه، ومن تقب بيتاً تقبنا عن قلبه، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً،  
 فكفوا عني السنتكم وايديكم اكف عنكم يدي ولساني، ولا يظهروا من احدكم  
 ريبة بخلاف ما عليه عامتكم ضربت عنقه... ايها الناس انا اصبحتنا اكم  
 ساسة... نسيكم سلطان الله الذي اعطانا. وننود عنكم في الله الذي  
خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا وانكم علينا العدل فيما ولىنا...  
 واعلموا ان مهما اقصر فيه فلن اقصر عن ثلاث، لست محتجباً عن اطالب  
 حاجة ولو اتاني طارقاً بليل، ولا حابساً عطاءً ولا رزقاً عن ابانه، ولا مخدماً  
 لكم بعتاً فادعوا الله بالصالح لا تمتكم فانهم سياستكم المؤدبون ليكم. وكهفكم  
 الذي اليه تاوون ومتى يصلحوا تصلحوا، ولا تشربوا قلوبكم بفضهم فيشتد  
 لذلك أسفكم... وايم الله ان لي فيكم لصيرعى كثيرة فليحذر كل امري  
 منكم ان يكون من صرعاي. العقدة القرية ج ٢ ص ٣٧٧ - ٣٧٨ )

من خطاب لخادم بن عبد الله القسري والي مكة في عهد الوليد :

(يا ايها الناس: اذ بكم باعظم بلاد الله حرمة، وهي التي اختار الله من البلدان  
فوضع بها بيته ثم كتب علي عباده حجة من استطاع اليه سبيلا ايها الناس  
فعل بكم بالطاعة ولزوم الجماعة واياكم والشبهات فاني والله ما اوتي بأحد يطعن  
علي امامه الا صلبته في الحرم . ان الله جعل الخلافة منه بالموضع الذي جعلها  
فسلوا واطيعوا ولا تقولوا كيت وكيت، انه لا رأي فيما كتب به الخليفة او رآه  
الا امضاؤه، واعلموا انه بلغني ان قوماً من اهل الخلاف يقدمون عليكم ويطعنون  
في بلادكم ، فاياكم ان تنزلوا احداً ممن تعلمون انه زائع عن الجماعة فاني لا نجد  
احداً منهم في منزل احد منكم الا هدمت منزله فانظروا من تنزلون في منازلكم  
وعليكم بالجماعة والطاعة فان القرقة هو البلاء الأعظم . الطبري ١٢٣١ ص )

من خطاب لعثمان بن عباد المري والي المدينة في عهد الوليد :

« ايها الناس: انا وجدناكم اهل غش لأمر المؤمنين في قديم الدهر  
وحديثه ، وقد ضوى اليكم من يزيدكم خبالاً اهل . . . (١) هم اهل الشقاق  
والنفاق ، هم والله عش النفاق وبيضته التي تفلقت عنه ، والله ماجر تبهم . . . قط

(١) يقصد بهم أهل الكوفة وأهل البصرة من المخالفين



الا وجدت افضلهم عند قسه الذي يقول في آل ابي طالب ما يقول، وما هم لهم  
 بشيعة وانهم لأعداء لهم ولغيرهم، ولكن لما يريد الله من سفك دماهم، فاني  
والله لا اوتي بأحد أوى أحداً منهم أو أكره منزلاً، ولا انزله الاهدمت منزله  
وانزات به ما هو أهله. ثم ان البلدان لما مصّرها عمر بن الخطاب وهو يجتهد  
 على ما يصلح رعيته جعل يمر عليه من يريد الجهاد فيستشيره الشام أحب اليك  
 أم العراق فيقول الشام أحب اليّ. أني رأيت العراق داءً عضالاً وبها فرخ  
 الشيطان، والله لقد أعضلوا بي، واني لأراني سأفرقهم في البلدان ثم اقول  
 لو فرقهم لأفسدوا من دخلوا عليه يجعلون حجاج وكيف ولم . . . . .  
 فإذا خبروا عند السيوف لم يخبر منهم طائل، لم يصلحوا على عثمان فلقني  
 منهم الأمرين، وكانوا أول الناس فتق هذا الفتق العظيم، وتعضوا عرى  
 الاسلام عروة عروة وانقلوا البلدان، والله اني لأتقرب الى الله بكل ما أفعل  
 بهم لما أعرف من رأيهم ومذاهبهم. ثم وليهم امير المؤمنين معاوية فدأبجهم فلم  
 يصلحوا عليه ووليهم رجل الناس جلدأفبسط عليهم السيف وأخافهم فاستقاموا  
 له أحبوا أو كرهوا، وذلك انه خبرهم وعرفهم، والله ما رأينا شعاراً قط مثل  
الأمن . . . والله ما انتم باصحاب قتال . . . فدعوا عيب الولاية فان الأمر  
 انما ينقض شيئاً شيئاً حتى تكون الفتنة وان الفتنة من البلاء، والفتن تذهب  
 بالدين وبالل والولد . الطبري ٧ ٢ ص ١٢٥٩ - ١٢٦٠

### أشهر خطب الحجاج بن يوسف :

وجه كلمته هذه لبعض الثوار في العراق :

« اما بعد فانكم استخلصتم الفتنة ، فلا عن حق تقاتلون ولا عن منكر تنهون ، و ايم الله اني لأهم ان يكون اول ما يرد عليكم من قبلي خيل تنسف الطارف والتالد ، وتدع النساء أيامي ، والابناء يتامى ، والديار خرابا ، والسواد بياضاً . . . والسعيد من وعظ بغيره والسلام . البيان والتبيين ج ١ ص ٢١٢ »

### ومن خطب الحجاج في الكوفة :

انا بن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني  
 اما والله اني لأهل الشر محمله واحنوه بنعله واجزيه بمثله ، واني لارى  
 رؤوسا قد اينعت وحان قطافها ، واني لانظر الى الدماء بين العائم والمحمى  
 قد شمرت عن ساقها تشميراً . . . اني والله يا أهل العراق ما اغمز كستغزاز التين  
 ولا يقعق لي بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وجزيت الى الغاية القصوى .  
 ان امير المؤمنين عبد الملك نثر كنفاته ثم عجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً  
 وأصلبها مكسراً . فوجهني اليكم فانسكم طالما أوضعتم في القتن وسنتم سنن  
 النبي . اما والله لألحونكم لحو العود ولا أعصبنكم عصب السلمة ولا أضربنكم  
 ضرب غرائب الأبل . اني والله لا أعد الا وفيت ولا أخلق الا فريت

فإياي وهذه الجماعات وقيلاً وقيلاً وما يقول ، فيم أنتم وذلك . والله لتستقيمين على سبيل الحق أو لا دعن ليكل رجل منكم شغلاً في جسده . الطبري ٢٧ ص ٨٦٣ - ٨٦٥ ) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٦٤ .

### وللهجاء أيضاً :

(شاهت الوجوه، ان الله ضرب مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . وانتم اولئك واشباه اولئك فاستوسقوا واستقيموا ، فوالله لا ذيقنكم الهوان حتى تذروا العصيان ولا أعصبتكم عصب السلعة حتى تنقادوا . أقسم بالله لتقبلن على الانصاف ولتدعن الأرجاف وكان وكان واخبرني فلان عن فلان والهبر وما الهبر . أو لا هبرنكم بالسيف هبراً يدع النساء ايامي والولدان يتامى وحتى تذروا السهمى وتقلعوا عن هلوها . اياي وهذه الزرافات لا يركبن الرجل منكم الا وحده . الا انه لو ساغ لأهل العصية معصيتهم ما جبي في . ولا قوتل عدو ولعطلت الثغور ولولا انهم يغزون كرها ما غزوا . طوعاً . الطبري ٢٧ ص ٨٦٥ - ٨٦٦ ) .

### ومن خطب الججاج في الكوفة :

﴿ اما والله لا تفرع عصاً بعصا الا جعلتها كأمس الدابر ﴾

العقد الفريد ج ٢ ص ٣٨٠ .

## وله ايضاً :

( يا أهل .....<sup>(١)</sup> يا أهل الشقاق ، يا أهل النفاق ، والله ان كان امركم  
 ليهمني قبل ان آتيكم ، ولقد كنت ادعو الله ان يبتليكم بي ، و يبتليني بكم  
 فاجاب دعوتي ، ولكنني سرت البارحة فسقط سوطي مني ، فالتذت هذا  
 — وأشار الى سيفه — مكانه ، فوالله لأجرنه فيكم جر المرأة ذيلها ولا فعلن  
 ولا فعلن ولا فعلن ) .

وقال الحجاج بعد معركة دير الجاجم في العراق — وسنأتي على وصفها —  
 ( يا أهل . . . . ، ان الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب  
 والمسابع والأطراف ، ثم أفضى الى الاسماع ، ثم ارتفع فعمش ثم باض وفرخ ،  
 ثم دب ودرج فحشاكم ثقاقا وشقاقا واستعركم خلافا ، اتخذتموه دليلا  
 تتبعونه وقائداً تطيعونه وموامراً تشاورونه ، فكيف تنفعكم تجربة او ينفعكم  
 بيان . أستم اصحابي بالاهواز حتى رمتم المسكر واجعمتم على الكفر وظلمتم  
 ان الله عز وجل يخذل دينة ، وخلافته ، وانا ارمقهم بطرفي واقم تسلون لو اذنا  
 وتمزمون سراعا ، يوم الراوية ما كان من فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم

(١) يقصد أهل المصرين الكوفة والبصرة ابن عساكر ج ٤ ص ٥٢



ويراه الله فيكم وقلوص وليكم اذا وليتم كالأبل الشاردة على اوطانها التوازع ،  
 لا يسأل المرء عن أخيه ولا يلوي الشيخ على بنيه - بين عضكم السلاح ونخستكم  
 الرماح ، يوم دير الجماجم ، وما يوم الجماجم ، به كانت المعارك والملاحم .  
 ضرب يزيل الهمام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله  
 يا أهل ..... اللذات بعد الفجرات ، والعقلات بعد الحزات ، والنزوة  
 بعد النزوات ، ان بعثناكم الى نفوركم علامم وجبنتم ، وان امنتم أرجفتهم ،  
 وان خفتهم ناقتم ، لا تنذكرون نعمة ولا تشكرون معروفًا . هل استخفكم  
 ناكث أو استغفواكم غاو أو استغفركم عاص ، أو استغفركم ظالم ، أو استغفركم  
 خالع الا لبيتم دعوته واجبتهم صيحته وقرتم اليه خفافاً وثقالاً وفرساناً ورجالاً .  
 يا أهل . . . . هل شغب شاغب أو نغب ناغب أو زفر زافر الا كنتم  
 اتباعه وأنصاره . يا أهل ..... ألم تنفعكم المواعظ ؟ ألم تزجركم الوقائع ؟ ألم  
 يشدد الله عليكم وطأته ويدققكم حرّ سيفه وأليم بأسه ومثلاته ؟ ! ! !

« ابن عساكر ج ٤ ص ٥٥ - ٥٦ »

وله أيضاً :

يا أهل . . . . وأهل الشقاق والنفاق ومساويء الاخلاق وعبيد  
 العطاء وأولاد الاماء ، الا يرفأ الرجل منكم صلعة ، ويخسر حمل رأسه وحقن

دمه ، وينصر موضع قدمه ، والله ما أرى الأمور تمضي حتى أوقع بكم وقعة  
تكون نكالا لما قبلها وتأدياً لما بعدها ، ابن عساكر ج ٤ ص ٥٩ - ٦٠ ،  
أما وقد اثبتنا لك هذه الخطب فيمكننا ان نقول انها لا تخلوا من  
التهديد والوعيد والاهانة والتنديد . ثم اننا نشتم منها رائحة الدعوة المنظمة  
ضد العراقيين ، فأحب الامويون ان يظهروا ثورتهم بمظهر الحركات الداعية  
الى التدمير والتقتيل والتخريب . ولطالما استمسك بنو أمية بعروة الخلافة  
و بينوا جلالها واهميتها الدينية فادعوا ان الله ناصرها ومثل اعدائها وان الذين  
يسعون في الخلاف عليها هم الكفرة التحرة . ولا غرابة في ذلك فالعاهل  
الأموي كان خليفة رسول الله ، ومن يخرج على الخليفة فانما يخرج على رسول  
الله ، ومن يخرج على رسول الله فانما يخرج على الله ومقره جهنم وساءت مصيرا .  
ذالك هو تعلقهم بالحق الألهي في حكم الأمم Divine Right Theory  
فترى ان سياسة الشدة والارهاب كانت عاملاً كبيراً في اشعال نيران  
الثورات ضد الامويين في العراق .

العامل الثالث : ابن الأشعث طموح يسعي للاستقلال :

لم يركب ابن الأشعث مركب الثورة انشئ ، ولم يقدم على العصيان الا  
لما كان يجول في صدره من الاطماع ، فوجد الاقصال عن الامويين والسيطرة على

العراق وغيره من الاقطار ان بسم له الزمن وساعده الايام . وقد عرف ذلك فيه الحجاج بن يوسف فبعثه الى فتح تركستان ، وكانت قد انهكت جيوش الامويين عليه لايؤوب منها. وروى لنا كل من الطبري والدينوري ان الحجاج كان بضمير لابن الاشعث حقدًا هائلًا ويرى اعداءه . والظاهر ايضاً ان ابن الاشعث بادله هذا البغض فاستلم قيادة الجند وفي نفسه ما في نفسه من الايقاع بالحجاج والثورة عليه . قل الطبري : وكان الحجاج وليس بالعراق رَجُلٌ ابغض اليه من عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث، وكان يقول ما رأيت قط الا اردت قتله . الطبري ٧ ص ١٠٤٣ ) وذكر عن لسان ابن الاشعث انه قال : ( وانا . . . ان لم احاول ان ازيله عن سلطانه فأجهد الجهد اذ طال بي وبه بقاء . الطبري ٧ ص ١٠٤٣ وقال الدينوري : ) كان الحجاج يقول ما نظرت الى عبد الرحمن قط الا اشتيت ان اضرب عنقه . الدينوري ص ٣٢٢ )

تقرت الناس الى ابن الأشعث حينما اقترب من العراق وهب الغاضبون من كل صوب الى اللحاق به فكثرت جموعه حتى قاربت المئه ألفاً . انه مهما يكن من المبالغه في هذا العدد فلا شبهة ان مركز الحجاج اصبح مزعزع الاركان ضعيفاً لا يلبث ان يسقط ان لم يتداركه الامويون بالنجدات المتوالية . فعمد

عبد الملك الى مخابرة ابن الاشعث وسماع مطالبه ، وعرض عليه اولاً نزع الحجاج عن العراق واجراء البيولة العطاء على العراقيين كما تجر به على اهل الشام . ثانياً اختيار لابن الاشعث في حكم اي مصر شاء من العراق مادام حياً .

وقد ارسل عبد الملك ابنه عبد الله واخاه محمد بن مروان الى ابن الاشعث ليتفق معه ، وتخلص له طاعته ويحقق دملاء المسلمين . وكان من رأي ابن الاشعث ان يعقد الصلح مع الامويين وينزل عند مطالبهم لسكن عاملان اعتبرضا سبيله وجهلاه يرجع خائب الآمال . الأول : نشاط الحجاج الى اقناع عبد الملك ان العراقيين لا يلبثوا ان يخالفوه ويسيروا اليه ويجدوا في حربه لان خايعه عنهم وأعطاهم ما شاؤوا ولا يزيدهم ذلك في عرفة الاجرة وعداء . وذكر له ان الحديد بالحديد يفلح . وقد وقف الحجاج هذا الموقف لأن منصبه أصبح على شفا جرف هار . فكان له ما اراد . والثاني : اعتقاد العراقيين انه يوسعهم طرد بني أمية من العراق خصوصاً بعد ان تغلبوا على جيوش الحجاج في المناوشات الاولى وفازوا باخلال البصرة والكوفة قتالوا : ( ان الله قد اهلكهم - جند الحجاج - فاصبحوا في ٥٠٠٠ . والضنك والمجاعة والقلة والثلة ونحن ذوو العدد الكثير والسعر الرقيق والمادة القرية ، لا والله لا تقبل فاعادوا خلعه - لعبد الملك - ثانية . الطبري ٦٢٥ ص ١٠٨٥ )



انسحب الحجاج من البصرة الى الشمال بعد ان جعلها مقراً لعماله الحزبية وذلك حينما وجد جموعه قليلة نسبة للجموع الاشعثية . ولم تكف البصرة تستطع بايدي الثوار حتى وثبت الكوفة وطردت عامل الحجاج عنها فاحتلها ابن الاشعث . وقد طاول الحجاج ابن الاشعث الى ان اتته النجيدات المتواصلة من الشام . ثم التقى به في « دير الجماجم » - موضع قريب من الكوفة - واخذوا يتزاحفون في كل يوم ويقنترن وقد دامت المعركة نحواً من ثمانية ايام ( ٢ ربيع الاول الى ١٥ جمادى الاخرى سنة ٥٨٣ هـ ٧٠٢ م حتى تم الفوز للحجاج . فهرب ابن الاشعث الى القلوجة ومنها للبصرة وبدأت فلوله تأتيه من الاطراف وتجتمع اليه من الجهات وراح يستعد لناجزة الحجاج الواقعة فاشتبك القرينان في « مسكن » على دجيل فانهمز العراقيون ومضى ابن الاشعث الى سجنستان حيث قضى مسلولاً ويقال ان رتبيل ملك تركستان احتز رأسه وارسله الى الحجاج بشرط ان لا يغزى بلاده مدة عشر سنين . وان يؤدي بعد العشر سنين في كل سنة تسع مائة الف . والمهم ان حركة ابن الاشعث التي أيدت لنا فقور العراقيين من الحكم الاموي أخذت بالسيف وتبع الحجاج الزعماء الذين نأوؤه وجهدوا عليه الجهد كله ، فأءم معظمهم . وكسب الى عماله في الجهات ان لا يبقوا على احد منهم .

(٤) انه اصره الولاية الامويين في العراق ونفاها في تنفيذ سياسة الشرطة:  
 اذا اردنا ان يكون لنا صورة حية تمثل خضوع انولاة الأمويين في العراق  
 لسادتهم الامويين واخلاصهم لهم الاخلاص التام في السر والعلن ومحافظتهم  
 على طاعتهم مهما كلفهم ذلك من التضحية ، فلنأخذ الحجاج بن يوسف  
 مثلا صادقا .

ولد الحجاج بن سني تسعة وثلاثين واحدى واربعين هجرية  
 و ٦٥٩ و ٦٦١ م في قرية الكوثر من اعمال الطائف، وأمه الفارغة بنت همام .  
 وكانت عند المغيرة بن شعبة فطلقتها فتزوجها بعده يوسف ابو الحجاج .  
 المحاسن والاضداد ص ١٥٨) وكان في صباه معلماً يقرئ صبيان قريته القرآن  
 الكريم . نستشهد على ذلك بقول الشاعر :

أينسى كليب زمان الهزال وتعليمه صبية الكوثر

وغلبت عليه الفصاحة واشتهر بالخطابة والادب فعدّ ( معجم البلدان  
 ص ٣١٦ - ٣١٧ ج ٢ ) من اشهر الخطباء والادباء في العصر الأموي .  
 وقد روى لنا الجاحظ انه « قال عبد الملك خالد بن سلمة الخزومي : « من  
 أخطب الناس ، قال « أنا » قل ثم من قال « سيد جنام يعني روح بن زنباع  
 قل ثم من قال « أخيفش ثقيف ، يعني الحجاج » قال ثم من قال « امير المؤمنين »

قال « ويحك جعلتني رابع اربعة » قال « نعم هو ما سمعت » . (البيان  
 والتبيين ج ١ ص ١٨٢) وقال ابو العلاء : « ما رأيت احداً أفصح من  
 الحسن ومن الحجاج » وقال عتبة بن عمرو « رأيت عقول الناس يقرب بعضها  
 من بعض الا الحجاج وإياس بن معاريه فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس »  
 ابن عساكر ج ٤ ص ٤٩ « وكن متين الاخلاق شريفاً فلم يتعاطى الخمرة  
 ولم يسكر حتى انه رفض ان يحتسيها مع الخليفة الوليد الاول . قال ابن عساكر :  
 تغدى الحجاج يوماً مع الوليد فلما انقضى غذاؤهما دعاه الوليد الى شرب  
 النبيذ فقال يا امير المؤمنين الحلال ما حلت وليكني انهي عنه أهل عملي  
 واكره ان اخالف قول العبد الصالح - وما اريد ان اخالفكم لما انها كم عنه -  
 ابن عساكر ج ٤ ص ٦٧ ) . واشتهر باستحسانه للجرأة الادبية وبغضه  
 للنفاق فيروى انه خطب الحجاج يوماً فقال (ايها الناس الصبر على محارم الله  
 أيسر من الصبر على عذاب الله . فقام اليه رجلٌ فقال له ويحك ما اصفق  
 وجهك وأقل حياءك ، تفعل ما تفعل ثم تقول مثل هذا فأمر به فأخذ فلما  
 نزل عن المنبر دعا به فقال له لقد أجتأت عليّ فقال له يا حجاج انت تجتري  
 على الله تعالى ولا تنكره على نفسك ، واجتأت عليك فانكرت علي فخلى  
 سبيله . ابن عساكر ج ٤ ص ٦٠ ) .

وقال المدائني : ( أتى الحجاج بأسيرين ممن كان مع ابن الأشعث فأمر بضرب اعناقهما . فقال أحدهما أصلح الله الأمير ان لي عندك يداً قال وما هي فقال ذكر ابن الأشعث أمك يوماً بسوء فهميته قال من يعلم ذلك قال هذا الأسير الآخر فسأله الحجاج فقال قد كان ذلك فقال له لم لم تفعل مثل ما فعل قال أينفعني الصدق عندك قال نعم قال : لبغضك وبغض قومك ، فقال الحجاج خلوا عن هذا لصدقه وعن هذا لفعله . ابن عساكر ج ٢ ص ٦٢ ) . وبلغت به الصراحة حدّاً أنه عدد عيوبه ، فقال : ( انا لزوج حقود حوسد . ابن عساكر ج ٤ ص ٧٢ ) . وأولع الحجاج بتزيين نفسه وترتيب هندائه حتى لقد قال فيه ابن بردة أحد اشراف العراق : ( كان عدو الله يتزين بزينة المومسة ، ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الاخيار فاذا نزل عمل عمل الفراغنة . واكذب في حديثه من الدجال . البيان والتبيين ج ١ ص ٢١٢ ) .

اما فلسفته في الحياة فترمي الى الخش على الاعمال الصالحة لان هذه الدنيا ليست بدار قرار . وكانت مواعظه كلها تحض على التقوى ومخافة الله واليوم الآخر . وهاك اشهرها :

١ - « الا ايها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل ، رجل خطم نفسه ، وزمها فقارها بخطامها الى طاعة الله ، وكبحها بزمامها عن معصية الله » .



٢- ( امرءٌ زود نفسه ، امرءٌ آثمٌ تقسه على نفسه ، امرءٌ اتخذ نفسه عدوةً ، امرءٌ حاسبٌ نفسه قبل أن يكون الحسابُ الى غيره ، امرءٌ نظر الى ميزانه ، امرءٌ نظر الى حسابه ) .

٣- ( أما بعدُ فإن الله كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يفرّ منكم شاهد الدنيا على غائب الآخرة ، واقهره ، واطول الأمل بقصر الأجل ) .

٤- ( امرءٌ غفل عن الله تعالى ، امرءٌ أفاق وأستفاق فأبغض المعاصي والنفاق وكان الى ما عند الله بالأشواق ، امرءٌ ذهبت ساعةٌ من عمره لغير ما خلق لحريٌّ ان تطول عليها حسرتة الى يوم القيامة ) .

( ابن عساکر ج ٤ ص ٦٠ )

٥- ( امرءٌ زود عمله ، امرءٌ حاسبٌ نفسه ، امرءٌ فکّر فيما يقرؤه في صحيفته ويراه في ميزانه ، امرءٌ كان عند قلبه زاجراً وعند همه ذاكراً ، امرءٌ أخذ بمنان قلبه كما يأخذ الرجلُ بخطام جملة فان قاده الى طاعة الله قبله وتبعه وان قاده الى معصية الله كفه . البيان والتبيين ، ج ٢ ص ٨٨ ) .  
وغالى بعض الناس في قولهم انه لم يعتقد بالله ولا بالاسلام . ولعل ذلك ناتج عن اسرافه في سفك الدماء حباً بتوطيد قنود المؤمنين . والحقيقة انه

كان يرى في الإسلام هلسماً وملجأً . نستشهد على رأينا هذا بيئتين من  
الشمر قالمها في أخيه محمد بن يوسف لما أتاه نعيه :

حسبي ثواب الله من كل ميت وحسبي بقاء الله من كل هالك  
إذا ما لقبت الله عني راضياً فان شفا النفس فيما هنالك  
(اليمان والتبيين ج ٣ ص ٢١٥)

وقال عمر بن عبدالعزيز وكان يبغض الحجاج : ١ ما حسدت الحجاج  
عبد الله على شيء حسدي إياه على حبه للقرآن واعطائه اهله وقوله حين حضرته  
الوفاة اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تفعل وقال حين  
حضرته الوفاة :

يارب قد خلف الاعداء واجتهدوا بانني رجل من ساكني النار  
أجلفون على عمياء وبجهم ما علمهم بكثير العفو غفار  
ابن عساكر ج ٤ ص ٨٢ )

وكان بدء حياته السيلسية المخراطة في سلك الشرطة وترقى فيها لنشاطه  
وجلادته حتى أصبح رئيساً لشرطة عبد الملك حينما خرج لقتال مصعب بن الزبير  
في العراق . وقد أبدى من المهارة والاخلاص والتضحية في خدمة الأمويين  
مادما عبد الملك الى اسناد قيادة الحملة الحجازية لتأديب ابن الزبير اليه . فجزى

على سياسة الشدة والإرهاب فاعدم المتخلفين من الجند والزعماء فهابوه وفتنوا  
 أوامره بتامها . وكان يقدم الشجعان والمخلصين ويفهمهم بعطاياه فصار له  
 حزبٌ من الجند يأتمر بأمره ويسعى لأكتساب رضاه . ووُلِّي بعد ذلك  
 مندوباً سامياً للخليفة على الحجاز واليامة . ثم انتقل لمثل منصبه في العراق  
 وبقي فيه نحواً من عشرين عاماً ، ساس خلالها البلاد بيدٍ من حديد فاخفت الثورات  
 وأرسل الجيوش لفتح تركستان والهند = ومنصف القموج في حينها —  
 وقد مات الحجاج سنة ٩٥ هـ (٧١٣ م) وله من العمر أربع وخمسون عاماً .  
 جاهد الحجاج في اعداء الأمويين جهاداً عظيماً فقتل وأسرف في القتل  
 حتى ليقال انه قتل صبراً مائة وعشرين ألفاً او مائة وثلاثين ألفاً . ( الطبري  
 ٧٢ ص ١١٢٣ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٨٨٢ ) . وأحضي بمحبس  
 الحجاج في واسط ثلاثة وثلاثون ألف انسان لم يحبسوا في دم ولا تبعه ولا دين  
 ( معجم البلدان ج ٤ ص ٨٨٢ ) . لسنا لنحاسب المؤرخين على هذه الأرقام  
 الضخمة لكننا نعتقد اعتقاداً أكيداً ان الحجاج لم يتأخر عن اعدام  
 المعارضين للأمويين وتقيهم وسجنهم . وصرح مرة انه مستعد للتكيل بكل  
 من لا يطيع عبد الملك فقل من خطاب له في البصرة : اتقوا الله ما استطعتم  
 فهذه لله وفيها مشوية . واسمعوا واطيعوا فهذه لعبدالله وخليفة الله وحيد الله

عبد الملك بن مروان ، والله لو امرت الناس ان يأخذوا في باب واحد ،  
 وأخذوا في باب غيره لكانت دماؤهم لي حلالا من الله ، العقد القرئد ج ٢  
 ص ٣٨٠-٣٨١ ) . ويذكر الطبري : ( لما قرأ عليهم - أهل الكوفة -  
 كتاب عبد الملك قال القاري . اما بعد سلام عليكم فاني احمد اليكم الله فقال  
 له - أي قال الحجاج للقاري - \* اقطع يا عبيد العصا \* أي سلم عليكم  
 أمير المؤمنين فلا يرداد منكم السلام . هذا ادب ابن نهية ، اما والله لأؤدبنكم  
 غير هذا الأدب . ابدأ بالسكتاب فلما بلغ الى قوله اما بعد سلام عليكم  
 لم يبق منهم احد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله . الطبري  
 ٧٢٢ ص ٨٧٠ ) .

لم يخدم الحجاج الأمويين حياً بالثروة التي قد يجمعها من ورائهم بل  
 طاعة لهم ومحبة بهم . فقد مات ولم يترك الا ثلاثمائة درهم ومضجماً وسيفاً  
 وسرجاً ورحلاً ومائة درع موقوفة . ٥١ .



# الفصل الخامس الفتوح الأموية

## ١ - الفتوح في الشام البيزنطية:

ملطية، طرندة، الثغور الشامية، أو العواصم، معامة الفاتحين لسطه سورية،  
الجزيرة، اللبانيون، الحمد إلى الفسطاطية،

## ٢ - الفتوح في الشام الشرقية

فتح طبرستان وجرمان، يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، فتح سجستان،  
فتح فرسان، فتح ماوراء النهر، المهلب بن أبي صفرة، فتية بن مسلم،  
الفتوح الصبية، اسباب نجاح فتية بن مسلم، اغلوط القادة العرب،  
مأساة فتية بن مسلم، فتح الهند والسند، محمد بن القاسم،

## ٣ - الفتوح في الشام الأفريقية والاوربية

انفضاع القبائل البربرية، القبروان، فتح تونس و طنجة، موسى بن نصير  
فتوح اسبانية،

قام الامويون بفتحهم العظيمة حينما استتبّت لهم الامور في البلاد،  
وهدأت نيران الثورات، واستظل الناس في مجبوحة العيش الرغيد . فاقدموا  
على توسيع رقعة المملكة الأموية في ساحات ثلاث هي الساحة البيزنطية  
والساحة الشرقية والساحة الافريقية الاوربية .

### ١ المتروخ في الشام: البيزنطية :

اطلقنا على الساحة الاناضولية اسم الساحة البيزنطية لأنها كانت تخضع  
للبيزنطيين في القسطنطينية ، ويدعوهم العرب في مصنفاتهم بالروم ، ولأن  
الامويين اشعلوا لهم في هذه الديار حرباً ضروساً بقيت زمناً طويلاً . ويمكننا  
ان نقول ان هذه الحرب هي عبارة عن سلسلة من الغزوات المتتالية امتدت  
من عهد معاوية الأول الى سقوط الدولة الاموية في الشام . وقد تتابعت هذه  
السلسلة من الغزوات ايضاً على عهد العباسيين .

فلما ولي معاوية الاول الشام فتح « ملطية » عنوة ورتب فيها رابطة من  
المسلمين وشحنها بالجنود الشامية والجزرية واكثر فيها العدة والسلاح .  
وكل همه من ذلك ان يجعلها محطة يضرب بها المسلمون الروم دائماً فتبقى  
طريقاً للصوائف العربية . وقد انتهز البيزنطيون القرصة ايام الجرركة الزبيرية  
فاغاروا عليها وشعثها قواهم وانزلوها قوماً من الارمن والنبط وغيرهم من

النصارى ، فبذلت الجيوش الاموية جهدها في تثبيت اقدامها في الاتاضول  
فحصنت ( طرندة ) سنة ٨٣ هـ و ( ٧٠٢ م ) و بنت بها المساكن وهي على  
بعد ثلاث مراحل من ملطية . وكانت الطوالع من جند الجزيره والشام  
تقيم بها في الصيف فان نزل الشتاء وتساقت التلوج قفلوا عنها . ورحل  
عمر بن عبد العزيز اهل طرندة عنها و اباح لهم السكنى في ملطية و حصنها  
و جهزها بالجند لاعتقاده انها اكثر ثباتا على مقالمة العدو وذلك لمناعة بقومها  
الحربي . ولم يتهاون البيزنطيون في امر ملطية فخرج اليها منهم عشرون الفا  
سنة ١٢٣ هـ و ( ٧٤٠ م ) فثبت العرب فيها واستمكنت النساء العرييات  
فروى لنا البلاذري انهن ظهرن على السور و عليهن العمام فقاتلن .

و كانت لمسامة بن عبد الملك والعباس بن الوليد اليد الطولى في هذه الفتوح  
فسقطت امام جهودهما حصون طوانة و قسطنطين و غزالة و الانخرم و اذرولية  
و غيرها كسمسطية و مناسة و الحديد و كلها من ناحية ملطية . و فتحها كذلك  
حصني سوسة سنة و بولس من اعمال المصيصة وهي مدينة على شاطئ جيجان  
تقارب طرسوس و يقول عنها معجم البلدان انها ( من مشهور ثغور الاسلام  
و قدر رابطها الصالحون قديماً و بها بستاتين كثيرة يسقيها نهر جيجان و كانت  
ذات سور و خمسة ابواب ، و من مصنوعات القراء تحمل الى الافاق و ربما بلغ

القرى منها ثلاثين ديناراً ، معجم البلدان ج ٤ ص ٥٥٨ ) .

وبنى المصيصة على أساسها القديم عبدالله بن عبد الملك بن مروان ووضع بها سكانا من الجند فيهم ثلثمائة رجل انتخبهم من ذوي البأس والنجدة المعروفين ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبني فيها مسجداً فوق تل الحصن ( البلاذري ص ١٧٢ ) .

والمهم من كل ما قدمناه انه كان للمسلمين على الحدود الاناضولية السورية ثغور تعرف بالثغور الشامية وقد سماها الرشيد العباسي فيما بعد « بالعواصم » وهي انطاكية وما جاورها فكانت الجيوش الأموية تسير منها الى الحصون والمساح البيزنطية فتنهبا وتعمل فيها السيف والنار خصوصا في المنطقة الواقعة ما بين الاسكندرونة وطرسوس اليوم . وكان اهلها يخلونها ايام الصوائف أو يصمدون للامويين ان عارتهم حكومة القسطنطينية وشحنها بالمقاتلة والذخيرة . وطالما كمن أهل هذه الديار للكتائب الأموية فأصابوا غرة المتخلفين والنقطعين عنها فحلف لذلك الولاة فيها الجند الكثيف الى حين خروجهم .

ولا يغرب عن بالنا ان المسلمين لدى فتحهم البلاد السورية عاملوا اهلها معاملة طيبة واستندوا اليهم المناصب الجليلة ولم يتدخلوا في شرائعهم فابقوا



لهم محاكمهم وقضاتهم فاستنادت بعض العناصر المغلوقة على امرها من هذا التساهل وراحت تتواطى مع الروم على المسلمين كالجراحة واللبنايين . اما الجراحة فهم من الجرجومة وهي مدينة على جبل الاسكام بين بياس وبوقا ، فلما فتح ابو عبيدة ابن الجراح انطاكية ثانياً بعد غدرها وتقضها عهوده الاولى غزا الجرجومة فبدء اهلها بطالب الصلح والامان ولم يقاتلوه فعمد معهم صلحاً تضمن الشروط الآتية :  
 اولاً : يصاح المسلمون الجراحة على ان يكونوا اعداءً للمسلمين وعيوناً ومسالخ في جبل الاسكام .

ثانياً لا يأخذ المسلمون الجزية من الجراحة .

ثالثاً : ينقل الجراحة اسلاب من يقتلون من عدو المسلمين اذا حضروا معهم حرباً في مغازيتهم .

رابعاً : يدخل من كان في مدينتهم من تاجر وأجير وتابع من الانباط وغيرهم واهل القرى في هذا الصلح . وقد سمي هؤلاء بالرواديف لانهم تلوم وليسوا منهم . ( البلاذري ص ١٦٦ - ١٦٧ - )

فترى ان هذا الصلح لا يعقده غالب مع مغلوب لما هو عليه من التساهل وحسن المعاملة ، ولا شبهة ان الجراحة كانوا اقوياء الشكيمة شديدي المراس فأحب ابو عبيدة ان يستفيد من دماقتهم فعمد معهم هذا الصلح الشريف

الضامن نوعاً لاستقلالهم . غير انهم كانوا لا يستقيمون للولاية الامويين ، فيشورون  
 المرة تلو المرة ويكاتبون البيزنطيين ويمالئونهم . واذا غزت الصوائف قطعوا  
 على اللاحق والمتخلف من المسلمين وأعملوا فيه السيف فأجبر معارفة الاول  
 اتقاء لشرم ان ينقل الى السواحل السورية قوماً من زط البصرة سنة  
 ٤٩ - ٥٠ هـ ( ٦٦٩ - ٦٧٠ م ) وقد وهب لهم الارضين وبذل لهم في  
 العطاء كما يكونون شوكة في عيون الجراحة .

فلما استفحل امر ابن الزبير ودانت له الحجاز والعراق وقام عمرو بن سعيد  
 يطلب الخلافة هاجم البيزنطيون جبل اللكام فحاقهم الجراحة وراحوا  
 يساعدهم ويبثون دعوتهم وقد تم لهم القوز والغلبة حتى اخضعوا لبنان  
 لسلطانهم وكادوا يستولون على دمشق فاضطر عبد الملك بن مروان يومئذ الى  
 ان يؤدي للجراحة الف دينار في كل جمعة ، وان يصالح البيزنطيين على مال  
 يؤديه لهم مخافة ان يخرجوا الى عاصمته فيغلبون عليها .

عرف الأمويون انه لامناص لهم من التغاب على الجراحة حفظاً للتخوم  
 الشامية الشمالية واستبتماماً للثغور التي افتتحوها في الساحة البيزنطية . فوجه  
 اليهم الوليد بن عبد الملك اخاه مسلة بن عبد الملك سنة ٨٩ هـ ( ٧٠٧ م ) فاناخ  
 عليهم وخرب مدنهم وقراهم وأجبرهم على قبول الشروط الآتية :

اولاً: ينزل الجراحة بحيث أحبوا من الشام ويجري على كل امري منهم ثمانية دنانير وعلى عيالهم القوت من القمح والزيت وهو مديان من قمح وقسطان من زيت .

ثانياً: لا يكره الجراحة ولا احد من اولادهم ونسأهم على ترك النصرانية.

ثالثاً: يلبس الجراحة لباس المسلمين .

رابعاً: لا يؤخذ منهم ولا من اولادهم ونسأهم جزية .

خامساً: يفزون مع المسلمين فيقتلون اسلاب من يقتلونه مبارزة .

سادساً: يؤخذ من تجاراتهم واموال مرسريهم مايؤخذ من اموال المسلمين .

( البلاذري ص ١٦٨ ) فسكن بعضهم حصص وغيرها من الامكنة المجاورة لها .

واستجلب الوليد بن عبد الملك ايضاً بعض الزط فبعث بهم الحجاج اليه ومعظمهم

من الاسرى الذين قبض عليهم محمد بن القاسم في السند . فسان بذلك على

خطة معاوية الاول . ولا ريب عندنا ان جماعات النصرانية في بلاد العلويين

من اعمال سورية قد ورثوا كثيراً من العقائد النصرانية والهندية لاختلاط

الجراحة والزط بهم . وانا لنوجه انظار من يدرسون العقائد النصرانية الى

هذه النقطة في ابجاثهم .

وكان البنانيون يحالفون الجراحة ويكاتبون البيزنطيين ويرجع ذلك

في اعتقادنا للرابطة الدينية التي تربط هذه الجماعات بعضها ببعض ، فعاملهم  
 الامويون بالرحمة والعدل فأخلدوا للسكينة . فلما قامت الدولة العباسية . أجلت  
 القشة الثائرة منهم عن بلادها وكادت تبطش بالبقية الباقية لولا نصيحة الامام  
 الاوزاعي ووساطته في حمايتهم . والاوزاعي مدفون في ضاحية بيروت .  
 قل البلاذري في هذا الصدد ما يأتي : ( خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل  
 خراج بعلبك فوجه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس من قتل مقاتلتهم  
 وأقر من بقي منهم على دينهم وردهم الى قراهم وأجلى قوماً من أهل لبنان . . .  
 فكسب الاوزاعي الى صالح رسالة طويلة حفظ منها : ( وقد كان من اجلاء  
 أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ممن قتلت  
 بعضهم ورددت باقيهم الى قراهم ما قد علمت ، فكيف يؤخذ عامة بذنوب  
 خاصة حتى يخرجوا من ديارهم واموالهم وحكم الله تعالى ) ان لا تزرُ وازرة  
 وزر اخرى ) وهو أحق ما وقف عنده واقتدي به واحق الوصايا ان تحفظ  
 وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال : من ظلم معاهداً وكلفه فوق  
 طاقتة فأنا حجيـره . البلاذري ص ١٦٩ )

صمم الامويون مراراً على مهاجمة البيزنطيين في عقر دارهم فيستولون على  
 الاناضول والتسطنطينية وينشرون لواء الاسلام في اوربة ويقطعون كل أمل



للعناصر الثائرة في سورية كالجراحة وغيرهم من التطلع الى الحماية الاجنبية فيحبطون بذلك كل المؤامرات والدسائس الداعية لقتل قوذهم في الشام . فجرد معاوية الأول حملته المشهورة بقيادة سفيان بن عوف فكان نصيبها القتل وقد اسهبنا في وصفها في كتابنا ( معاوية ابن ابي سفيان ) . فعزم سليمان بن عبد الملك الخليفة الشاب على افتتاحها مهما كلفه الامر فجهز جيشاً بلغ مائة وعشرين الفاً سنة ٩٨ هـ و ( ٧١٦ م ) بقيادة اخيه مسلمة بن عبد الملك . فعبر الخليج وحاصر المدينة وضيق على أهلها كل التضييق حتى انهم قبلوا أن يعطوه عن كل رأس ديناراً أن رجع عنها فأبى الافتحها عنوة . فالتجأ احد زعمائهم البطريق لاوون الى الحيلة فوعد مسلمة ان يفتح له ابواب المدينة ان تمنح عنهم بجيشه وأمدم بالطعام واستوثق منه الامان لنفسه ولنويه فأمدم وتمنح عنهم جانباً الى بعض الساتيق ليطمئنوا ، وأعد البطريق لاوون السفن والرجال فنقلوا في ليلة ذلك الطعام ولم يتركوا منه الا ما لم يذكر حسب رواية ابن العبري ( ص ١٩٦ - ١٩٧ ) . واصبح لاوون محارباً وقد ذكر المؤرخون ان لاوون خدع مسلمة خديعة يعاب عليها .

ومهما بلغ المؤرخون العرب في أمر هذه الحيلة فالحقيقة كل الحقيقة ان البرد الشديد والتلوج السكشيفة والجوع وصعوبة المواصلات بين القيادة العامة

للجيش والعاصمة دمشق والعصابات البلغارية التي استجاشها لاوون للفتك بالجنود من وراءه والاسطول الذي سد دونهم اسبل البحار، كل هذه العوامل سببت فشل الحملة وانهمكت قواها . وقد نزل مسامحه بفناء القسطنطينية ثلاثين شهراً فشتا وصاف . ووصف لنا ابن العبري والطبري ما اصاب هذه الحملة من الآلام والشدائد فقال الأول: ( ولقي جنده ما لم يلقه جيش آخر حتى كان الرجل يخاف ان يخرج من العسكر وحده من البلغار بين الذين استجاشهم لاوون ومن الافرنج الذين في السفن ومن الروم الذين يحاربونهم من داخل . وأكلوا الدواب والجلود واصلوا الشجر والورق . ابن العبري ص ١٩٦-١٩٧ ) وقال الثاني ( وأكلوا الدواب والجلود واصلوا الشجر وانورق وكل شي غير التراب . الطبري ص ٧٩٧ ) ولم يفكر الامويون بعد هذا الفشل بفزو القسطنطينية لما اصاب البلاد من الأحن الداخلية التي سببت سقوطهم وأدت الى زوال ملكهم . وظلموا محافظين على ثغورهم في الساحة البيزنطية الى ايامهم الاخيرة .

## (٢) الفتوح في السامرة الشرقية :

كان للامويين القدح المعلى في الفتوح شرقاً فهم الذين مهدوا السبل لشهر المدينه العربية والتعالم الاسلامية بين الأمم الفارسية والتركستانية

والهندية والصينية • فسيروا جيوشهم الى الشرق الأوسط والشرق الأقصى  
 وبنلوا الضحايا الجسيمة في سبيل الاستيلاء على هذه الاقطار • وقد نجحوا  
 في استجلابهم قسماً كبيراً من هذه الأمم الى الحضيرة الإسلامية نجاحاً باهراً  
 غير انهم لم يتمكنوا من التغلب على لغاتها المختلفة المتباينة تغلباً عظيماً فلم تمتصها  
 اللغة العربية كلياً ولعل هذا ناشئ عن كثرة عددهم وارتحال قبائلهم وراء الماء  
 والكلاء ، وقام الدولة العباسية على سيوف الاعاجم اخيراً ، فانها اهتمت  
 بنشر الإسلام أكثر من اهتمامها بنشر العربية وتعميمها ، ولم يقم الامويون بهذه  
 الفتوح الا حياً بالموارد الاقتصادية ودفعاً لخطر التأثيرين العراقيين ، واعلاء  
 لكلمة الله •

### فتح طبرستان وجرهانه :

اما العراق فكان المركز العام للجيوش الفاتحة والمخطة الحصينة لتسيير  
 الحملات الواسعة الواحدة اثر الاخرى الى الشرق • وكان بدء المغازي في هذه الساحة  
 على عهد عثمان بن عفان فانه ارسل سعيد بن العاص والي الكوفة سنة ٢٩ هـ  
 (٦٤٩ م) الى طبرستان فغزاها وصالح اهلها على مائتي الف درهم فكانوا  
 يؤدونها الى غزاة المسلمين ، وكانت الجيوش الاسلامية لاتنفك عن غزوها وربما  
 أعطوا الاتاوة عفواً وربما أعطوها بعد قتال • وامتاز أهل طبرستان بالشجاعة

وشدة البأس وممارسة القتال فكانوا دائماً يتمتعون من اداء الصلح فظلو ايجار بون  
 ويسلمون الى ايام الدولة العباسية ، البلاذري (ص ٣٤٦) . فلما ولي معاوية  
 بن ابي سفيان اراد تأديبهم فأرسل مصقلة بن هبيرة على رأس جيش يبلغ  
 عدده عشرة آلاف فتوغل مصقلة بجيشه في بلادهم فأخذ العدو عليه المضايق  
 ورموا جنده بالصخور من اعالي الجبال فهلكت الحملة عن بكرة ابيها وهلك  
 مصقلة فضرب الناس به المثل فقالوا حتى يرجع ( مصقلة من طبرستان )  
 ( البلاذري ص ٣٤٢ - ٣٤٤ ) فجنر قادة العرب من التوغل في البلاد  
 الجبلية ذات الجاهل قبل التأكد من دراستها ومعرفة احوالها معرفة تضمن  
 لهم السلامة .

ولم تزل طبرستان ثائرة حتى قدمها يزيد بن المهلب في جند كشياف من  
 اهل المصريين واهل الشام فأقام عليها وحاصر اهلها حصاراً شديداً وقطع عنهم  
 المادة والذخيرة فكانوا يخرجون الى يزيد ويقاتلونه قتال المستميت الى ان عيل  
 صبرهم فخضع دهقانهم المعروف (بصول) على ان يؤمنه على نفسه واهل بيته وماله  
 ويدفع اليه المدينة وما فيها واهلها فصالحه وقبل منه ووفى له . وقد اراد يزيد  
 ان لا يقوم لسكانها الا انراك بعد هذا اليوم قائمة فقتل منهم اربعة عشر الها  
 دفعة واحدة . ( البلاذري ص ٣٤٢ - ٣٤٤ والطبري ٧ ص ١٣٢٠ )  
 وغنم جميع اموالها وكسوزها وسبها .



ثم أتى جرجان فاستقبله سكانها بالإنابة التي كان سعيد بن العاص صالحهم عليها قبلها وهابوه واظهروا له الطاعة والخضوع . وكان من رأي يزيد أن يضرب أهل طبرستان وجرجان ضربة قاضية فجعل يمهّد فيها الطرق ويصلحها ويقطع الأذغال التي تعيق سير جنده ويتوغّل في داخلها فوثب به الجرجانيون وتقضوا تهودهم وغدروا به واستجاشوا بالديلم وحالفوا طبرستان فقهطبوا عليه جميعهم مادته وطرق المواصلات بينه وبين العرب فخرج منها واصحابه كأنهم فلّ حسباً يذكر الطبري . ( الطبري ٢٧٧ ص ١٣١٧ - ١٣٢٢ ) ولا ريب أن هذه الحملة شنتت شمل أهل طبرستان وجرجان ولكنها لم تخضعهم إلى السلطة الأموية تمام الخضوع .

وكان أول من جدد البناء بجرجان يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ونبغ بها رجالٌ اشتهروا بالعلم والأدب وكتب الحديث والفقهاء ويقول ياقوت الحموي أنه يرتفع منها الأبريسم وثياب الأبريسم ويحمل إلى جميع الأفاق . كذلك الأحجار النكرية . « معجم البلدان ج ٢ ص ٤٨ - ٥٤ »

أما يزيد بن المهلب بن أبي صفرة صاحب هذه الفتوح فكان والياً لخراسان بعد أبيه المهلب . وقد مكث فيها نحواً من ست سنين فمزلّه عبد الملك بن مروان برأي الحجاج لمناسبة بين القائدين . وطالما خشي الحجاج

من يزيد لما كان يرى فيه من النجابة والذكاء وعارو الهمة والكرم . وكيف  
لا يخافه واهل العراق تميل الى يزيد وترغب فيه وتوده لو يكون حاكمها  
وسيدها . فترصده بالمكروه فخبسه وعذبه فتمكن من الهرب الى الشام  
واستجار بسليمان بن عبد الملك فأجاره وشفع له عند اخيه الوليد فأمنه وكف  
عنه . ولا ريب عندنا ان اهل العراق كانوا ينضمون دائماً الى صفوف يزيد  
بن المهلب لأنه كان يكره سيطرة اهل الشام على العراق ويرى وجوب الاتصال  
عن الشام أو التغلب على الامويين ورفع الاحن والمظالم التي سامها الحجاج  
للناس . فحث اهل المصريين مرة على مناصبة الشاميين العدا والتربص لهم  
فقال من خطاب له بواسط : « ٠٠٠ يا اهل العراق يا اهل السبق والسباق  
ومكارم الاخلاق ، ان اهل الشام في افواههم لقمة دسمة قد رتبت لها الاشداق  
وقاموا لها على ساق وهم غير تاركها لهم بالمرأ والجدال فالبسوا لهم جلود النمر .  
البيان والتبيين ج ١ ص ٢١٨ » . فيمكنك اذن ان تميز بين هذه الخطبة  
وخطب الحجاج في العراقيين وما لها من التأثير في النفوس ان سيئاً وان حسناً .  
قال ابن خلدان يصف المهلب : « وكان كريماً جواداً فقتل فيه  
الاخطل الشاعر ٢ :

فما لسرير الملك بعدك بهجة  
ولا لجوادٍ بعد جودك جود  
وأجمع علماء التاريخ على انه لم يكن في دولة بني أمية اكرم من بني المهلب

كما لم يكن في بني العباس اكرم من البرامكة. وكان لهم في الشجاعة مواقف  
 مشهورة. ابن خلدكان ج ٢ ص ٢٦٤ - ٢٧٦ هـ وظل يزيد والياً لخراسان  
 الى ان افضت الخلافة لعمر بن عبد العزيز. وكان عمر يعتقد ان يزيداً اصاب  
 اموالاً كثيرة في فتوحه لجرجان وطبرستان ضمه لنفسه ولم يسلمها لبيت مال  
 المسلمين. وقد مال الى هذا الاعتقاد من قرآته للرسائل التي بعث بها يزيد الى  
 سليمان. قال في بعضها: ( قد فتحت طبرستان وجرجان ولم يفتحهما احد  
 من الاكاسرة ولا احد من كان بعدهم غيري واني باعث اليك بقطارات عليها  
 احمال الاموال والهدايا. ابن خلدكان ج ٢ ص ٢٦٤ - ٢٧٦ ) ويظهر ان  
 الخليفة عمر كان يكره آل المهلب ويقول « هؤلاء جبابرة ولا احب مثلهم .  
 الطبري ٧ ص ٤٢٥ ص ١٣٥٠ هـ . وكان يزيد أيضاً يبغض عمر ويظنه مرائياً .  
 فترى ان البغضاء كانت متبادلة بين الطرفين . فحبسه الخليفة واستمر يزيد في  
 سجنه الى سنة ١٠١ هـ و ( ٧١٩ م ) - اي الى ايام عمر الاخيرة - ثم هرب مخافة  
 ان يقع بين يدي يزيد بن عبد الملك المتزوج من آل ابي عقيل رهط الحجاج  
 حالاً يتسبم عرش الخلافة بعد وفاة عمر العادل . والحقيقة ان يزيداً غالى في  
 وصفه للغنائم واسرف في ذلك كل الاسراف حباً باعلاء كلمة سليمان بن عبد  
 الملك سيده وصديقه واكتساباً للشهرة فعاد هذا عليه بالوبال . وقد دافع

يزيد عن نفسه بهذا المعنى دفاعاً مجيداً قال مذه: ( . . . كمت من سليمان  
بالمكان الذي قد رأيت وانما كتبت الى سليمان لاسمع الناس به . وقد علمت  
ان سليمان لم يكن لياخذني بشي سمعت ولا بأمر أكرهه . الطبري ٢٧٧ ص  
( ١٣٥٠ )

ولحق يزيد بن المهلب بالبصرة فالتف حوله العراقيون وطلب الخلافة  
وخلع يزيد بن عبد الملك وأطاعه أهل الأهواز وفارس فخرج في مائة وعشرين  
الفا ، فندبت له الحكومة الأموية مسامة بن عبد الملك فناجزه الواقعة في عفر  
بابل وهي قرية تقع بالقرب من كربلا\* ( معجم البلدان ص ٦٩٥ - ٦٩٦ )  
فكسره وقتله وشتت شمل جيشه . وقال يزيد بن عبد الملك لما حمل اليه رأس  
يزيد بن المهلب : ان يزيداً طلب جسيماً وركب عظيماً ومات كريماً ( ابن خلكان  
ج ٢ ص ٢٦٤ - ٢٦٦ ) . وهكذا قضى فاتح جرجان وطبرستان صريعاً  
في العقر وهو يتطلب الاستقلال للعراق والسلمطان لذاته . وكان الحسن  
البصري امام البصرة يومئذ يثبط الناس عن يزيد بن المهلب ويدعوهم الى  
السلام والطاعة لخليفته والسكوت عن سنك الدماء ويزهدهم في النزاع والفتنة .  
وقد كان لأقواله تأثير كبير على الناس فلم ينجدوا يزيداً النجدة المطلوبة بل  
أخذوا في إهمال أمره أخيراً . ومن اقوال الحسن البصري بهذا الصدد : ( ايها الناس



الزمنوا رجالكم ، وكنتموا ايديكم ، واتقوا الله مولاكم ، ولا يقتل بعضكم بعضاً  
 على دنيا زائلة وطمع منها يسير ليس لأهلها بباقي وليس الله عنهم فيما  
 اكتسبوا براص . انه لم يكن فتنة الا كان اكثر اهلها انطباء والشعرا .  
 والسفهاء و أهل التيه وانخلاء ، وليس يسلم منه الا المجهول الخفي والمعروف  
 النقي ، فمن كان منكم خفياً فليعلم الحق وليجس نفسه عما يتنازع الناس فيه  
 من الدنيا فكفاه والله بمعرفة الله اياه بالخير شرفاً . وكنفى له به من الدنيا خلقاً .  
 ومن كان منكم معروفاً شريفاً فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا ابد الله  
 بذلك فواها لهذا ما أسعده وما أرشده وأعظم أجره وأهدى سبيله فهذا غداً  
 بعنى يوم القيامة الزير عيناً الكريم عند الله ما بآ ، الطبري ( ١٤٠٠ - ١٤٠١ ) .

### فتح سجستان :

وجه معاوية الأول ابن عامر والياً على البصرة فأرسل هذا عبد الرحمن  
 بن سمرة الى سجستان فافتتح بعض مدنها عنوة والبعض الآخر صلحاً حتى  
 بلغ كابل فحاصرها أشهراً ورمى حدها بالمنجنق فخضع أهلها . ( البلاذري  
 ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ) وتشهر سجستان برياحها الشديدة وطبيعتها الجبلية  
 وجوها القاسي . ويمتاز أهلها بكبر الجثة والجلادة ومعظمهم من الفرس .

وقد امتنعوا على بنى أمية فلم يشتموا علياً على منابرهم ولم يلعنوه ويقول معجم البلدان ان « أهلها يعتمون بثلاث عمامم وأربع كل واحدة لون ما بين احمر وأصفر وأخضر وأبيض وغير ذلك من الألوان على قلانس لهم شبيهة بالمسكوك ويلفونها لثماً يظهر الوان كل واحدة منها ، واكثر ما تكون هذه العمامم ابريسم طولها ثلاثة أو اربعة اذرع . ولا تخرج لهم امرأة من منزل أبداً وان أرادت زيارة أهلها فبالليل . وبها كثير من الخوارج يظهر من مذهبهم ولا يتحاشون منه ويفتخرون به عند المعاملة . ج ٣ ص ٤١ - ٤٥ .

### فتح خراسان :

تشتهل خراسان على امهات من البلاد اشهرها نيسابور وهراة ومرو - وكانت عاصمتها - وبلغ وطالقان و نسا وايورد و سرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي هي دون نهر جيحون . فلما انتشر الاسلام فيها رغب الناس في تعاليمه ومبادئه فاسرعوا اليه ودخلوا في حظيرته وصالحوا عن بلادهم فلم يفتحها العرب عنوة ولم يتكبد سكانها الخسائر الجمة التي تأتي بها الحروب عادة ، ولم يصابوا بالويلات التي أصيب بها أهل جرجان وطبرستان فخنف خراجهم ولم تسفك دماؤهم .

دخل المسلمون خراسان سنة ١٨ هـ و ( ٦٣٩ م ) في أيام الخليفة عمر  
ابن الخطاب وقد تملك الأحنف بن قيس مدنها في مدة يسيرة غير ان  
السيطرة الاسلامية لم يرسخ سلطانها في هذه الاصقاع الا حينما وجه عثمان بن  
عقان والي البصرة عبد الله بن عامر بن كرز اليها سنة ٣٠ هـ و ( ٦٥٠ م )  
فتتبع بن عامر ( ابر شهر ) عاصمة نيسابور صلحاً بعد أن أمر أهلها وأكثروا  
له ان يؤدوا للخزينة كل سنة الف الف درهم ( ١٠٠٠٠٠٠٠ ) ثم احتل  
هراة وبادغيس وبوشنج وصالح أهلها . وحفظ لنا التاريخ نسخة من كتاب  
الصلح الذي عقده ابن عامر معهم وهو : ( بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أمر  
به عبد الله بن عامر عظيم هراة وبوشنج وبادغيس ، أمره بتقوى الله ومناصحة  
المسلمين واصلاح ما تحت يديه من الأرضين وصالحه عن هراة سهلها وجبلها  
على ان يؤدي من الجزية ما صالحه عليه وان يقسم ذلك على الأرضين  
عدلاً بينهم فمن منع ماعليه فلا عهد له ولا ذمة . البلاذري ص ٤١٢ - ٤١٣ ) .  
وكان الصلح على وصائف ووصفاء ودواب ومتاع وان يوسعوا للمسلمين في  
منازلهم . . . ولم يكن عند القوم يومئذ عين . ومضى بعد ذلك الى طخارستان  
ومدينتها بلخ ، ومرواروذ فاحتلها بعد قتال شديد ثم رمى الطالقان والقارياب  
والمجورجان سلاحتها وخضعت جميعها للمسلمين .

فلما كانت الحرب الاهلية المشهورة بين علي . معاوية الثالث امر خراسان  
وانتقضت على العرب وغدر اهلها بالحامية العربية في مختلف الحصون . ولم  
تزل كذلك حتى تم الامر لمعاوية فخارب ارباب النكت وأخضعهم وعمد  
الى ارسال العيالات العربية اليها فأمر زياد بن ابي سفيان ان يحول من المصريين  
زهة خمسين الفا الى خراسان فهذأت البلاد واصبحت المقر العام للفتوح  
الاسلامية في الهند والسند والصين . وانتشرت المدنية العربية بين ظهراني  
سكانها فكان منهم البرامكة والقحاطبة والظاهرية والساسانية وغيرهم من  
الجماعات المعروفة بالسخا . والجدود . وقد نبغ منهم رجال رفعوا للحديث  
والفقه والشريعة والادب مناراً عالياً كحمد بن اسماعيل البخاري ، ومسلم بن  
الحجاج القشيري ، واحمد بن حنبل ، وابي حامد الغزالي ، والقارابي ،  
والزحخشري وغيرهم من ارباب العلم والفضل ( معجم البلدان ج ٢ ص ٤١٤ )  
فتح ما وراء النهر :

أسهب الجغرافيون العرب في وصف بلاد ما وراء النهر وذكروا شيئاً  
كثيراً من محاسنها وجمالها واخلاق سكانها وطرق معاشهم وفضلوا لتفصيلا  
تلمأ عن عمارة بلدانها وصادراتها ، ولم اربوصفاً دقيقاً لهذه البلاد . كوصف  
ياقوت لها قال : ( ٠٠٠ ما وراء النهر من انزه الاقاليم واخصها واكثرها خيراً ،



واهلها يرجعون الى رغبة في الخير والسخاء واستجابة من دعاهم اليه . . . مع شدة  
شوكا ومنعة وبأس وعدة وآلة وكراع وسلاح .

فاما الخصب فيها فهو يزيد على الوصف ويتعاطف عن ان يكون في جميع  
بلاد الاسلام وغيرها مثله . وليس في الدنيا اقليم او ناحية الا ويتحط اهلها  
مرارا قبل ان يتحط ما وراء النهر . ثم ان اصابوا في حر او برد او آفة تأتي على  
زرعهم ففي فضل ما يسلم في عرض بلادهم ما يقوم بأردم حتى يستغثوا عن  
ثقل شي البهم من بلد آخر . وليس بما وراء النهر موضع يحلو من العمارة من  
مدينة او قري او مياه او زرع او مراعي لسواهم . وليس شي لا بد للناس منه  
الا وعندهم منه ما يقوم بأردم ويفضل عنهم لغيرهم .

واما مياههم فانها اعذب المياه واخفها فقد عمته المياه العذبة جبالها ونواحيها  
ومدنها ، واما النواب ففيها من المباح ما فيه كفاية على كثرة ارتباطهم لها  
وكذلك الحمير والبغال ، واما لحومهم فان بها من الغنم ما يجلب من تراجي  
التركان الغربية .

واما الملبوس ففيها من الثياب القطن ما يفضل عنهم فينقل الى الافاق .  
وهم القز والصوف والوبر والابر يس . وفي البلاد من معادن الحديد ما يفضل  
عن حاجتهم في الاسلحة والادوات ، وبها معادن الذهب والفضة والزئبق .  
واما فواكههم فانك اذا تبطننت الصغد اشروسنة وفرغانة والشاش رأيت

من كثرتها ما يزيد على سائر الآفاق .

واما الرقيق فانه يقع عليه من الاتراك المحيطة بهم ، ما يفضل عن

كفايتهم وينقل الى الآفاق وهو خير رقيق بالشرق كله .

وبها من المسك والزعفران ما ينقل الى الامصار الاسلامية وكذلك

الابواب من السمور والسنجاب والثعالب وغيرها .

واما سماحتهم فان الناس في اكثر ما وراء النهر كأنهم في دار واحدة ،

ما ينزل احدٌ بأحد الا كأنه دخل دَر صديقه . لا يجد المضيف من طارق

في نفسه كراهة بل يستفرغ مجهوده في غاية من اقامة اوده من غير معرفة

تقدمت ولا توقع مكافأة بل اعتقاداً للجد والسماحة في اموالهم .

والغالب على اهل ما وراء النهر صرف تفتاتهم الى الرباطات وعمارَة

الطرق والوقوف على سبيل الجهاد ووجه الخيرات . وبما وراء النهر زيادة على

عشرة آلاف رباط في كثير منها اذا نزل الناس اقيم لهم علف دوابهم

وطعام انفسهم .

واما بأسهم وشوكتهم فليس في الاسلام ناحية اكبر حظاً في الجهاد منهم

وذلك ان جميع حدود ما وراء النهر دار حرب فمن خوارزم الى اقصى فرغانة

هم القاهرون للاعداء يمنعونهم من دار الاسلام .

وهم أحسن الناس طاعة لسكبرائهم والطقهم خدمة لعظماهم حتى دعا ذلك الخلفاء الى ان استدعوا من وراء انهر رجالاتاً . وكانت الاتراك جيوشاً ذات بأس واقدام وحسن طاعة فقدم الى الخلفاء ( العباسيين ) منهم جماعة صاروا قواداً وحاشية للخلفاء . ثم قوي امرهم وتوالدوا وتغيرت طاعتهم حتى غلبوا على الخلفاء مثل الافشين وآل ابي الساج وهم من اشروسنة والاشخيد من سمرقند . ج ٤ ص ٢٠١ - ٢٠٣ »

ويراد بكلمة ماوراء النهر في عرف العرب كل المقاطعة الواقعة شرقي نهر جيحون فهي تشمل على بلاد الصغد واشروسنة وفرغانة والشاش وبخارا وغيرها . وكان معاوية اول من وجه وجهه نحو بلاد ماوراء النهر فاستعمل عبيد الله بن زياد على خراسان وأوصاه بفزوها ، فعبر النهر وعمره خمس وعشرون سنة ومعه جيش يتألف من اربعة وعشرين الفا فتحت بخارا وصالح اهلها على الف الف درهم ( ١٠٠٠٠٠٠ ) ثم دخل بيكند - مدينة التجار - وقمع بين بخارا وبيجون ولها ذكر عظيم في الفتوح . قال صاحب كتاب الاقاليم : « . . . ان بها من الرباطات مالا اعلم ببلد من البلدان من وراء النهر اكثر منها . بلغني ان عددها نحو الف رباط ، ولها سور عظيم ، ومسجد جامع به محراب ليس أحسن زخرفة منه . معجم البلدان ج ١ ص ٧٩٧ »

وولي معاوية سعيد بن عثمان بن عثمان خراسان فقطع الزهر سنة ٥٥ هـ  
 (٦٧٤م) واقبل اليه اهل الصغد وكس ونسف في مائة وعشرين ألفاً فهزمهم  
 وأفشى بينهم الجراح بمركة بخارا ودخل مدينة بخارا فمسخها ظافراً كما دخلها  
 عبيد الله بن زياد من قباة، وصالح اهلها على سبعائة الف درهمواخذ رهناً من  
 ابناء عظمائهم لثلاثين نقضوا عهودهم .

ثم انه لما تولى الحجاج العراقين وخراسان بثل جهداً عظيماً في اتمام  
 القنوج الشرقية . وكان المهلب بن ابي صفرة ومحمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم  
 الباهلي قواده السكبار وسيوفه البتارة ، فهم الذين نشروا لواء بني امية حتى  
 الصين . فغزا المهلب سنة ٩٩ هـ و (٧١٧ م) مغازي كثيرة فأتت  
 اليه الصغد الاتارة وخضعت له كس ونسف وخجندة . وقد مات براغول  
 من اعمال مرو الروذ حزناً على وفاة ابنه المغيرة . ولا نعلم تماماً السنة التي ولد  
 فيها انما يمكننا ان ندعي ان مولده كان قبل وفاة النبي بسنين . ولا شبهة انك  
 تذكر وقائعهم مع الخوارج في البصرة والاهواز وما قام به من جليل الاعمال  
 في الحركة الزبيرية . واسندت اليه ولاية خراسان قبل وفاته ولم يزل والياً بها  
 الى سنة ١٢٣ هـ . (٧٠٢م) . وهو من القادة المجرئين في الحرب حتى ان ابن  
 قتبية في كتابه المعارف عابه بالكذب، ولكن لندكر ان الحرب خدعة كما



قل الرسول (ص)، وعرف بكلمات ووصايا تناقلها الأدباء من بعده أشهرها:  
 «أوصى المهلب ابنه يزيداً بقوله: - يا بني استعقل الحاجب واستظرف الكاتب  
 فإن حاجب الرجل وجهه، وكاتبه لسانه - وله في حسن السمعة والثناء الجميل: -  
 الحياة خير من الموت والثناء الحسن خير من الحياة ولو أعطيت مالم يعطه أحد  
 لأحيت إن تكون لي اذن اسمع بها ما يقال في غداً إذا مت -». ابن خلد كان  
 ج ٢ ص ١٢٦ - ١٤٧ .

ورثاه نهار بن توبعة الشاعر بقوله:

الا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب  
 لمع نجم قتيبة بن مسلم الباهلي بعد وفاة المهلب فولاه الحجاج خراسان  
 فأتى بخاراً ويكند وغزاهما مع انهما صالحا قبل ذلك فأصاب فيهما كثيراً  
 من آنية الذهب والفضة قروي جيشه واغتنى جنده وتنافسوا بشراء الخيل  
 وحسن الهيئة والعدة وغالوا بالسلاح فقال الحكيم:

ويوم يكند لا تحصى عجائبه وما بخاراً مما أخطأ العبد

الطبري ٧ ص ١١٨٥ - ١١٨٩

ثم ارسل جيشاً يتألف من عشرين ألفاً بقيادة أخيه عبد الرحمن بن مسلم  
 إلى الصغد واتاه بعد ذلك بنفسه مدداً فتحالقت الشاش وفرغانية مع الصفد على

العرب ففتك بهم فتكا ذريعاً . ورمى عاصمة الصفد سمرقند - مدينة  
القبيل - بالمجانيق فرضخت وقبلت التسليم حسب الشروط الآتية :

( ١ ) - يقبض مسلم الهي الف ومائتي الف في كل عام ( مليونان

ومائتي الف ) .

( ٢ ) - يعطى مسلم تلك السنة ثلاثون الف رأس ليس فيهم صبي

ولا شيخ ولا عيب .

( ٣ ) يخلي الصفد مدينة سمرقند لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل

ويخلف فيها حامية من المسلمين .

( ٤ ) - يتخذ المسلمون بسمرقند مسجداً .

( ٥ ) - يقبض قتيبة على بيوت النيران وحلية الاصنام ( الطبري ٢٧٧ ص

ص ١٢٤٦ ، البلاذري ص ٤٢٧ - ٤٢٨ ) وحرق المسلمون معظم الاصنام

وبيوت النيران وسلبوا حليها، ويقال انهم وجدوا من بقايا ما كان فيها من مسامير

الذهب والفضة خمسين الف مثقال ، الطبري ٢٧٧ ص ١٢٤٦ ) والمهم

ان قتيبة كان لا يطمع من الغزو بالغنيمة فقط كما فعل اسلافه بل جعل يشحن

المدن التي يفتتحها بالعدة والرجال ويستخلف فيها آلات الحرب ويعلن بها

الاحكام العرفية حتى انه اوصى اخاه عبد الله بن مسلم حينما ولاه سمرقند

يقوله: « لا تدعن مشركاً يدخل باباً من ابواب سمرقند الا محتوم اليد . . . وان وجدت معه حديدة سكيناً فما سواه فاقتله وان اغلقت الباب ليلا فوجدت فيها احداً منهم فاقتله ، الطبري ٧ ص ١٢٥٢ »

ووصف الشعراء فتح سمرقند وما ناله المسلمون من الفوز فقال نهار الشاعر :

وما كان مذكنا ولا كان قبلنا      ولا هو فيما بعدنا كبن مسلم  
أم لأهل الترك قتل بسيفه      واكثر فينا مقسماً بعد مقسم

وقال كعب بن الاشعري وينسب بعضهم هذه الايات لغيره وهي :

كل يوم يحوي فتية نبأ      ويزيد الاموال مالاً جديداً  
باهلي قد البس التاج حتى      شاب منه مفارق كن سودا  
دوخ السغد بالقبائل حتى      ترك السغد بالعراء قعودا  
فوليد يسكي لفقده ابيه      وأب موجه يسكي الوليدا  
كما حل بلدة أو اتها      تركت خيله بها أخسودا

اما بلاد الصغد فقصبتهاسمرقندوهي مشهورة ببساتينها ومزارعها وارجائها، ويحيط بها سور له اثنا عشر باباً ، من الباب الى الباب فرسخ وفي اعلاه الابرجة للحرب (معجم البلدان ج ٣ / ص ١٣٣ - ١٣٨) واعجب الجغرافيون بجمال الصغد فضللها الاصطخري على العرطة فقال: « إن صغد سمرقند انزه البلدان

وتشبتك في ارضيتها الخطرة والبساتين وقد خفت بالانهار الدائم جزها والحياض  
 في صدور وايضا وميادينها . وهي ازكى بلاد الله واحسنها اشجاراً وثماراً ، وفي  
 عامة مساكن اهلها المياه الجارية والبساتين والحياض . قل ماتخلو سكة أو دار  
 من نهر جار . معجم البلدان ج ٣ / ص ٣٩٤ - ٣٩٦ .

ومن مدن الصغد عدينة كس . ( أو كس ) ، تقع بالقرب من سمرقند  
 وهي نحو ثلاثة فراسخ في مثلها حصينة وتكثر فيها الأوبئة القتالة والحميات  
 الحيفة لانخفاضها . ( معجم البلدان ج ٤ / ص ٢٧٤ )

وأما بقية بلاد ماوراء النهر فأشهرها أشروسنه . تقع بين نهر سيحون  
 وسمرقند وهي طيبة الهواء عذبة المياه كثيرة الجبال . معجم البلدان ج ١ / ص ٢٧٨  
 وعنها فرغانة وهي كورة واسعة كثيرة الخيرات عظيمة الرقعة تضم  
 الرساتيق الكبيرة والبساتين الجمية . اكبر مئنتها حنّدة ومنها الاعناب والجوز  
 والتفاح والورد والبنفسج وأنواع الرياحين والفسق . وليس بما وراء النهر  
 أكثر من قرى فرغانة وربما بلغ حد القرية مرحلة لكثرة أهلها وانتشار  
 مواشيهم ورزوقهم ( معجم البلدان ج ٣ ص ٨٧٨ - ٨٧٩ )

ومنها الشاش وهي الثغر الكبير في وجه الترك . وبها الرباطات القوية  
 وتمتاز بممران قراها ووفرة مساجدها .



وقد افتتح قتيبة كل هذه المدن التي وصفناها بعد غنائه شهيداً وكان ذلك سنة ٩٤ هـ « ٧١٢ م » . ولم يتمكن المسلمون من بلاد الصغد أو خوارزم إلا حينما اشتدت الحرب الأهلية بين سكانها قد ذكر لنا كل من البلاذري والظهري أن شاباً من العائلة المالكة يعرف بـ « خرواذ » أو « خرزاذ » أسس حزباً قوياً في البلاد وراح يظلم الشعب ويغتصب أمواله وأعراضه حتى ضاق المليئك به ذرعاً فأرسل إلى قتيبة يدعوه وبعث في ذلك رسلاً . وقد هباً له أسباب الفتح فتمكن من الانتصار وانتقم من الأحزاب المعارضة ورفع لواء المؤمنين في تلك الجهات . والظاهر أن قبائل الصغد كانوا ينزلون خوارزم فعرفت خوارزم ببلاد الصغد . وتجد المؤرخين العرب لا يفرقون بين البلاذين فيقولون إن سمرقند هي عاصمة خوارزم ويؤكدهم أن الصغد كانوا نازلين بها . البلاذري ص ٤٢٧ - ٤٢٨ ، الظهري ص ٧٠٧ ص ٤٣٩ .

**فتح الصين** : غزم قتيبة بن مسلم بعد أن وطد نفوذه في بلاد ماوراء النهر على افتتاح الصين فهياً لذلك الأسباب وأرسل كتابه الكشاف لتهجد له الطرق لاحتلال كاشغر فتم له فتحها وسببها سنة ٩٦ هـ و « ٧٤ م » ، ثم حالت الاضطرابات الداخلية في العاصمة دمشق - وبتفصيل لك ذلك - دون التوغل في الصين . فرضي ابن مسلم بعد المفاوضات مع ملوكها على قبول ما قدموه

له من الاموال والهدايا . وكان من نتائج احتكاك الجيوش الاسلامية بمجاعات  
الصينيين انتشار الاسلام في ربوعهم . واني مورد لك ماير وبه الطبري بخصوص  
المفاوضات التي دارت بين قتيبة والصينيين وهي كلها تؤكد لنا ان العرب لم  
يتقدموا في فتوحهم الى اقاصي الصين كما يقول بعض الغلاة من المؤرخين . قال الطبري :  
« .. وغل قتيبة حتى قرب من الصين فكتب اليه ملك الصين ان ابعث  
الينا رجلا من اشراف من معكم يخبرنا عنكم ونسأله عن دينكم فانتخب قتيبة  
من عسكره اثني عشر رجلا لهم جمالٌ وأجسامٌ والسن وشعور وبأس ..  
فكاهم قتيبة وفاطمهم فأمرهم فأتوا والين من البياض والرقيق والبغال والعطير  
وحملهم على خيول مطهمة تقاد معهم ودواب يركبونها وأمرهم بقوله — فاذا  
دخلتم عليه فأعلموه اني قد حلقت ان لا أنصرف حتى اطا بلادهم واختم ملوكهم  
واجبي خراجهم — فدعا ملك الصين بصحاف من ذهب فيها تراب وبعث  
بجريد وذهب واربعة غلمان من ابناء ملوكهم ثم أجازهم فأحسن جوائزهم فساروا  
فقدموا بما بعث به فقبل قتيبة الجزية وختم الغلطة ووردهم ووطى التراب، الطبري

( ١٢٧٧ ص ٧٢ — ١٢٨٠ )

ومهما يكن من امر هذه الرواية فان فتوح قتيبة بن مسلم تسكلت بأكاليل

النجاح للأسباب الآتية :

**السبب الأول :** القادة يبدلون الأموال :

كان قتيبة يبدل الأموال عن سعة لجنده فلا يبخل أبداً. ويرجع الفضل في ذلك للحجاج ، فإنه لم يتأخر يوماً عن امداد المسلمين في دار الحرب بكل ماله من الوسائل الفعالة . ويعتقد الترك ان هذا هو السبب الأول في انتصاره عليهم . نستنتج ذلك من كلام احد ملوكهم المعروف برتبيل لقومه فقال لهم مرة « كان الحجاج رجلاً لا ينظر فيما اتقوا اذا ظفروا بيغيته ولو لم يرجع اليه درهم وانتم لاتفقون درهماً الا اذا طعمتم في ان يرجع اليكم مكانه عشرة . البلاذري ص ٢٠٨ »

**السبب الثاني :** الطلائع الكشافة تعينه حرياً :

بعث قتيبة الطلائع الكشافة من اهل البلاد العجم والترك ممن يستنصح لدرس احوال اعدائه درساً مفصلاً ، فكانت تأتيه التقارير عن جغرافية الاصقاع التي سعى لفتحها مع وصف شعابها ونجاديها وطرقها ومدنها وادغالها كما لا يتوغل المسلمون فيقعون في اغلاط يمكنهم اجتنابها . وامتحن طلائعه هذه ليعرف درجة اخلاصها له في اعمالها فذكر الطبري انه اذا « بعث بطليعة امر بدوح فنقش ثم يشقه شقتين فأعطاه شقة واحتبس

شقة لثلا يمثل مثلها ويأمره ان يدفنها في موضع يصفه له من مخاضية مهيروفة  
 او تحت شجرة معلومة او خربة ثم يعث بعده من يستبرها ليعلم اصادق طليعته  
 ام لا . الطبري ٧ ص ١٢٨٠ - ١٢٨١ )

### المبحث الثالث : الحث على الجهاد :

اعتمد قتبية في فتوحه على اشغال ثيران الخمية الاسلامية وايقادها  
 فأشار لجنده في خطبه عما يجده المجاهد في اليوم الآخر من الثواب  
 الطيب والقوز العظيم وما يلاقي عند ربه من العفو والرحمة والأجر . وما الجنات  
 التي تجري تحتها الا نهار الا مقراً للشهداء . الابرار . فكان يستنهض همهم  
 ويستثير عزيمتهم بمثل هذه الوعود . قال يحثهم على الجهاد : ( ان الله احل لكم  
 هذا الحبل ليمز دينه ويذب بكم عن الحرمات ويزيد بكم المال استفاضة والعدو  
 وقتاً ووعده نبيه صلى الله عليه وسلم التزم بحديث صادق وكتب ناطق فقال -  
 هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون -  
 ووعده المجاهدين في سبيله أحسن الثواب واعظم الذخر عنده فقال - ذلك  
 بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله - الى قوله -  
 أحسن ما كانوا يعملون - ثم اخبر عن قتل في سبيله انه حي مرزوق فقال -  
 ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون -



فنتجزوا موعد ربكم . ووطنوا اقسكم على اقصى ارض ارضي ألم و اباي و الهويضا  
 الطبري ٢٩٩ ص ١١٧٩

السبب الرابع : دربة قتيبة و القادة الذين سلفوه في الساحة الشرقية :

كان قتيبة و القادة الذين سلفوه في الفتوح الشرقية من الرجال العمليين فاذا  
 وجدوا فرصة سانحة تمكنهم من اعدائهم اشتهروها . و طالما وعدوا و تقضوا  
 و عودهم حينما رأوا القدرة في جانبهم و القوة في صفوفهم فكان العجم يعزرون  
 قتيبة بالقدر فيذكرون انه وعد باخلاء سمرقند و لم يوف بوعده . و وصف احدهم  
 المهلب بن ابي صفرة وهو كسنتيبة بهذا المعنى ، بقوله : ( كان اذا وجد الفرصة  
 سار كما يسور الليث ، و اذا دهمته الطخمة رانغ كما يروغ الثعلب ، و اذا مادته القوم  
 صبر صبر الذهر . كتاب الامالي للقالي ج ١ ص ٢٦٨ )

اما الأغلط التي وقع بها القادة العرب فأشدها فظاعة تشجيعهم روح  
 العصبية بين القبائل . فطمع بهم أهل البلاد المغلوبة على امرها ، و جعلوا يفرقون  
 بين العرب و يوغرون صدور بعضهم على بعض بالاحقاد . فتمسكوا بهذا من  
 التضييق عليهم عندما تضعفت قواهم و تفرقت صفوفهم . و لو فرق القادة  
 يوم افتتحوا هذه البلاد بطون القبائل في مختلف الأنحاء ، و شجعوها على  
 الاختلاط لما أصيب العرب بما أصيبوا به من التشتيت في اواخر الدولة الاموية

في خراسان وما وراء النهر .

كان قتيبة سيفاً من سيوف الأمويين البتارة فقضى عمره خواصاً للمعارك  
رافعاً راية الجهاد، حاملاً بذور المدينة الإسلامية شرقاً إلى الصين . ففقه جنده  
أخيراً وقتلوه واليك تفصيل الحادث :

سعى الوليد بن عبد الملك في بيعة ابنه عبدالعزيز من بعده ودفع الخلافة  
عن أخيه سليمان بن عبد الملك . فندس إلى القواد والشعراء وكبار الدولة لينشروا  
لعبد العزيز ذكراً وليصفوا مناقبه، وما تحلى به من جميل الخصال فأجابه الحجاج  
وقتيبة وغيرهما وجعلوا يشنون له الدعوة في البلاد . وقد طمع جرير بالجوائز  
والهبات عندذاك فقال يمدح عبد العزيز :

إذا قيل أيُّ الناس خيرَ خليفةٍ      أشارت إلى عبد العزيز الأصابعُ  
رأوه أـحـقُّ الناسُ كلهم بها      وما ظلّموا فبايعوه وسارعوا  
وقل يحضُّ الوليد على بيعة عبد العزيز :

إلى عبد العزيز سمّت عيون الرعية      إذ تحيرت الرُعاءُ  
إليه دعت دواعيه إذا ما      عمادُ الملكِ خرت والسماءُ  
وقال أولو الحكومة من قريش      علينا البيعُ إنْ بَلَغَ الغلاءُ  
رأوا عبد العزيز ولي عهد      وما ظلّموا بذلك ولا أساءوا

فما ذا تنظرون بها وفيكم  
 فزحمة لها بأزملمها اليه  
 أكنفهم وقد برح الخفاء  
 لقام الوزن واعتدل البناء  
 ولو قد بايعوك ولي عهد  
 ( الطبري ٧ ص ١٢٨٣ - ١٢٨٤ )

فتألم سليمان من هذه القصة وحقد عليها وود لو يوقع بها إذا أتاحت له  
 الأيام ذلك، فلما قضى الوليد الأول، اعتلى عرش الخلافة فخافه قتيبة وأعلن  
 خلعه وجعل يذمه ويشترضغان العراقيين ضد بني أمية والشاميين، ودعاهم الى  
 الاستقلال والاتصال كما دعاهم يزيد بن المهلب من قبله . فلقب سليمان  
 (بهبنقة العائشي) وذلك لأنه كذب عطي ويصطنع أهل النعم واليسار ويدع من  
 سواهم، وكان هبنقة وهو يزيد بن ثروان يؤثر سمان ابله بالعلم والمرعى ويقول  
 انا لا أصلح ما أفسد الله . ( البلاذري ص ٤٢٨ ) . وخطب مرة في أهل  
 العراق بخراسان فقال : « ..... ان الشام أب مبرور وان العراق أب  
 مكفور . حتى متى يتطرح أهل الشام بأفئيتكم وظلال دياركم ، يا أهل خراسان  
 انسيبوني تجمدوني عراقي الأم ، عراقي الأب ، عراقي المولد ، عراقي الهوي والرأي  
 والدين ..... وقد أصبحتم اليوم فيما ترون من الأمن والعافية . قد فتح الله

لكم البلاد وآمن سنبلكم فالظلمة تخرج من مرو الى بلخ بغير جواز فاحتموا  
الله على النعمة . الطبري ٧ ص ١٢٨٨ . فأصدرت الحكومة  
الأمرية لإظهارها جالا للجيوين في الساحة الشرقية بالفقول واعطاء الجند  
أعطيتهم والنفوس التام عن المجرمين الذين كانوا في سجن قتيبة . وكان الناس  
قد سئموا القتال وودعوا الرجوع الى الأوطان وتطلعوا الى السلام فلم يجبه أحد  
الى خلع سليمان ، فاشتم كبار الزعماء ونسبهم الى الغدر والمكر فثاروا به بقيادة  
وكيع بن حسان بن قيس التيمي وهو اعراقي جاف . واتحدت العجم معهم  
عليه لبلائه فيهم فقتلوه مع أهله وأحزوا رأسه وهو لا يتجاوز الخامسة  
والخمسين . فارتاح سليمان لمقتله ولكنه قدت به بنو أمية بطليها المغوار فيكاه  
الشعراء وأسف لمقتله الناس . فقال عبد الرحمن بن جانة يرثيه :

كان أبا حفص قتيبة لم يسر بجيش الى جيش ولم يعزل منبرا  
ولم تحقق الرايات والقوم حوله وقوف ولم يشهد له الناس عسكرا  
دعته المناسيا فاستجاب لربه وراح الى الجنات غنا مطهرا  
وشهد بقتيبة أحد الاعاجم قتال : ( يامعشر العرب قتلتم قتيبة ، والله  
لو كان قتيبة منافات فينا جعلناه في تابوت فكنا نستفتح به اذا غزونا ،  
وجا صنع أحد قط بخراسان ماصنع قتيبة الا انه قد غدر وذلك ان الحجاج



كتب اليه ان اختلهم واقتلهم في الله . الطبري ٧ ص ٩٢٠ (١٣٠٠)

### فتح الهند والسند :

قلنا فيما تقدم ان الفتوح المشرقية بدأت على عهد عثمان بن عفان . وكان عبد الله بن عامر بن كرزب والي العراق اذ ذلك ، ساعده الايمت ويده البطاشة ، فاراد غزوا الهند والاستيلاء عليها فوجه كشافته الى حدودها لأختبار احوالها فرجعوا وثبطوا همته اعتقاداً منهم ان البلاد لا تخضع الا لجيش قوي متين . فقالوا له : « ان قل الجيش فيها ضاعوا وان كثروا جاعوا . البلاذري

ص ٤٣٨ »

ولم يقم بفتح الهند وتثبيت اقدام المسلمين فيها الا محمد بن القاسم وقد ولاه الحجاج في ايام الوليد الاول فارس ، وعمد له على جيش يتألف من ستة آلاف وكلهم من الشام ، وجهزه بكل ما يحتاج اليه حتى الخيوط والمسالك كما روي

البلاذري « ص ٤٤١ » .

وهنا يعدد لنا المؤرخون اسماء البلاد التي افتتحها فيقولون انه سار من « شيراز » المقر العام لجيشه الى « مكران » ف « قنبربور » ف « ارماتيل » ف « الديبل » ف « البيرون » ف « سهيان » ف « مهران » ف « برهمناباذ » ف « ساونديري » ف « الزور » ف « الملتان » . ولا ريب ان اشهر المعارك

التي خاض غمارها محمد بن القاسم هي معركة الديبل فانه خندق حول المدينة ورمها بالنجنيق فافتتحها عنوة ، ومكث يقتل من فيها ثلاثة ايام ، ثم اختط بها للمسلمين وبنى لهم مسجداً وانزلها أربعة آلاف من جنده . وقد امتازت الديبل بمنارتها العظمى وبها الاصنام المقدسة وكانت تعرف عندهم ( بالبد ) . اما الملة ن من اعمال السند فهي ايضاً من المدن المقدسة عند الهنود وكانت تهدي الى بدها الاموال وينذر له الندور ، وتخرج اليه اهل السند فيطوفون به ويحلقون رؤوسهم والحامم « البلاذري ص ٤٤٥ »

نصر محمد بن القاسم الوليد في دعوته لأبنة عبد العزيز ، فعزله سليمان بن عبد الملك وعين مكانه يزيد بن ابي كبشة السكسكي ، وأمره بسجنه فقبض عليه وعذبه ثم نقله الى واسط العراق فأعدمه صالح بن عبد الرحمن والي المصريين ففضى وهو يمثل بهذا البيت :

أضاعوني واي فتى اضاعوا      ايوم كبرية وسداد نغر

وقال يتألم من سجنه ويذكر ماضيه :

فلئن ثويت بواسط وأرضها      رهن الحديد مكبلا مغلولا

فلرب فتية فارس قد رعنها      ولرب قرن قد تركت قتيلا

وقال : وما دخلت خيل السكاسك ارضنا ولا كان من عك علي أمير  
 ولا كنت للعبد المزوني تابعاً فيالك دهر بالكرام عثور  
 وبكى الهنود محمداً لسماحته وعدله وكرم خلقه ، ورثاه حمزة بن بيض  
 الخنفي بقوله :

ان المرؤة والسماحة والندی      لمحمد بن القاسم بن محمد  
 ساس الجيوش لسبع عشرة حجة      ياقرب ذلك سودداً من مولد

« البلاذري ص ٤٢٦ »

فترى ان ثلاثة من قادة الفتوح الشرقية وهم يزيد بن المهلب، وقتيبة بن  
 مسلم، ومحمد بن القاسم ذهبوا ضحية المصالح السياسية ، وهذا دليل كاف لأن  
 يبرهن لنا ان السياسة لا ترحم احداً .

### (٣) الفتح في السامرة الافريقية الاوربية :

كانت العراق هي المتر العام للفتح للشرقية . اما الثغور الشامية وظلت  
 دوماً الخطة الرسمية للمغازي في الساحة البيزنطية . واصبحت مصر بعد  
 خضوعها للمسلمين المركز الحصين لجيشهم في اقتحام شمالي افريقية .  
 فلما ولي عبد الله بن ابي سرح مصر على عهد عثمان بن عفان كان يرسل  
 جرائد الخليل ويبعث سرايا فيفرقها في الاطراف فيغزو القبائل البرية ويستاق

مواشيها ويصيب أموالها فلم يخطئ للمسلمين بها بل كانت أعماله محصورة في الغزو والسلب. وكان ذلك بين سنة ٢٧ هـ وسنة ٢٩ هـ و (٦٤٧ - ٦٢٩ م) ، وفتح عقبة بن نافع القهري افریقیة على عهد معاوية الأول - وتقصد بافریقیة البلاد التي كان يقطنها البربر حوالي القيروان اليوم - في عشرة آلاف من المسلمين فاخطت القيروان وبنى بها الدور والمسكن وشيد المسجد الجامع فيها وارتطاجند سنة ٥٠ للهجرة و ( ٦٧٠ م ) وتابع عقبة فتوحه حتى تم له الاستيلاء على طرابلس فاخضع قبائل لواته ل ( كتاب الولاة والقضاء ص ٣٢ - ٣٣ ، والبلاذري ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ) ونشر بينها الاسلام .

أسند عبد الملك بن مروان ولاية مصر الى أخيه عبدالعزيز بن مروان ، فحصر همه في اتمام القموح الافريقية فأخضع تونس . ثم وجه موسى بن نصير الى طنجة ففتحها واخطت فيها للاسلام وحصنها تحصيناً تاماً ، وولاهها طارق بن زياد مولاة . ووطئت جيوشه السوس الاذني والسوس الأقصى فأطاعت له قبائل هواراة وزناته وكتامة وصنهاجة وسجوما ( ابن قتيبة ص ١٠٤ - ١٠٦ - ١١٣ ج ٢ ، والبلاذري ص ٢٣٨ ) ، وجعل ينشر الاسلام بينها بنشاط زائد وهمة لا تعرف الملل ، فكان يتقرب منهم ويصلي بهم ويخطب فيهم ، الدولة الأموية في قرطبة ج ١ ص ١٩ ) او بنقل الاموال في سبيل ذلك فروي ابن قتيبة :



«ان موسى اذا افاء الله عليه شيئاً اشترى من ظن منهم انه يقبل الاسلام  
 وينجب ؛ فيعرض عليه الاسلام فان رضي قبله من بعد ان يمتحن عقله  
 ويجرب فطنة فهمه ، فان وجدته ماهراً أمضى عتقه وتولاه . ابن قتيبة ج ٢  
 ص ١٠٩ ، وقال ابن خلسكان « . . . وترك موسى خلقاً كثيرًا من  
 العرب لتعليم البربر القرآن وفرائض الاسلام ج ٢ ص ١٣٤ — ١٣٥ »  
 ولذا لا تعجب ابداً ان رأيناهم بعد ذلك مادة جيشه في فتح الاندلس .

أسس موسى بن نصير في تونس داراً لصناعة السفن وأجرى البحر إليها  
 مسيرة اثني عشر ميلاً ، فأقحمه اياها فصارت ملجأ للمراكب اذا هبت الالواء  
 والارياح في فصل الشتاء . وكانت هذه المراكب خفراً للسواحل الأفريقية  
 وبلغ عددها نحواً من مائة مركب حوالي سنة ٨٤ هـ و ( ٧٠٣ م ) وغزا  
 بها سرقوسة من اعمال صقلية وسردانية وافتتح جزيره ميورقة .

اما فاتح افريقية موسى بن نصير فقد ولد في خلافة عمر بن الخطاب سنة  
 ١٩ هـ و ( ٦٤٠ م ) وكان ابوه مسيحياً من عين التمر ، وهي بلدة قرية من  
 الانبار غربي الكوفة تقرب من قرية يقال لها شفاثا ويحلب منها التمر الى  
 سائر الامصار . وفتحها المسلمون على يد خالد بن الوليد سنة ١٣ هـ و ( ٦٣٤ م )  
 عنوة . وكان والده نصير على حرس معاوية بن ابي سفيان ومنزلته عنده

مكينة « ابن خلسكان ج ٢ ص ١٣٤ - ١٣٥ : « معجم البلدان ج ٣ ص ٧٥٩ » ، وقضى موسى مغضوباً عليه منفيًا في وادي القرى بالحجاز  
 « راجع تفصيل الحادث في الدولة الأموية في قرطبة ص ٣٨ » .

لسنا نبحت في كتابنا هذا عن الفتوح الأوربية -- فتوح اسبانية  
 وجنوبي فرنسا -- فاننا اشبعناها درساً في كتاب الدولة الاموية في قرطبة.  
 « راجع الفصل الأول من كتاب الدولة الأموية في قرطبة » .

فتحت الدولة الأموية هذه الأصقاع الشاسعة فأخذت في عمرانها  
 ونشرت العدل في ربوعها ، وسنت القوانين المختصة بالخراج والمجزية، وجعلت  
 للمجتهد نصيباً طيباً في استثمار الارضين، وحرمت الكسول من تملكها كما  
 لا تلعب يد الفساد والدمار فيها فتصبح فقراء لا تزدهي بالزروع النضرة  
 ولا تزدهر بالثمار الشبية . واليك أحكام اراضي الخراج في البلاد التي  
 افتتحها العرب :

قال تلميذ ابي حنيفة المشرع الاسلامي الكبير ابو يوسف ما نصه :

( ١ ) انما ارض أخذت عنوة مثل السواد والشام وغيرهما فان قسمها

الأمم بين من غلب عليها فهي أرض عشر وأهلها رقيق .

(٢) وان لم يقسمها الأمم وردها للمسلمين عامة كما فعل عمر بالمواد

فعلى رقاب اهلها الجزية وعلى الارض الخراج وليسوا برقيق .

( ٣ ) اذا اسلم كافر من اهل العنوة أقرت ارضه في يده يعورها ويؤدي

الخراج عنها ولا اختلاف في ذلك .

( ٤ ) اذا عطل أرضه قيل له ازرعها وأد خراجها والافادفعها الى غيرك

يزرعها . فاما ارض العشر فانه لا يقال له فيها شي .

( ٥ ) واذا اصاب الغلات آفة او غرق ، سقط الخراج عن صاحبها وازاد

على ذلك مالك والشافعي بقولهما : « اذا كان في البلاد سنة اعجمية قديمة لم

يغيرها الاسلام ولم يبطلها فشكها قوم الى الامام لما ينالهم من مضرتها يغيرها

وان قدمت لان عليه نفي كل سنة جائزة سنها احد من المسلمين فضلا عما

سن اهل الكفر » ( البلاذري ص ٤٥٣ ) .

## الفصل السادس

### العدل والأصلاح في الدولة الأموية

عبد الملك بن مروان ، قطع دابر الرشوة والتخلص من الموظفين  
الفسق ، اهتمام بكل صغيرة وكبيرة ، شخصية عبد الملك ، الوليد الاول  
الوليد بن مروان عليه السلام في سبيل مصلحة الدولة ، سليمان بن عبد الملك ،  
عجوب ، عمر بن عبد العزيز ، ثقاته ، عمر ثواب ادارى عادل ، عمر  
صريح الاراء لا يخاف في النقد لومة لائم ، يشجع الحرية الفكرية ،  
يقوم للتشورى مطانة عليا ، الامتنال بتعصيب الخلفاء على العرشه ،  
اصولات عمر ، الرعامة بالجيوصره ، ولا يجازف بارواح المسلمين ،  
استعان الخراسم والولاء ، الخراج الطيب الحمل ، تعيين المشهود لهم  
بالعفة والفضل ، الاستئذانه في انظام الاعدام ، الاهتمام به الصح  
الشعب ، اصراع القضاء ، محاربة المسكرات ، منع الناس من شتم على ،  
الرفق بالجيران ، العوامل التي دفعت عمر له اصراع والعدل .



ثبت الامويون عرشهم على الجحاشم فأعملوا السيف والنطع وراحوا يفتكرون  
 باعدائهم فتكا ذريعتا . وليست الأعمال الرهيبة التي قام بها مروان بن الحكم وعبد  
 الملك بن مروان في العراق والحجاز والشام عنا ببعيدة . فلما استتبت لهم  
 الاحوال جمعوا ينسطون الحق في الجهات المختلفة ، ويحذرون من ارتكاب الاغلاط  
 الادارية الفاحشة التي قد تكتمهم نتائجها اضراراً جسيمة ومسئولية عظيمة فكان  
 عبد الملك يأمر بالرفق والترث في الاحكام والاهتمام بالمشاركة وطلب النصيحة .  
 ذكر لنا المؤرخون انه ارصى اخاه عبد العزيز حين مضى الى مصر اميراً عليها  
 فقال له ( ابسط بشرك والن كنفك وآثر الرفق في الامور فانه ابلغ بك ،  
 وانظر حاجبك فليكن من خير اهلك ، فانه وجهك ولسانك ، ولا يقن  
 أحدٌ ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده ، وإذا  
 خرجت الى مجلسك فابدأ بالسلام يأنسوا بك ، وتثبت في قلوبهم محبتك ،  
 وإذا انتهى اليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاركة فانها تفتح مغاليق الامور ،  
 وإذا سخطت على أحدٍ فأخر عقوبته ، فانك على العقوبة بعد التوقف عنه  
 أقدر منك على ردها بعد أمضائها ، الفخري ص ١١٥ . »

وقطع دابر الرشوة فعزل الموظفين الخائنين الذين لا يعرفون من الوظيفة  
 الا ائلاء جيوبهم ، وتأخير مصالح الناس ، وعدم قضائها في أوقاتها . فكان بذلك

شديد اليقظة كثير التعاهد لولانه شديداً في أحكامه عليهم . روى الجاحظ :  
 « بلغه أن عاملاً من عماله قبل هدية فأمر باشخاصه اليه فلما دخل عليه  
 قال له : أقبلت هدية منذ وليتك ؟ قال يأمر المؤمنين بلادك عامرة وخراجك  
 موفور ، ورعيتك على أفضل حال ، قال أجب فيا سألتك عنه . أقبلت هدية  
 منذ وليتك ؟ قال نعم ، قال لئن كنت قبلت ولم تعوض انك للئيم ، ولئن  
 انلت مهديك لامن مالك او استكفيته مالم يكن يستكفاه انك لجائر خائن .  
 ولئن كان منهدبك ان تعوض المهدي اليك من مالك وقبلت ما اتهمك به عند  
 من استكفاك ، وبسط لسان عائبك ، وأطمع فيك أهل عملك انك لجاهل ، وما  
 فيمن أتى أمراً لم يخل فيه من دناءة او خيانة او جهل مصطنع نحيناه عن عمله ،  
 البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٣٠ . »

ولم يكل الأمور في اعدائه وأهل حربه ومنافسيه الى غيره حتى يياشرها  
 بنفسه . وان اهتمامه بكل صغيرة وكبيرة جعته يركب الخطأ في بعض الاحيان  
 لكن ذلك أثار في جمهور الموظفين روح اليقظة والاهتمام بالمسئولية . فسار  
 على سياسة الشدة التي اتبعها يزيد الأول بن معاوية من قبله فأمر ابنه الوليد وهو  
 على فراش الموت ان لا يتهاون في أمر بيعته وان يلبس جلد النمر لخصومه وان  
 يتدرع بالصبر فقال له : « يا وليد لألقينك اذا وضعتني في حفرتي ان تقصر

عينيك كالأمة الورهاء بل اينز ر وشمر والبس جلد النمر وادع الناس الى البيعة  
 نانياً ، فمن كان برأسه كذا فقتل بالسيف كذا . الاخبار الطوال ص ٣٢٨ ،  
 توفي عبد الملك بن مروان سنة ٨٦ هـ و (٧٠٥ م) فكانت خلافته ثلاث عشرة  
 سنة وخمسة اشهر تقريباً ، وقد قضى وواروه التراب خارج باب الجابية في  
 دمشق . ويحقيق انه ولد سنة ٢٦ هـ و (٦٤٦ م) في خلافة عثمان بن عفان ، وشهد  
 يوم الدار مع أبيه وهو غلام لا يتجاوز العاشرة من عمره . وأمه عائشة بنت معاوية  
 ابن المغيرة بن ابي العاص بن امية . وعرف منذ صغره برجاحة عقله وصلابة  
 رأيه وقوة عزيمته ، فكان يعتقد اعتقاداً تاماً حينما نازع انداده في تطلب الخلافة  
 انه هو القادر دون سواه على ضبط زمام الدولة وتسيير دفتها نحو الاصلاح  
 وال عمران والسلام . فقال مرة : « ما اعلم مكان احد اقوى على هذا الامر  
 مني . . . » وان ابن الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ولكن ابخله لا يصلح  
 ان يكون سائساً . الطبري ٧ ص ١١٧٧ »

وكان عبد الملك شاباً اديباً ذكياً فاضلاً له السام واسع بعلم الشريعة  
 والحديث والفتنة واللغة . قال الشعبي : « ماذا كرت أحداً الا وجدت لي الفضل  
 عليه الا عبد الملك بن مروان فاني ماذا كرته حديثاً الا زادني فيه وشعراً الا  
 زادني فيه . الفخري ص ١١٣ » واشتهر بمواقفه الخطائية فقتل لعبد الملك

لقد اسرع اليك الشيب ، قل : « شيبني صعود المنابر والخوف من اللحن .  
 الفخري ص ١١٣ » وبروى انه لما اشتد مرضه وقاربته الوفاة قال أعمدوني على  
 شرف فأصعدوه الى موضع عال ، فجعل يتنسم الهواء ثم قال : « يادنيا ما طيبك ،  
 ان طويلك لتقصير ، وان كشيرك لحقير ، وان ككنا منك لني غرور .  
 الفخري ص ١١٤ » والخلاصة انه كان معروفاً بالصدق مشهوراً بالفضل  
 والعلم ، لا يختلف في دينه ولا ينازع في ورعه . « ابن قتيبة ج ٢ ص ٢٥ »  
 خلف عبد الملك ابنه الوليد الاول . وكانت ولاية العهد لعبد العزيز  
 بن مروان فأراد عبد الملك خلع اخيه وتولية الوليد لتصبح الخلافة في ولده .  
 فراح ينشط الناس على استخلافه فم له ذلك . وانا ان نبحت لك عما  
 اصاب الدولة من الحن من تسمية الخلفاء لمرشحين او ثلاثة للخلافة يتلو  
 الواحد منهم الآخر في ولاية العهد . اما نحن ان نلقت نظرك الى هذه المسئلة  
 التي لعبت دوراً مهماً في انحلال جسم المملكة الاموية . ولولم يجعل القدر  
 فيموت عبد العزيز في أيام أخيه عبد الملك لما تناول الوليد الخلافة بسهولة  
 « الطبري ج ٦ ص ١١٦٧ » .

نهج الوليد على منهج ابيه عبد الملك فحمل سيف النعمة والشدة في يده ،  
 وغار العدل والرحمة في اليد الاخرى . وكان عظيم السطوة تهون عليه السماء



في تنفيذ مصالح الدولة . « التنبيه والاشراف ص ٣١٧ » ولما كان الخلفاء الذين تقدموه قد مهدوا له طرق الامن ، وأمّنوا له سبل الطاعة ، التفت الى الفتوح وال عمران وتشييد صرح العدالة على اسس متينة . فافتتح معظم المغرب والانديس ، واجتازت جيوشه نهر جيحون حتى بلغت ماوراء النهر . واختلط مع افراد شعبه فنعى القهواء والمجنّمين من سؤال الناس وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً ، الطبري ٢٧١ ص ١٢٧١ ، القفري ص ١١٥ - ١١٦ »

ولم يكن الوليد خطيباً فصيحاً يحكم قواعد اللغة كايه ، بل عرف بانه لحن لا يحسن النحو . روى الطقطقي ان اياه عبد الملك عاتبه وقال له انه لا يلي العرب الا من يحسن كلامهم ، فدخل الوليد بيتاً واخذ معه جماعة من علماء النحر واقام مدة يشتغل فيه ، فخرج اجهل مما كان يوم دخوله ، فلما بلغ ذلك عبد الملك قال قد اعذر . « القفري ص ١١٥ - ١١٦ ، ويذكرون انه كان مغرماً بنشر القرآن فبذل الاموال في سبيل ذلك . قال الطبري : « اتاه رجل من بني مخزوم يسأله في دينه فقال نعم ان كنت مستحقاً لذلك ، قال يا امير المؤمنين وكيف لا اكون مستحقاً لذلك مع قرابتي . قال أقرأت القرآن قال لا ، قال ادن مني فدنامنه ، فزرع عمامته بقضيب كان في يده

وقرعه قرعات بالقضيب ، وقال لرجل ضم هذا اليك فلا يفارقك حتى يقرأ  
 القرآن ٠٠٠٠ . وقام اليه عثمان بن يزيد فقال يا امير المؤمنين ان علي ديناً فقال  
 أقرأت القرآن قال نعم فاستمراه عشر آيات من الاقبال وعشر آيات من براءة ،  
 فقرأ فقال نعم تقضي عنكم ونصل ارحامكم على هذا ، ﴿٦٧﴾ ص ١٢٧١ «  
 وكان كريماً جواداً محبوباً من شعبه حتى ليقال «انه كان يمر بالبقل فيقف  
 عليه فيأخذ حزمة البقل فيقول بكم هذه فيقول بفس ، فيقول زد فيها .  
 الطبري ﴿٦٧﴾ ص ١٢٧١ « وامتاز بعقل راجح وصدر رحب فكان  
 يسمع للناصحين نصحتهم ولا يتأخر عن طلب المشاورة فقال له أسلم بن الاحنف  
 قبل ان يستخلف : ( اصلح الله الامير ، اذا طننت ظناً فلا تحمقه واذا  
 سألت الرجال فسلهم عما تعلم ، فاذا رأوا سرعة فهمك كما تعلم ظنوا بك ذلك  
 فيما لا تعلم ، ورس من يسأل لك عما لا تعلم . البيان والتبيين ج ١ ص  
 ٢١١ ) وتوفي في دمشق سنة ٩٦هـ (٧١٤م) وهو لا يتجاوز السادسة والاربعين  
 قلنا ان ايام الوليد كانت ايام فتوح وتوسع وعمران . فعقبه اخوه سليمان  
 بن عبد الملك واتم تلك السلسلة من الفتوحات العظيمة في الساعات الثلاث  
 البيزنطية والشرقية والافريقية الاوروبية . وقد شعر الناس انهم في مجبوحة  
 من العيش في عهده فقالوا : ( سليمان مفتاح الخير ، ولي فاطلق الاسارى ،

وخلى اهل السجون واحسن ٠٠٠ واستخلف عمر بن عبد العزيز . الطبري  
 ٧٧٢ ص ١٣٣٧ ) وذكر ابن العبري انه رد المظالم واخرج  
 المحبسين ، « ص ١٩٦ ، ٠ »

نشأ سليمان بالبادية عند اخوانه بني عبس فشب فصيح اللسان كثير  
 الادب، ولاريب انه كان من اجل شبان بني امية فيصفه المؤرخون بقولهم: (... وكان  
 طويلاً ايضاً جميلاً قضيلاً جعد الشعر... شديداً العجب بشبابه وجماله ،  
 التنبيه والاشراف ص ٣١٨ ) . واعتنى بلباسه وهندامه ، وتأنق في ذلك  
 كثيراً حتى لقب نفسه ( بالملك القتي ) ( والملك الشاب )

و يعاب سليمان بأمرين : الاول لغيرته وحسده فقتك بموسى بن نصير فاتح  
 المغرب والاندلس ، وقد ذكرنا لك ذلك في فصل الفتوح وعذب غيره من  
 كبار الرجال اصحاب انخدمات الباهرات لمجرد سوء الظن او لبادرة حسد  
 تطراً عليه . والثاني لسكرتهمهم وشغفه بالنساء . روى الفخري : ( ... وكان  
 نهما فيقال ان الطباخ كان يأتيه بالشوا . فلا يصبر حتى يبرد فيأخذه بكمه ...  
 قال الاصمعي : كنت مرة افاوض هارون الرشيد فجرى حديث اصحاب  
 النهم ، فقلت كان سليمان بن عبد الملك شديد النهم . وكان اذا اتاه الطباخ  
 بشوا . تلقاه فاخذه بأكمامه فقال الرشيد ما اعلمك يا اصمعي باخبار الناس .

لقد اعترضت منذ أيام جباب سليمان فوجدت أثر الدهن في أكمامها فظننته طيبيا. قال الاصمعي ثم امر لي بجبة منها ، ص ١١٦). وقال الطبري: ( ولي سليمان فكان صاحب نكاح وطعام ، فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن التزويج والجواري، ص ١٢٧). ويبلغ المؤرخون في رواياتهم عن نهمه غيراتها نظير لنا ولاشبهة حقيقة ناصعة وهي ان الخليفة الفتي او الشاب كان يحب ان يتمتع بجميع الشهوات الجسدية ، وقد اسرف في تمتعه بها اسرافا زائدا حتى انها قضت عليه وعجلت في وفاته. قال ابن عبدبره: ( وكان سبب موت سليمان بن عبد الملك ان نصرانيا اتاه وهو بدابق — بالقرب من حلب — بزنبيل مملوء بيضا وآخر مملوء تينا. قال: قشروا فقشروا فجعل يأكل بيضة وتينة حتى اتى على الزنبيلين. ثم اتوه بقصعة مملوءة مخا بسكر فأكله فأتخم فمض فمات. العقد الفريد ج ٣ / ص ١٦٨ ) .

لم يتمكن عبد الملك بن مروان والوليد الاول وسليمان من بسط العدالة بسطا تاما ارتاح له النفوس وتطمئن له القلوب . وكان ذلك لتقسوة الظروف اولا وانقلاب بعض اللصغات الرديئة عليهم ثانيا . فالعنا الى ما اشتهر به سليمان من الغيرة والحسد والى ما عرف به الوليد من اراقة الدماء في سبيل المصلحة ، والى ما تغلب على عبد الملك من طبع السيطرة على كل صغيرة وكبيرة .



وهذا لا ينفي اننا ننكر على هؤلاء الرجال ما حملوا به من المزاي الشريفة والخصل الحميدة والمواهب العالية . والحق ان العدالة الاموية لم تظهر بمظهرها الجليل التكبير الا في عصر عمر بن عبد العزيز خليفة سليمان بن عبد الملك .

نشأ عمر في المدينة وتأدب بها على اشهر اساندها المتصلين به لعلوم القرآن والحديث والفقه والشريعة كصالح بن كيسان وعبيد الله بن عبد الله . ودرس العربية وتفرعاتها فأصاب منها سهماً وافراً، وكان شاباً ولوعاً بتزيين نفسه فتأنق في ملبسه ، وتعلبت عليه الخيلاء فزهى واستكبر في بعض الاحياء على الناس . قال ابن الجوزي باسناده: (حدثني علي بن جذيمة قال رأيت في المدينة قرو هو أحسن الناس لباساً ، ومن اطيب الناس ريحاً ، ومن أخيل الناس في مشيته . ص ٣٢، سيرة عمر بن عبد العزيز) . ثم لم تطل به الحال على هذا المنوال فنراه قد خلع عنه ثوب الصلف وارتدى رداء التواضع لما اسندت اليه المنصب الادارية . وقد ولي الحجاز وهو ابن خمس وعشرين سنة وكان ذلك في ايام الوليد الاول . فبرهن على اقتداره في تدبير الامور وتثبيت دعائم الحق والانتصار للضعيف . وأوسع المجال لعقلاء المدينة وفقهائها لان ينبهوه على اغلاطه وان ينيروا سبيله في احقاق الحق وازهاق الباطل ، فدا مرة عشرة قر من علمائها وقال لهم : ( اني دعوتكم لامر تؤجرون فيه وتسكونون فيه اعواناً على الحق .

انز رأيتم اجداً يتعدي، ويلفكم عن عامل لي ظلامه، فأخرج بالله على اجد  
بلغه ذلك الا أبلغني . سيرة عمر ص ٣٢ )

ولم يقبل عمر بن عبد العزيز منصب الولاية على الحجاز الا بعد ان أقر  
له الوليد السادة التامة ليقص من ار باب العديوان واهل الظلم وان اجبر ان  
لا يرفع للخرزينة درهماً واحداً . قال ابن الجوزي: ( استعمل الوليد بن عبد الملك  
عمر بن عبد العزيز على الحجاز المدينة ومكة والطائف فأبطأ عن الخروج فقال  
الوليد لجاجه وبلك ما بيل عمر لا يخرج الي عمله قال زعم ان له اليك ثلاث  
حوارج قال فمجاهه علي فجا . به الوليد فقال له عمر انك استعملت من كان قبله  
فانا احب ان لا تأخذني بعمل اهل العديوان والظلم والمجر فقال له الوليد :  
اعمل بالحق وان لم ترفع اليها الا درهماً واحداً . سيرة عمر ص ٣٣ )

انصف عمر بشجاعته الادية ومراحمته النادرة المثالي فكانت ينتقد  
اعمال الخلفاء الذين سلفوه ويسلقهم بقوارص الكلام ولا يخاف في التنبيد  
على من يشنون عن احكام القرآن والسنة لومة لأمر . فتألم منه بنو امية حتى  
ليقال انهم هم الذين دبروا الدسائس للخلاص منه . وهناك مثالا حياً على  
ما قبلناه : ( دخل عمر بن عبد العزيز على سليمان بن عبد الملك وعنده ابنه  
أيوب وهو يومئذ ولي عهده ، وقد عمده له من بعده فجاء انسان يطلب ميراثاً

من بعض نساء الخلفاء ، فقال سليمان ما أتخال النساء يرثن في العقار شيئاً فقال  
 عمر بن عبد العزيز سبحان الله وابن كتاب الله فقال يا غلام اذهب فأتني  
 بسجل عبد الملك بن مزوان الذي كتبت في ذلك . فقال عمر اسكأ نك  
 ارسلت الى المصحف . قل ايوب . والله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا  
 عند امير المؤمنين ثم لا يشعر حتى يفارقه رأسه . فقال له عمر اذا افضي الامر  
 اليك والى منك مما يدخل على اولئك اشد مما خشيت ان يصيبهم من هذا .  
 فقال سليمان لأيوب مه ، لأبي حمص تقول هذا . فقال عروا لله لتن جهل  
 علينا يا امير المؤمنين ما حملنا عنه . سيرة عمر ص ٣٨ )

وكان من الذين يقدسون الحرية الفكرية وروث وجوب تشجيعها  
 والمحافظة عليها . فجادل الخوارج من الحرورية وراسلهم وطلب اليهم ان  
 يحجوه ويقنعوه بالبراهين ان كانوا في زعمهم ومبادئهم صادقين . روى  
 الطبري : ( كتب عمر الى بسطام بن يشكر وهو شوذب زعيم الحرورية  
 في العراق يسأله عن سبب محرجة ، فكان في كتاب عمر اليه : بلغني  
 انك خرجت غضبا لله وانبييه راسلت بأولى بذلك مني فهلم انظرك فان  
 كان الحق بأيدينا دخت فيما دخل فيه الناس ، وان كل في يدك نظرنا  
 في امرنا عز ١٣٤٨ - ١٣٤٩ (٤٧٧) . فجاءه وقد منهم الى الشام

فامنهم وطيب قلوبهم وجلس وياهم وجهاً لوجه يتجادل معهم . ومما يتجهج  
له الخاطران المؤرخين حفظوا لنا احاديثهم معه وهي كما يأتي :

رسولا الحرورية - اخبرنا عن يزيد لم تقره خليفة بعدك يزيد بن عبد الملك )

عمر - : صيره غيري

رسولا الحرورية - أفرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلته الى غير مأمون

عليه ، أترك كنت اديت الامانة الى من ايتمنك ؟

عمر - : انظراني ثلاثا

وعلق الطبري على هذا الحديث بقوله : ( خاف بنو مروان ان يخرج ما

عندهم وفي ايديهم من الاموال وان يخلع يزيداً فلدسوا اليه من سقاه سماً ،

١٢١٩ ( ١٣٤٨ - ١٣٤٩ )

تسم عمر بن عبد العزيز عرش الخلافة بعد وفاة سليمان بن عبد الملك

فجمع الناس في المسجد الجامع بدمشق وصرح لهم انه اسند اليه الامر دون

ان يستشيروه او يستشيروا الشعب فيه . ولذا فهم احرار في خلع بيعته

وانتخاب سواه ، فصاح الناس صيحة واحدة : ( قد اخترناك يا امير المؤمنين

ورضينا بك ) . فلما هدأت الاصوات ولم يعترض احد على ولايته انخلفة خطب



خطبته العرش . قال من جملتها : ( اوصيكم بتقوى الله . . . . . واصلحوا سرائركم يصلح الله الكرمين علانيتكم . واكثرُوا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد قبل ان ينزل بكم فانه هادم اللذات . . . واني والله لا أعطي احداً باطلاً ولا امنع احداً حقاً .

يا ايها الناس ، من اطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصي الله فلا طاعة له اطيعوني ، ما اطعت الله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . سيرة عمر ( ص ٥٣ - ٥٤ )

ثم ارادت الحكومة الاحتفال بتنصيبه رسمياً كما جرت العادة فهيات موكب الخلافة وهو يتألف من كبار رجال الدولة وعظماؤها ، وقد يركبون وراء الخليفة على البراذين والخيول والبغال ، ولكل دابة سائس ، فلما رأى تلك الابهة قال ما هذا ؟ قالوا مر ب الخلافة . قال دابتي اوفق لي وركب دابته وصرف تلك الدواب . ثم اقبل سائراً فقبل منزل الخلافة ، فقال فيه عيال ابي ايوب ، وفي فسطاطي كفاية حتى يتصلوا ، فاقام في منزله حتى فرغوه . الطبري ١٢٦٢ ص ١٣٤٤ - ١٣٤٥ ) . نحن لانرى دليلاً اكبر من الذي قدمناه على ديمقراطية عمر رشدة تواضعه واستخفافه بمظاهر الحياة الفارغة . ويذكر ان جاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالجرية فقال : ( تنح عني

مالي ولك، انما انا رجل من المسلمين - سيرة عمر ص ٥٣ ) ، ولم يكند يستلم  
 زمام الاحكام حتى امر بستور دار الخلافة فهتكت ، والثياب التي كانت تبسط  
 للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وادخال ائمانها في بيت مال المسلمين ( سيرة  
 عمر ص ٥٤ ) . وسرح عمر حرس الخلافة وكانوا حوالي ستائة وقال لهم :  
 ان بي عنكم الغنى ، كفى بالتندر حاجزا ، و بلاجل حارساء ولا اطرحكم  
 من مراتبكم ، من اقام منكم فله عشرة دنانير ، ومن شاء فليلحق بأهله .  
 سيرة عمر ص ٩٨ ) . وكان عمر يقعد للناس على الارض فتميل له لوأخرت يبسط  
 يبسط لك فتجلس ويجلس الناس عليه كان ذلك اهيب لك في اقلوب  
 الناس فتميل :

قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى له صبوّة احدى الليالي الغواير  
 ولولا التقى من خشية الموت والردى لعاضيت في حب الصبي كل زاجر  
 ( الاخبار الطوال ص ٣٣٣ )

قام عمر باصلاحات جمة عقب توليه الخلافة فأصدر أمراً الى قادة جيوشه  
 في جميع الساحات والتخوم يطلب اليهم به ان تكون ارحمة من شائهم والشفقة  
 قبله انظارهم . كتب عمر الى الجزاع احد قادته : ( انه بلغني ان رسول الله  
 - ص - كان اذا بعث جيشاً أو سرية قال اغزوا بسم الله وفي سبيل الله

تقاتلون من كفر بالله ، لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا  
وليدا . فاذا بعث جيشا او سرية فرمهم بذلك . العقد القويديج ( ١ ص ١٨ )  
وحرص حرصا زائداً على دماء المسلمين فأبى أن يجازف بأرواحهم  
أو أن يجشمهم من المشاق مالا طاقة لهم به . فعهد الى بعض رجال الحرب  
بهذه النصائح الثمينة : ( ارفق بمن معك في مسيرهم ، ولا تجشمهم مسيراً  
تعبهم ولا تنصر بهم عن منزل يرفق بهم فانكم تسيرون الى عبوس جام  
الأتقس والكراع ، فلا ترفقوا بانفسكم وكراعكم في مسيركم يكن لعدوكم فضل  
عليكم في القوة . أقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة ليكون لهم راحة  
يجمون بها انفسهم وكراعهم ، ولتكن عيونك من العرب ومن تطمئن الى  
نصحه من أهل الارض . فإن الكذوب لا ينفك خيره وإن صدق في  
بعضه ، وإن الغاش عين عليك وليس بينك وبينك سيرة عمر ص ٢٠٥ ) .  
والغريب ان عمر بلغت به العدالة الى حد انه أمر أن لا يكسى البيت  
الحرام وان تبذل الاموال المخصصة للكسوة في سبيل الفقراء والمحتاجين  
• كتبت الحجية الى عمر ان يأمر للبيت بكسوة كما كان يفعل من كان قبله  
فكتب اليهم : - اني رأيت ان اجعل ذلك في اكباد جامعة فانه اولي  
بذلك من البيت • سيرة عمر ص ٧٦ •

وسعى لان يمتحن نزاهة الرجال الذين اراد توليتهم حكماً وولاية على البلاد  
الاسلامية ليطمئن ضميره وليتخلص من جور الطغاة وعسفهم فذكر ابن  
الجبوزي انه لما : ( ولي عمر الخلافة وفد عليه بلال بن ابي بردة فهناه . . . .  
فجزاه عمر خيراً، ولزم بلال المسجد يصلي ويتقرأ ليله ونهاره ، فهتم عمر ان يوليه  
العراق . ثم قال هذا رجل له فضل ، ففس اليه ثنة له فقال له ان عملت لك  
في ولاية في العراق ما تعطيني . فضمن له مالا جليلا فأخبر بذلك عمر فنفاه  
واخرجه . سيرة عمر ص ٩٣ ) وأبعد الولاية القساة السفاكين عن استلام  
زمام البلاد لئلا يفسدوا في الارض فكتب عمر الى الجراح بن عبدالله عامه  
على خراسان : ( بلغني انك استعملت عمارة ، ولا حاجة لي بعمارة ولا بضرب  
عمارة ولا برجل قد صبغ يده في دماء المسلمين فاعزله . سيرة عمر ص ٨٦ .  
وكان عمر لا يفتأ يذكر عماله بواجباتهم ، وما عليهم تجاه الله والامة  
والبلاد من المسؤولية الكبرى ، فطلب اليهم ان يجمعوا الخراج الطيب الحلال .  
فلما كتب ميمون بن مهران أحد الولاة الى عمر بن عبد العزيز ان يستعفيه  
من الخراج أجابه : ( يا ابن مهران ، اني لم اكلفك بغيراً في حكمك ولا في  
جبايتك ، فاجب ما جيت من الحلال ، ولا تجمع للمسلمين الا الحلال الطيب .  
سيرة عمر ص ٩٥ ) . ثم امرهم ان يلوا ارباب الخبرة واهل الفضل في المناصب .



وان يرفعوا السنن الخبيثة التي انهكت العامل والقلاج . وان لا يعجلوا  
 في احكام الاعدام والصلب قبل استئذانه ، وان لا يستوفوا الضرائب التي  
 لا يخولهم التآتون حق استيفائها ، وان يسهلوا على التجار والمسافرين مصالحهم  
 فيدينون لهم الخانات ويضيفونهم<sup>(١)</sup> . واليك وثائق تثبت لك كل هذه الحقائق  
 التي ذكرناها .

كتب عمر بن عبدالعزيز الى عبدالرحمن بن نعيم والي خراسان : ( اما بعد  
 فكن عبداً ناصحاً لله في عبادته ، ولا يأخذك في الله لومة لأم ، فان الله اولي  
 بك من الناس وحقه عليك اعظم فلا تولين شيئاً من امراء المسلمين الا المعروف  
 بالنصيحة لهم او التوفير عليهم واداء الامانة فيما استرعى واياك ان يكون ملك  
 ميلا الى غير الحق ، فان الله لا يخفي عليه خافية ، ولا تذهبن عن الله  
 مذهباً فانه لاملجأ من الله الا اليه . الطبري ٧ ص ١٣٤٧ )

وكتب الى زرعة الكلوي وكان قد ولاه خراج خراسان : ( ان للسلطان

( ١ ) : وكتب عمر الى سليمان بن ابي السري ان اعمل خانات في  
 بلادك فمن مر بك من المسلمين فأقروهم يوماً وليلة وتعهدوا دوابهم ، فمن كانت  
 به علة فأقروه يومين وليلتين ، فمن كان منقطعاً فاقروه . بما يصل به الى بلده .

الطبري ٧ ص ١٣٦٤

اركاناً لا يثبت الا بها فالوالي ركنٌ ، والقاضي ركنٌ ، وصاحب يدت المالكين ،  
والركن الرابع أنا ، وليس من نفور المسلمين نفراً أهم الي ولا أعظم عندي  
من نفراً خراسان ، فاستوعب الخراج واحرزه في غير ظلم فان يك كفافاً  
لأعظياتهم فسبيل ذلك والا فاكنتب الي حتى أحمل اليك الأموال فتبخر  
لهم اعطيهم ، الطبري ٧٢٧ ص ١٣٦٦ )

وكتبت رسالة الى أمير الكوفة عبد الحميد ، وهنأ نصها : ( من عبد الله  
عمر أمير المؤمنين الى عبد الحميد ، سلام عليك ، اما بعد ، فان أهل الكوفة  
قد أصابهم بلاءٌ وشدة وجور في احكام الله ، وسنة خبيثة تسها عليهم عمال  
الستور ، وان قوائم الدين القتل والانشان فلا يكون شي أهم اليك من تعسك  
فانه لا قليل من الاثم ، ولا تحمل خراباً على عامر ولا عامراً على خراب ، انظروا  
الخراب فخذ منه ما طاق واصلحه حتى يعمر ، ولا يؤخذ من العامر الا وظئفة  
الخراج في رفق وتسكين لأهل الارض ، ولا تأخذن في الخراج .... أجور  
الضرابين ولا هدية للبروز والمهرجان ، ولا تمن الصحف ولا اجور القنوج  
ولا أجور السيوت ولا درهم النكاح ، ولا خولج على من أسلم من أهل الارض  
فاتبع في ذلك أمري ، فاني وليتك من ذلك ما ولا في الله ، ولا تعجل دوني  
بقطع ولا صاحب حتى تراجعني فيه ... الطبري ٧٢٧ ص ١٣٦٦ - ١٣٦٧ )

وقال عمر في النصاص لولائه : ( ادزوا الحدود ما استطعتم في كل شبهة فان الوالي اذا اخطأ في العفو خير من ان يتعمد في العقوبة . سيرة عمر ص ١٠٣ )  
 ونصب نفسه للعدل فضرب على ايدي المعتصين بيد حديدية ، وحمل يضيق عليهم الخلق ، فبدأ يني أمية اتسهم وأخذ ما كان تحت سيطرتهم من الغنوب فردها على أهلها دون ابطأ ولا تأخير ، فحمدته الناس وشكروا له سعيه اذا ستر بيوتات كثيرة كان الظلم قد فضحتها ، وعائلات عديدة كان الفقر قد أخذ ينال من شرفها ، واطفال يتامى كان الجهل قد بدأ يهين ، لهم مستقبل مظلماً ، وتماهى في تحري المعتصين والظالمين والتفتيش عن سيئاتهم حتى خاف بعض خاصته عليه من الاغتيال والاعتداء . ( فقالوا يا أمير المؤمنين الاتخاف غوائل قومك فقال أيوم سوء يوم القيامة تخوفوني فكل خوف أتقيه قبل يوم القيامة لا وقته ، الاخبار الطوال ، ص ٣٣٤ ) . وخاطب مرة لفراد الاسرة المالكة يؤنبهم على تمتعهم بالاموال الحرام والاملاك المقتصبة بلهجة شديدة فقال :  
 ( يا بني مروان ، انكم قد أعطيتم حظاً وشرفاً وأموالاً . اني لأحسب سطر اموال هذه الامة أو ثلثيها في ايديكم ، سيرة عمر ص ١١٥ ) .  
 وأصدر عمر قانوناً خول به الموظفين البارعين الأوفياء حق الزيادة في رواتبهم ان قاموا بما يفرضه عليهم الواجب خير قيام . وكان ذلك لينظم دابر

الرشوة ويجعل له أمور مجالا للتقدم . فيعمل بنشاط وهمة ويسعى لاكتساب رضى رؤسائه بالاحسان الى ارباب المصالح وقضاء حاجتهم بسرعة ودقة . فانتقده أحد أخصائه على ما يتقاضاه عماله من المعاشات الباهظة بقوله : ( ترزق الرجل من عمالك مائة دينار في الشهر ومائتي دينار في الشهر وأكثر من ذلك ) فاجابه : ( أراه لهم يسيراً ان عملوا بكتاب الله وسنة نبيه . وأحب أن افرغ قلوبهم من الهمم بمعاشهم وأهلبيهم ، سيرة عمر عن ١٦٤ ) ولا ريب انه متى كان المأمور مزتاح البال من جهة العيال ، فلا يفكر بخيانة الحكومة بل يجرب ان يحافظ على مركزه جهد الطاقة

وأصلح القضاء بصورة خاصة فاشترط على القاضي ان يكون عالماً بما نصت عليه السنة ، حليماً ، ذا أمانة ، غنياً ، مشاوراً ، سيرة عمر عن ٢٣٨ ) ثم وجه عمر وجهه الى تقويم الاخلاق ومحاربة العادات القاسية المبنية على التعصب والزديلة فذهى شعبه عن تعاطي المسكرات وأبان لهم ما يصيبهم من الآفات والنكبات بواسطتها ، وما يتكبذونه من الآلام والعذاب بما تحمله اليهم من المضار والفضائح . فهي هتاكة للأجسام مضنكة للعتول مضينة للاوال . كتب عمر الى عدي بن أرطاة وأهل البصرة : ( اما بعد فانه قد كان في الناس من هذا الشراب امرٌ ساءت فيه رعيتهم ، وغشوا فيه أموراً



انهم كانوا عند ذهاب عقولهم وسفه أحلامهم بلغت بهم الدم الحرام والهرج الحرام والمال الحرام . وقد أصبح جل من يصيب من ذلك الشراب يقول شربنا شراباً لا بأس به . ولعمري ارسـ ما حمل على هذه الامور وضارع الحرام لبأس شديد . وقد جعل الله عنه مندوحة وسعة من أشربة كثيرة طيبة ليس في الاتس منها جأحة : الماء العذب القرات واللبن والعسل والسويق .. وقد بلغنا ان رسول الله (ص) نهى عن نبيذ الجر والدياء والظروف المزفتة . وكان يقال كل مسكر حرام فاستغنوا بما أحل الله عن ما حرم . فأنأ من وجدناه يشرب شيئاً من هذه بعدما تندمنا اليه اوجعناه عقوبة شديدة ، ومن استخفى فالله اشد عقوبة واشد تنكيلاً . وقد اردت بكتابي هذا اتخاذ الحجة عليكم اليوم وفيما بعد اليوم ، أسأل الله ان يزيد المهتدي منا ومنكم هدى ، وان يراجع بالمسي منا ومنكم التوبة في بسر وعافية والسلام . سيرة عمر ص ١٠١ — ١٠٢ )

ومنع الناس من شتم علي بن ابي طالب . وكان بنو أمية يسبونهُ علناً على المنابر منذ عهد معاوية الأول . ويرجع ذلك للخلاف الذي قام بين الامويين والعلويين . وجعل مكان السب في خطبة الجمعة : ( ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون . فمدحه الشعراء على ذلك . قال كثير عزة

ووليت فلم تشتم علياً ولم تخف  
 وقلت فصدقت الذي قلت بالذي  
 وقد لبست لئيس الهلوك ثيابها  
 وتومض أحياناً بعين مريضة  
 فأعرضت عنها شمشيراً كأنما  
 وقد كنت منها في جبال أرومها  
 وقال الشريف الرضي يرثيه ويذكره منعه شتم علي :

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتي من أمية لبكيتك  
 أنت اقتدتا من السب والشتم فلو أمكن الجزاء جزيتك  
 غير اني اقول انك قد طببت وان لم يطب ولم يركب بيتك  
 دبر سمعان لا عدتكَ القوادى خير عيت من آل مروان مبيتك  
 « الفخري ص ١١٦ - ١١٩ »

وكان عمر يرفق بالحيوان ولا يأذن البتة في التثميل عليه بالاحمال، وناشد  
 مأموزيه وخواصه وشعبه ان يهتموا بالعجاوات وان يرحموا ما استطاعوا الى  
 ذلك سبيلاً، ولم يفيض النظر عن أولئك القساة الذين يسرفون في ضربها  
 وتعذيبها، قال ابن الجوزي : « كل لعين بن العزيز غلام على بغل له يأتيه بدرهم

كل يوم ، فجاه بدرهم ونصف . فقال ما بدا لك . قال تقمت السوق ، قال  
لا ، ولكنك أتعبت البغل . أجه ثلاثة أيام . « سيرة عمر ص ٧٩ »

أما وقد عددنا لك ما قام به عمر من الإصلاحات الجمّة فلنذكر العوامل التي  
التي دفعته للعمل الصالح واتباع سنن الخير والعدل والاحسان . أما العامل  
الأول فهو تفرّبه للعلماء والفقهاء أصحاب الورع والتقوى وأهل النصح والغيرة  
على العرب والإسلام أمثال محمد بن كعب القرظي وميمون بن مهران والحسين  
البصري . وكان دائماً يكتب رجال الفضل ويستشيرهم ويطلب معرفة آرائهم  
في المسائل الحقوقية والتشريعية والسياسية . المرسل عمود إلى محمد بن كعب  
القرظي يسأله أن يصف له العدل فأجابه : « . . . . . » . كان الصغبر والمسلمين أياً  
ولسكبرهم أبناء ، وللمثل منهم أخاً ، وواقب الناس بقدر ذنوبهم ، على قدر  
اجسامهم ، ولا تضرن لفضلك سوطاً واحداً فتعدي فتكون عند الله عن  
وجل من العادين . سيرة عمر ص ١١ »

وقال القرظي ينصح عمر أيضاً : ( لا تصعب من الأصحاب من خطرلك  
عنده على قدر قضاء حاجته ، فإذا انقطعت حاجته انقطعت أسباب مودته .  
اصحب من الاصحاب ذا العلي في الخير والالانة في الحق يعينك على تسك  
ويكفيك مؤنته ، سيره عمر ص ١١ ) .

وقال عمر لميمون بن مهران كيف لي باعوان على هذا الامر أثق بهم  
 وأمنهم . قال : ( يا أمير المؤمنين لا تشغل قلبك بهذا ، فانك سوق وانما يحمله  
 الى كل سوق ما ينفق فيها ، فاذا عرف ان النافق عندك الصحيح لم يأتوك الا  
 بالصحيح ، سيرة عمر ص ٧١ )

ووعظ الحسن البصري عمر فقال له : ( اما بعد اعلم يا أمير المؤمنين ان  
 الدنيا دار ظعن وليست بدار اقامة ... ولها في كل حين صرعة .. هي تهين  
 من اكرمها وتذل من اعزها ... ولها في كل حين قتلى فهي كالسم يأكله  
 من لا يعرفه وفيه حتفه ... فكن يا أمير المؤمنين كالساوي جرحه بصير على  
 شدة الدواء مخافة طول البلاء ، يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا . فان اهل  
 الفضائل كان منقطعهم فيها بالصواب ومشيهم بالتواضع ، ومطعمهم الطيب من  
 الرزق ، مغمضين أبصارهم عن المحارم ، وخوفهم في البر كخوفهم في البحر ،  
 دعاؤهم في السراء كدعائهم في الضراء ) ... واعلم يا أمير المؤمنين ان التفكير  
 يدعو الى الخير والعمل به ، وان الندم على الشر يدعو الى تركه . وليس  
 ما يغني وان كان كثيراً باهل أن يؤثر على ما يبقى وان كان طلبه عزيزاً ، واحتمال  
 المؤونة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب  
 مؤونة بقية وندامة طويلاً ... وانظر يا أمير المؤمنين الدنيا نظراً للزاهد المتفارق



ولا تنظر نظر المبتي العاشق . . . سيرة عمر ص ١٢١ - ١٢٣ » .  
 وقال له ايضاً : « يا امير المؤمنين ان استمتم استقاموا وان ملت مالوا ،  
 يا امير المؤمنين لو انك عمر نوح وسلطان سليمان ويقين ابراهيم وحكمة لقمان  
 ما كان لك بدئ من ان تقتحم العقبة ، ومن وراء العقبة الجنة والنار ، ومن  
 اخطأته هذه دخل هذه . سيرة عمر ص ١٢٥ » .

واما العامل الثاني فيرجع الى فلسفة عمر في الحياة ، تلك الفلسفة التي  
 تقول بالزهد وتخاف حساب الله واليوم الآخر مخافة عظي . . . وتسعى  
 لاجتناب الشر واتباع الخير والاهتمام بالمصالح العامة قبل الاهتمام بالمصالح الخاصة .  
 وكانت فلسفة عمر توجي اليه بالقناعة والتضحية والتعبد والنسك واحتقار الدنيا  
 والنظر اليها بنظر الراحل عنها . فهو يخاف الساعة الاخيرة ويهرب عذاب الله وكل  
 شي لديه في سبيل مرضاة الله سهل حلوا للمذاق . وهاك بعض فقرات من خطبه ترينا  
 مذهبه في الحياة : (ايها الناس ، انكم لم تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى ، وان لكم  
 معاداً ، ينزل الله فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ، وقد خاب وخسر من  
 خرج من رحمة الله التي وسعت كل شي ، وحرم الجنة التي عرضها السموات  
 والارض . الا واعلموا انما الامان غداً لمن حذر الله وخافه وباع نافداً بياق ،  
 وقليلاً بكثير ، وخوفاً بامان . وسيخلقها بعدكم الباقون ، كذلك حتى ترد الى

خير الوارثين، وفي كل يوم تشيعون غادياً ورأحاً الى الله قد قضى نجه، وانتضى  
 أجله ، فتغيونه في صدع من الارض . ثم تدعونه غير موسد ولا ممد ، قد  
 فارق الاحبة ، وخلع الاسباب فسكن التراب ، وواجه الحساب ، فهو مرتين  
 بعمله . فقير الى ما قدم ، غني عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت، واتقضاء  
 مراقبته، وإيم الله اني لا قول لسكم هذه المقالة وما أعلم عند احد منكم من الذنوب  
 اكثر مما عندي فاستغفر الله وآتوب اليه ، وما منكم من احد تبلغنا عنه حاجة  
 الا احببت ان اسد من حاجته ما قدرت عليه، وما منكم من احد يسمعه ما عندنا  
 الا وددت انه سارني ولحمتي حتى يكون عيشنا وعيشه سواء . وإيم الله ان لو  
 اردت غير هذا من الغضارة والعيش لسكان اللسان متي به ذلولا علماً بأسبابه،  
 ولكنه مضى من الله كتابٌ ناطقٌ وسنةٌ عادلةٌ يدلُّ فيها على طاعته وينهى  
 عن معصيته ، الطبري ٢٧ ص ١٣٦٨ - ١٣٦٩ )

ومن خطبه : ( من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ونظر له في صلاح  
 ديناه فقد أحسن صلته وأدى واجب حقه ، فاتقوا الله فانها نصيحة لسكم في  
 دينكم فاقبلوها ، وموعظةٌ منجيةٌ في العواقب فالزموها ، الرزق مقسوم فلن  
 يغدر المؤمن ، ما قسم له ، فأجلوا في الطلب فان في التنوع سعة وبلغة وكفاً ،  
 ان أجل الدنيا في اعناقكم وجهم امانكم وما ترون ذاهب ، وما مضى فكان

لم يكن ، وكل الاموات عن قريب ، وقد رأيت حالات الميت وهو يسوق  
وبعد فراغه . وقد ذاق الموت والقوم حوله يقولون قد فرغ رحمة الله ، وعانيتم  
تعميل اخراجه . وقسمة ترائه ووجهه مفقود ، وذكره منسي ، وبابه مهجور ،  
كان لم يخاط اخوان الحفاظ ولم يعمر الديار ، فاتقوا هول يوم لا تحتر فيه مثقال  
ذرة في الموازين ، الطبري ٧٩٢ ص ( ١٠٧٠ )

وله ايضا : ( من عمل على غير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح ، ومن  
لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه والرضا قليل ، ومعول المؤمن الصبر ، وما  
أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فأعاضه مما انتزع منه الصبر الاكلن  
ما اعاضه خيراً مما انتزع منه . انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ،  
الطبري ٧٩٢ ص ( ١٣٧١ )

وغلبت على عمر خصال طيبة فكان صنوحاً حليماً كريماً حتى ليقال انه  
عرض له رجل بيده طومار ( فظن القوم انه يريد امير المؤمنين فخاف ان  
يجس دونه . فرماه — الرجل — بالطومار والتفت امير المؤمنين فأصابه في  
وجهه ، فشجه فنظرت الى الدماء تسيل على وجهه وهو في الشمس ، فقرأ الكتاب  
وامر له بجأجه وخلي سبيله . سيرة عمر ص ( ١٧٧ )

والطالما أكرم ضيوفه وجلساءه وعاملهم معاملة الأخ للأخ والصديق

للصديق . روى ابن الجوزي انه ( سمى ضيف عند عمر فاعتل السراج فذهب  
الضيف ليصلحه فامره عمر بالجلوس ثم قام فاصلحه ثم ناد فجلس فقال — قت  
وانا عمر بن عبد العزيز وجلست وانا عمر بن عبد العزيز ولؤم بالرجل ان  
يستخدم ضيفه — سيرة عمر ص ١٧٣ )

ولما رأى الناس كرم خلقه وشدة غيرته على مصالحيهم ، واهتمامه بتثبيت  
دعائم العدل في مختلف الاقطار راحوا يطمثنون للحكم الاموي فدخل الاعاجم  
زرافات ووحداً في الاسلام حتى قل خراج الدولة . ورمى الثوار والخواارج  
والعصاة في البلاد سلاحهم وقالوا لا يجوز قتال الامام العادل .

توفى عمر بدير سمعان من أعمال حمص مسموماً كما اجتمع المؤرخون سنة  
١٠١ هـ ( ٧١٩ م ) . ويقال ان بني امية هم الذين دبروا له هذه المسكيدة لانه  
ضيق عليهم ووضع يده على ما اغتصبوه من الاموال والاملاك . فحزنت الامة  
عليه ورثاه شعراؤها وادباؤها كالفردق وغيره . قال الفرزدق :

كم من شريعة حق قد شرعت لهم كانت أميتت واخرى منك تنتظر  
يا لطف تقسي ولطف اللاهفين معي على المدول التي تفتالها الحفر  
لم يبك عمر المسلمون فحسب ، بل بكاه المسيحيون من رعيتة واعدائه . قال  
احد الانباط : ( ابكي على نور كان في الارض فظفي ) ، وقال احد كبار



البيزنطيين : ( اني است اعجب من الراهب ان اغلق بابه ورفض الدنيا  
وترهب وتعبد ولكن اعجب ممن كانت الدنيا تحت قدميه فرفضها وترهب .  
سيرة عمر ص ٢٨٩ )

نهج بعض الخلفاء من امويين وعباسيين منهج عمر لانه اصبح المثل  
الاعلى في العدل عندهم . وقد اشتهر من بني امية بعده هشام بن عبد الملك ،  
فراقب امور الدولة مراقبة شديدة ، ووضع العيون والارصاد في سائر الاوصار  
فاحصى اعمال ولاته وحفظ اقوالهم واخبارهم . قل ابن قتيبة مبالغاً : ( فلا خبر  
يكون ولا قصة تحدث في مشرق الارض ولا غربها الا وهو يتحدث به في الشام  
وينظر فيه هشام وقد أقصر نفسه على هذه الحال ، وحببت اليه هذه الافعال  
فكانت ايامه عند الناس احمد ايام ٠ ج ٢ ص ٢٠٤ - ٢٠٦ )

وكان هشام رجلاً عقلاً مفكراً لا يبيت في امر قبل فحصه واختباره ومعرفة  
ما يرمي اليه من النتائج . وقد وصف عقاب بن شبه هشاماً بقوله : ( دخلت  
على هشام فدخلت على رجل محشو عقلاً ، الطبري ٧ ص ١٧٣١ ) .  
وقال الطبري : ( لم يكن احد من بني مروان اشد حصرأ في امر اصحابه ودواوينه  
ولا اشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام ، ٧ ص ١٧١٣ ) . ويمتاز  
بدقة نظره وحبه المفرط لجمع الاموال والاحتفاظ بها حتى انه نعت بالبخل .

تلك هي اصلاحات بني امية وكلها ترمي الى العدل واعلاء كلمة الحق

كما رأينا . ا . هـ

# الفصل السابع

## العمران الأموي

اسباب العمران ، جغرافية سورية ، جغرافية الدولة الأموية ، دمشق ،  
العاجية ، جامع بني أمية ، اسباب تشييد مسجد بني أمية ، قصر الخضر ،  
الهارب دمشق ، رصافة الشام ، الرملة ، واسط العراق ، جامع بيت  
المقدس ، المسجد الحرام ، مسجد المدينة ، الاصوريون والتماثيل .

أخذت عبد الملك بن مروان نيران الحروب الأهلية قضى الشطر الأكبر من حياته وهو يطارد الرزء، ويلاحق أرباب العصيان، فهذه بذلك السبل للتوغل والفتوح في الساحات المختلفة، والاهتمام في البناء والعمران، فأُسست المدن الوسيعة وشيدت المساجد في الشام والحجاز والعراق، وزينت العاصمة دمشق بأنواع الزينة فحُفرت فيها الترع، والأقنية لري المزراع والبساتين. وكان الوليد خلقه شديد الكفاف بالعمارات والابنية واتخاذ المصانع والضياع. فزاد ذلك في رغبة الشعوب الإسلامية علي اقتفاء أثره واتباع خطاه. ولا ريب ان الاموال السكثيرة التي تدفقت علي خزائنة الدولة من مختلف الامصار هيأت اسباب العمران. وكان السلام منتشرأ فعمت الرفاهية وسادت الطمأنينة فالتفت الناس الي مجارة ولائهم وحكامهم في استحداث الابنية التاريخية التي لانزال أترا شاهدأ علي علو كعب الامويين في فن العمارة .

قسم العرب القاطنون سورية الي خمسة اجناد وهي ( ٤ ) جند فلسطين ( ٢ ) وجند الاردن ( ٣ ) وجند حمص ( ٤ ) وجند قنسرين ( ٥ ) وجند دمشق . اما جند فلسطين فاشهر مدنه بيت المقدس وعزه وعسقلان . واما جند الاردن فكانت مدينته طبرية . وعرف به الغور والبرموك وبيسان . واما جند حمص فكانت عاصمته حمص . واما جند قنسرين فكانت عاصمته

مدينة قنسرين في ابتداء الاسلام ثم قامت حلب مقامها في عصر الدولة الحمدانية وذلك حينما غلبت الروم - البيزنطيون - عليها سنة ٣٥١ هـ و(٩٦٢م) وتفرق اهلها في البلاد فطائفة عبرت الفرات وطائفة نقلها سيف الدولة بن حمدان الى حلب ( ياقوت معجم البلدان ج ٤ - ص ١٨٦ ) . واما جنود دمشق فكانت يشتمل على الغوطة وقراها وبساتينها .

ولما امتدت الفتوح اطلق العرب على البصرة والكوفة اسم المصريين او العراقيين . وجعلوا مصر مقاطعة بذاتها . وقد ذكر الجغرافيون ان اشهر مدنها كانت القسطنطينية وعين الشمس والقرما والعريش وبوصير والاسكندرية وابلية . وكانت الولايات العجمية كالاهاواز وآستر وجور واصطخر وحلوان وتلقب بفارس . واما خراسان فكانت تشمل الري ومرو وهراة وبلخ وخوارزم وجرجان وكابل وسمرقند وفرغانة ودينور وطبرستان واصبهان وغيرها . وقد غير العباسيون هذه التعاليم الجغرافية . ونظموها تنظيماً اقرب الى الكمال والدقة . ( العقد الفريد ج ٤ ص ٢٦٦ - ٢٦٨ والقلمشندي ج ٣ - ٢٧٨ )

ذكرنا لك هذه الاقسام الجغرافية لتتعرف الى المملكة الاموية . وكل قصداً من ايرادها ان نظهر ان الدولة الاموية اهتمت اهتماماً كلياً في عمارة سوريا و بذلت الاموال الطائلة في تشييد مدنها وتزيين اسواقها ومراقبتها



بالنسبة الى غيرها من المقاطعات الاسلامية . وكانت الخزينة كريمة في صرف اموال الجباية والخراج المجاوبة من الولايات الفارسية والتركستانية والمصرية وغيرها في سبيل انشاء المدن السورية وتنظيم العاصمة دمشق .

أجمع المؤرخون والجغرافيون العرب على ان دمشق هي بلد قدهبها الطبيعة جمالا فائقا فتراها كثيرة الانهار وافرة الجنان . قال ياقوت « قل ان تمر بمحاطب الا والماء يخرج منه في انبوب الى حوض يشرب منه ويستقي الوارد والصادر، وما رأيت بها مسجداً ولا مدرسة ولا خانقاها الا والماء يجري في بركة في صحن هذا المسكان ويسبح في منضته » ( معجم البلدان ج ٢ ص ٥٩٠-٥٨٧ ) .

وهي نضيرة البقاع تحيط بها من جميع جهاتها الجبال واشهرها جبل قاسيون . وتمتاز بكثرة الفواكه حتى انها تحمل الى مصر وحران . ويصف المقدسي دمشق فيذكر شيئاً عن احوال اجتماعها فيقول : « دمشق هي مصر الشام ودار الملك ايام بني امية وهم قصورهم وآثارهم ، بنياهم خشب وطين . اكثر اسواقها مغطاة . ولهم سوق على طول البلاد مكشوف حسن . . وهو بلد قد خرقتة الانهار واحدقت به الاشجار وكثرت به الثمار مع رخص اسعار ، لا ترى أحسن من حماماتها ولا أعجب من فواراتها ولا احزم من اهلها . . . وهي طيبة جداً غير ان في هوائها ييوسة . . . ولحومها عاسية ومنازلها ضيقة ، اوازقتها غامة .

واخيازها رديّة ، والمعاشير بها ضيقة ، ص ١٥٦ — ١٥٧ .

ويصنفها القلقشندي ثم يذكر الصالحية فيقول : « وهي مدينة عظيمة البناء ، ذات سور شاهق ولها سبعة أبواب باب كيسان ، باب شرقي ، باب توما ، باب الصغير ، باب الهامية ، باب القراديس ، الباب للسور وهي . . . حسنة الترتيب ، جميلة الابنة ، غوطتها أجد . مستنزهات الدنيا العجيبة المفضلة على سائر مستنزهات الدنيا . . . بها الجوامع والمدارس والزوايا والأسواق المرتبة والديار الجميلة المذهبة السقف المنقوشة بالرخام المنوع ، ذات البرك والماء الجاري ، وربما جرى الماء في الدار الواحدة في أماكن منها . والماء يحكم عليها من جميع نواحيها وضال بنائها بالحجر ، وعناية أهلها بالبناني كثيرة ، ولهم في سائتينهم منها ما يهوق به وتحسن بأوضاعه . ويستعمل في عماراتها خشب الجوز واجل حاضرتها ما هو في جانبها الغربي والشمالي .

فأما جانبها الغربي فبها قلعتها ، تحيط بها . بالمدينة جميعها أسوار عالية ويحيط بها خندق يطوف الماء منه بالقلعة ، إذا دعيت الحاجة إليه انطلق على جميع الخندق المحيط بالمدينة فيجمعها .

وبازاء المدينة في سفح جبل قلميون مدينة الصالحية . وهي مدينة متممة في سفح الجبل بازاء المدينة في طول مرمى يشرف على دمشق وخطها ذات

بيوت ومدارس واسواق وبيوت خلية. ولكل من دمشق والضاحية البساتين  
الايقة يتصلخل جدارها، وتعني ذرحاها وتمايل اغصانها، وتفرد اطيالها. ورفق  
بساتين النزعة بها العراز الضخمة والجوانق العلية والبزك العميقة، والتعجيرات  
المتعددة، تتقابل بها الاوازن والمجالس، تحف بها الفراس، والنصوب المطرزة  
بالسور، المنصف والحوز المشقوق القدر، والياطين المتأرجحة الطيب، والعمارة الجنية  
والنوافذ الثمينة. . . ج ٣ ص ٤٤ - ٤٠٩٥

فترى ان ياقوت والمقدسي والتلفشندي اجتمعوا على الاعتراف بحال دمشق  
ولطف بساتينها وكثرة مدارسها وابتها في مختلف المصور التي عاشوا بها.  
وهي بلاجمال بلد عجي اعجب الملقاه الامويين والعباسيين حتى قال ابن خلدون:  
«لم تنزل ملوك بني العباس تحف الى دمشق طلبا للصحة، وحسن المنظر، منهم  
الأمون فاقه اقام بها، وبقي القبة التي في أعلى جبل مران، وصيرها وقداً، وقد في الغلاء.  
النار. ويقال ان الأمون نظرو يوماً من بناء كان فيه الى اشجار القوطية وبنائها  
خلف بالله انها خير مفعنى على وجه الارض ج ١١ ص ٢٥١»

ولواتيح لنا زيارة دمشق في اواخر عهد الوليد لأستجلب انظارنا  
مسجدها الجامع المعروف اليوم بجامع بني أمية، فترى به القواعد الكبيرة  
والاساطين اعظيمة، والاعمدة الخيالية، والحازب المزينة، والقبة البديعة، والاروقة

المرصعة والتسيفساء الملونة والنقوش المتنوعة والفصوص المذهبة والمرمر المصقول. وقد جمع الوليد لدى عمارته أشهر البناة والمهندسين من الهند وفارس والمغرب وبيزنطية، ويقال انه اتفق عليه خراج الشام سبع سنين .

اما الاسباب التي دفعت الامويين لتشييد المسجد الجامع فهي اولاجارة المسيحيين ومضاهاهم في بناء معابدهم كما يؤثر الخلفاء على العامة، ولثلاثا يقال ان ربيع النصارى أحسن فناً وادق بناءً واجل زخرفة من مساجد المسلمين . نستشهد على هذا بما رواه المقدسي حينما سأل عمه معترضاً على كثرة الاموال التي اتفقت على هذا الجامع قال : « وقلت يوماً لعمي يا عم لم يحسن الوليد حيث اتفق اموال المسلمين على جامع دمشق ولو أصرف ذلك في عمارة الطرق والمصانع ورّم الحصون لكان أصوب وافضل . قال لا تفعل يا بني ان الوليد وفق وكشف له عن امر جليل وذلك انه رأى الشام بلد النصارى ورأى لهم فيها بيعة حسنة فذاتن زخارفها وانتشر ذكرها كالقمامة وبيعته له والزهاف اتخذ للمسلمين مسجداً شغلهم به عنهن وجعله أحد عجائب الدنيا . الا ترى ان عبد الملك لما رأى عظمة القمامة وهيئتها خشي ان تعظم في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبة على منارتي، المقدسي ص ١٥٩ » ثانياً : منافسة الاجانب البيزنطيين في بنائهم ايضاً وحباً بالظهور امام الاعيار بمظهر القوة والغنى . وكان عمر بن عبد



العزیز الخليفة العادل بود لو ينزع الحلى التي زين بها الوليد المسجد الجامع لتصرف على قضاء حاجات المسلمين وتنفق في مصالحهم فغير رأيه وقال: «لا ارى مسجد دمشق الا غيظاً على الكفار فنزل عما كان هم به من نزع حليه ، ابن عساكر ج ١ ص ٢١٠ ، ياقوت ج ٢ ص ٥٩٥ » ثالثاً : ضيق فناء المسجد الذي اتخذه معاوية للمصلين وكان موضع هذا المسجد كنيسة يصلي المسلمون في ناحية منها والنصارى في ناحية . فلم يزالوا كذلك حتى كثر عدد المسلمين في دمشق وتوافدت الناس اليها من كل صوب في ايام الوليد ، فطلب الى المسيحيين ان يعطوه النصف المختص بهم لقاء اضعاف ثمنه وتعهد لهم ببناء كنيسة في دمشق حيث شاؤوا ، فأبوا عليه فهدمه مدعيًا ان المسلمين القاطنين أخذوه عنوة و اضافه للمسجد . وكان اول من هدم فيه حجراً . قال ابن عساكر يصف هدم هذا النصف من الكنيسة : ( لما عزم الوليد على الهدم قال له النصارى لا يهدمها احد الا جن ٠٠٠ فخرج الوليد ومعه وجوه اهل البلد حتى ملأوا الكنيسة فأتى بنأس وقال ان هؤلاء يزعمون ان اول من يهدمها يجن وانا اول من يجن في الله تعالى ، وتناوله كل من حضر ، ج ١ ص ٢٠١ ) .

ومما هو جدير بالذكر ان الجند الاسلامي المحارب اشترك في نقل الادوات اللازمة للبناء واستجلبها من مختلف الاصقاع . اخبرنا ذلك احد الفرقة الشاميين

فقال: «كُنْنا نقتصر اهل الشام وانواننا عن اهل مصر والحواشي عن اهل العراق فنزوا فيقرهن على الرجل منا ان يحمل من ارض الروم قتيلاً من القسيساء وفراعاً في ذراع من رخام فيحمله اهل العراق واهل حلب الى حلب. ويستأجر من بحملة الى دمشق، ويحمله اهل حمص الى حمص، ويستأجروا من يحمله الى دمشق. ويحمل اهل دمشق ومن ورأهم حمصهم الى دمشق». ابن سناكرج ١٢ ص (٢٢٠) -

أسهب المؤرخون والادباء في وصف المسجد الاموي وذكر اروقته ومخاربه وتقوسه واعمدته واني مقتطف لك فقرات بعيدة عن البالغة وهي لأشهر الثقات الذين كتبوا في هذا الموضوع .

قال المقدسي: (الجامع احسن شيء للمسلمين اليوم، ولا يعلم لهم حال مجتمع اكثر منه، قد رفعت قواعده بالحجارة الموجهة كباراً مؤلفه، وجعل عليها شرف بهية، وجعلت اساطينها اعمدة سوداً ملساً على ثلاثة اصنوف، وانصفتها جنا، ورفق الوسط ازاء المحراب قبة كبيرة، وادير على الصحن باروقه متعاليته، ثم بلط جميعه بالرخام الابيض، وحيطانه الى قائمتين بالرخام المبرج، ثم الى السقف بالقسيسفاء الملوثة، في المذهبة صور اشجار واتصار وكتابات على غاية الحسن والدقة، واطافة الضمعة، وقل شجرة او بلد مذكور الا وقد مثل على تلك

الحيطان ، وطلبت رؤوس الاعمدة بالذهب ، وقناطر الاربوقة كلها مرصعة  
 بالفسيفساء ، واعمدة الصحن كلها رخام أبيض وحيطانه بما يدور والقناطر  
 وفراخها بالفسيفساء نقوش وطروح ، والسطوح كلها ملبسة بشقائق الرصاص ،  
 والمشرفيات من الوجهين بالفسيفساء ، وعلى اليمين في الصحن بيت عال على  
 ثمانية عمد مرصع حيطانه بالفسيفساء ، وفي الجراب وحوله فصوص عتيقة  
 وفير وزجية كأكبر ما يكون من الفصوص . وعلى اليسرة محراب آخر دون  
 هذا للسليطان وقد كان تشعث وسطه فسمعت انه اتفق عليه خمائة دينار  
 حتى عاد الى ما كان ، وعلى رأس القبة ترنجة فوقها زمانة كلاهما ذهب . ومن  
 اعجب شئ مفيد تأليف الرخام المجزع كل شلعة الى اختها . ولو ان رجلا  
 من اهل الحكمة اختلف اليه سنة لا يستفاد منه بكل يوم صنعة ومعدنة اخرى  
 ٠٠٠٠٠٠ . ويدخل اليه العلماء من اربعة ابواب باب البريد عن اليمين ، كبير  
 له فرخان عن يمين وشمال على كل واحد من الباب الاعظم والقرخين  
 مصرانان مصفحة بالفضة المذهب وعلى الباب والقرخين ثلاثة اربعة كل باب  
 منهما يفتح الى رواق طويل قد عقدت قناطر على اعمدة رخام ٠٠٠ وجميع  
 السقف بمزينة احسن تزويج وفي هذه الاربوقة موضع الوراقين وبجانب خليفة  
 القاضي ٠٠٠ ويقابله عن اليسار باب جيرون وباب الساعات وباب القرايس

وطن كل من هذه الابواب ميضأة مرخمة ببيوت ينبع فيها الماء وفوارات خارجة  
 في قصاع عظيمة من رخام، ومن الخضراء، وهي دار السلطان ابواب الى المقصورة  
 مصفحة مطلية ..... واتفق عليه ثمانية عشر حمل بغل ذهب، ص ١٥٩ «  
 وقال ابن عساكر: « قال ابو يوسف يعقوب بن سفيان: قرأت في قبلة  
 مسجد دمشق صفائح مذهبة بلازورد بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا هو  
 الحي القيوم الى آخر الاية، لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا نعبد الاياه،  
 ربنا الله وحده. وديننا الاسلام، وتبيننا محمد صلى الله عليه وسلم. امر ببناء  
 هذا المسجد وهذه الكنيسة التي كانت فيه عبد الله الوليد امير المؤمنين في  
 (ذي القعدة من سنة ست وثمانين). وهذه الكتابة في ثلاث صفائح منها  
 وفي الرابعة سورة الفاتحة الى آخرها ثم النازعات ثم عيسى ثم التكوير السكل  
 بتمامها وقدمت بعد ذلك فرأيت هنا قد محي وكان ذلك قبل المأمون ....  
 وكانت القناديل اذا اطفئت في مسجد دمشق يسد الواحد منااته لما يفوح  
 من رائحة المسك ..... وكان في مسجد دمشق اثنا عشر الف مرخم ويقال  
 ان للرمز كان كثيراً، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢١١ «  
 وروى ياقوت في معجم البلدان عن احد الاديباء « هو جامع المحاسن...  
 معدود من احدى العجائب. قد زُوّر بعض فرشه بالرخام وألف على احسن



تركيب ٠٠٠ صنعته مؤتلفة ، بساطه يكاد يتطر ذهباً ويشعل لهباً . وهو منزه عن صور الحيوان الى صنوف النبات وفنون الاغصان لسكنها لاتبجى الا بالابصار ولا يدخل عليها الفساد كما يدخل على الاشجار والثمار بل باقية على طول الزمان » وقال ايضاً : « لو عاش الانسان مائة سنة وكان يتأمله كل يوم لرأى فيه كل يوم مالم يره في سائر الايام من حسن صنائعه واختلافها » وقال موسى بن حماد البربري : « رأيت في مسجد دمشق كتابة بالذهب في الزجاج محفوراً سورة الهاكم التكاثر الى آخرها » وحكى الجاحظ في كتاب البلدان « مسجد دمشق مبني على الاعمدة الرخام طبقتين ، الطبقة التحتانية اعمدة كبار والتي فوقها صغار . في خلال ذلك صورة كل مدينة وشجرة في الدنيا بالفسيفساء الذهب والاخضر والاصفر . وفي قب القبلية المعروفة ( بية النسر ) ليس في دمشق شي أعلى ولا ابهى منظراً منها ولها ثلاث منابر أشهرها المنارة البيضاء . ولم يزل جامع دمشق على تلك الصورة يبهر بالحسن والتنميق الى ان وقع فيه حريق في سنة ٤٦١ هـ فذهب بعض بهجته ، ج ٢ ص ٥٩٣ ، معجم البلدان ص ٥٩١ - ٥٩٢ - ٩٣ .

وذكر القلقشندي مساحته فقال : « وذرعه في الطول من المشرق الى المغرب مائتا خطوة وهي ثلاثمائة ذراع وعرضه من القبلة الى الشمال مائة خطوة »

وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع، ص ٩٦ - ٧ ج ٣»

وقد بستقلت نظارك أيضاً لدى زيارتك دمشق قصر معلوية الاول ويعرف  
بالخضراء، فزاد عبد الملك عليه وحسنه واشتراه حسبما روى ابن عساكر بأربعمائة  
الف دينار (ج ٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٣)

وإذا توغلنا في أنحاء العاصمة وذرنا بساكنيها رأينا ان مسقاها من بردى  
وهو يقسم على سبعة أنهر: أربعة غربية وهي نهر داريا ونهر المزة ونهر الفنوات  
ونهر بانباس واثنان شرقية وهما نهر يزيد ونهر تورا، ونهر بردى ممتد بينهما  
(القلقشندي ج ٣ ص ٩٥) . وكان نهر يزيد صغيراً لا يسقي الا قريتين من  
قري الغوطة فلما ولي أمر بحفره وعرضه فقام الفلاحون يعارضونه فلطف بهم،  
اخبرنا ذلك ابن عساكر فقال: «وولي يزيد فنظر الى ارض واسعة ليس لها  
ماء وكان مهندساً فنظر الى النهر - نهر يزيد - فاذا هو صغير فأمر بحفره  
فمنعه من ذلك اهل الغوطة ودافعوه فلطف بهم على ان ضمن لهم خراج سنينهم  
من حاله فاجابوه الى ذلك فاحفر نهرأ سعة عرضه ستة اشبار في عمق ستة  
اشبار على ان له ملاً جنبتيه . ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٥»

وكان يزيد الاول مهندساً فأصلح مجاري الانهار لينتفع بها الاهلون .  
وشاد السكان المباني على جانبي نهر تورا حتى دعاه القلقشندي بنيل دمشق .

وتجد الناس منتزهاتها بالقرب منه وهو شبه شيء بالزمردة الخضراء لألتفاف  
 الأشجار عليه . والحقيقة ان هذه الانهار ينتفع بها الدمشقيون واهل الغوطة  
 فيتوزع منها الماء الى البساتين والمزارع من المواصي ويدخل من بعدها الى البلد  
 في القنى، ثم يتفرق الى البرك والحمامات ويجري في الشوارع والسقايات . ابن  
 عساكر ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٧ )

نزع الخلفاء الامويون الى الترف والرفاهية والتمتع بملاذ الحياة الهادئة ففساد  
 هشام بن عبد الملك رصافة الشام . وهي في غربي الرقة وتبعد عنها نحواً من  
 اربعة فراسخ وكان ينزلها في الصيف فيضرب بها السراقات . واذا حل  
 الطاعون في دمشق وفشا بها هرب منها وجعل الرصافة مكان اقامته . ويذكر  
 المؤرخون انها من عمل العباسية فأتى هشام وعمر سورها وبنى بها قصوره . والغريب  
 انه ليس عندهم نهر ولا عين جارية انما يستقي اهلها من الصهاريج . واذا  
 فرغت هذه الصهاريج في مواسم الصيف الشديدة القبط يرسل اغنياؤهم في  
 طلب الماء من القرآت . قال ياقوت : ( يمضي احدثهم الى القرآت العصر فيجي  
 بالماء في غداة غد معجم البلدان ج ٢ ص ٧٨٠ - ٧٨٦ ) . ويدين سكان  
 الرصافة بالنصرانية . اما معاشهم فتخفيف القوافل وجلب المتاع وغزل الصوف  
 ونسجه . ( الطبري ٣٧٧ ص ١٧٣٨ ) .

قلنا ان هشاماً كان يرتاد الرصافة لترويح الخاطر من عناء الاشغال وانتجاعاً للصحة وهرباً من الطاعون في بعض الاحيان . فقدمت عليه الوفود من الجهات لقضاء حاجاتها واتت اليه اهل المظالم تطلب العدل والانصاف من ارباب الجور والعسف فاسس مجلساً للقضاء ، ادنى اليه الضعفاء والنساء واليتامى واقصى عنه المتنفذين والاقوياء . وقد طار صيت الرصافة فوصف لنا الكتاب والمتأدبون جمالها واطنّبوا في مدح هشام وعدالته فقال فيها احد النبلاء من العراق : ( قدمت على هشام وقد خرج منتدباً في قرابته واهله وحشمه وحاشيته من اهله الى بعض وادي الرصافة فنزل في ارض قاع صحصح افيح في عام قد بكر وسيمه — مطره — وقد البست الارض انواع زهرتها واخرجت الوان زيتها من نور ربيعها فهي في احسن منظر واجمل مخبر ، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور فلو ان قطعة دينار القيت فيه لم تترب ، وقد ضرب له سرادقات من حبرات اليمين مزرورة بالفضة والذهب وضرب له فسطاطه في وسطه فيه اربعة افرشة من خز احمر مثلها مراقفها ، وعليه دراعة خز احمر وعمامة مثلها وضربت حجر نسائه من وراء سرادقه وعنده اشراف قریش وقد ضربت حجر بنيه وكتابه وحشمه بقرب فسطاطه . . . . .

وكان له موضع بالرصافة افيح من الارض يبرز فيه فتضرب له به



السرادقات . فيكون فيه ستين ليلة بارزاً للناس مباحاً للخلق لا يفني ايامه تلك الا برد المظالم والأخذ على يد الظالم من جميع الناس واطراف البلاد . ويصل الى مخاطبته بذلك الموضع داعي السوام والامة السوداء فن دونهما . قد وكل رجالا ادباء عقلاء بادناء الضعفاء والنساء واليتامى منه ، وامرهم باقصاص اهل القوة والكسفاية حتى يأتي على آخر ما يكون من امره فيما : فع اليه ، لا ينضم اليه رجل يريد الوصول اليه فينظروا اوضع منه الا ادنوا الاوضع وابعدهوا الارفع حتى ينظر في شأنه ويعرف امره وينفذ فيه ما امر ولا يرفع اليه ضعيف ولا امرأة امراً وظلامة على غطريف من الناس مرتقع القدر .. الا امر باقتضا . يمينه ... حتى لربما تمر به المرأة والرجل او عابر سبيل لا حاجة له فيما مرء به فيقال له ما حاجتك وماقصتك وما ظلامتك فيقول انما سلسكت اريد موضع كذا اروم بلد كذا فيقول له لعلك ظلمك احد من آل الخليفة تهاب امره وتتوقع سطوته فذلك الذي منعك عن رفع ظلامتك الى امير المؤمنين فيقول لا والله لا ابني الا ما قلت فيقال له اذهب بسلام ، حتى لربما انت عليه تارات من الليل وساعات من النهار لا ينظر في شي \* ولا يأتيه احد في خصومة لاستغناء الناس عن المطالب وتعففا من المظالم ورواية من سطواته وتخوفاً من عقوبته . وقد وسع العباد أمنه واشعرهم عدله

وصارت البلاد المتناثية السادسة كدار واحدة ترجع الى حاكم قاضى يرقبه الناس  
 فى المواضع النائية عنه كما يرقبه من معه ، ابن قتيبة ص ١٩٩ - ٢٠٦ هـ  
 وكان سليمان بن عبد الملك والياً على جند فلسطين فى ايام اخيه الوليد  
 فنزل ( اُد ) - اكبر محطة فى فلسطين للسكك الحديدية اليوم - فلم تعجبه  
 ولم ترق له الإقامة فيها فقدم الرملة ، وهى رباط للمسلمين منذ القتح فصرها  
 وبنى بها قصره وداراً تعرف بدار الصباغين . واختط المسجد وعمره وزينه  
 واحترق لهم الآبار والاقية ، وكان بنو امية ينفقون على آبار الرملة الى اواخر  
 ايامهم . واصاب الرملة الدمار فى خلال الحروب الصليبية وهى تكاد تكون  
 اليوم قرية ، وكانت زاهية زاهرة فى ايام المقدسي الجغرافى فيقول عنها « قسبة  
 فلسطينية حسنة البناء خفيفة الماء مرية واسعة المواكح جامعة الاضداد بين  
 رساتيق جليلة ٠٠٠ وقرى قديمة والتجارة بها مفيدة والمعاش حسنة ليس فى  
 الاسلام أبهى من جامعتها ولا احسن ولا اطيب من حوارها ولا ابرك من  
 كورتها ولا الذ من فواكها . موضوعة بين رساتيق زكية ومدن محيطة ورباطات  
 فاضلة ذات فنادق رشيقة وحمامات انيقة واطعمة نظيفة وادانات كثيرة  
 ومنازل فسيحة ومساجد حسنة وشوارع واسعة ٠٠٠٠٠ قد خطت فى السهل  
 وقربت من الجبل والبحر وجمعت الثين والنخل وانبتت الزروع على البعل

وحوت الخيرات والفضل غير انها في الشتاء جزيرة من الوحل وفي الصيف  
جزيرة من الرمل ، لاما ، يجري ولا خضر ولا طين جيد ولا تلج ،  
كثيرة البراغيث عميقة الآبار مالحة وماء المطر في جباب مقفلة فالفقير عطشان  
والغريب حيران .

وجامع القصبه في الاسواق أبهى وارشق من جامع دمشق يسمى  
( الابيض ) ليس في الاسلام أكبر من محرابه . ولا يعد منبر بيت المقدس  
احسن من منبره وله منارة بهية بناه هشام بن عبد الملك . . . وارض المغطى  
مفروشة بالرخام والصحن بالحجارة المؤلفة وابواب المغطى من الشربين  
والتنوب مداخله محفورة حسنة جداً . ص ١٦٤ - ١٦٥ ( راجع معجم  
البلدان ج ٢ ص ٨١٧ - ٨٢٠ )

يمكننا القول ون جدال ان الامويين شادوا الرصافة والزملة جبل الزهدة  
وطلبوا للراحة . اما تأسيسهم المدن في العراق فكان لقصده غير المقصد الذي ذكرناه  
واتينا على بيانه . كلنا يعلم ان العراق كان دوماً متهباً للثورة على بني اميه وكلنا  
قد شعر بالضغائن التي كان يحملها اهل الكوفة واهل البصرة على الامويين  
وولاتهم فأقام الججاج مدينة متوسطة بين البصرة والكوفة لاتبعد اكثر من  
خمسین فرسخاً عن كل منهما . ولذلك كان بوسعهم ان يشرف على اعمال سكان المصرين

ويضربهم كلما حدثتهم النفس بالعصيان. وشرع الحجاج في عمارة واسط في سنة ٥٨٤ هـ و فرغ منها سنة ٥٨٦ هـ (٧٠٣-٧٠٥ م). وتمتاز واسط بطيب هوائها وكثرة بساتينها ونخيلها. وقد اكد له اطباؤه وبض ثقاته انهم - استطابوا ليلها واستعذبوا انهارها واستمروا طعامها وشرابها - (ياقوت معجم البلدان ج ٤ ص ٨٨٢).

اما اشهر المباني التاريخية التي شادها الحجاج في واسط فهي المسجد الجامع والقبة الخضراء والقصر والسور. وكان ذرع قصره اربع مائة في مثلها وذرع المسجد الجامع مائتين في مائتين. ونقل الحجاج الى قصره والمسجد الجامع ابواباً من الجهات المختلفة من العراق فاحتج اهل هذه الجهات ونخبوا وقالوا قد غصبنا على مدائننا واموالنا فلم يلتفت الى قولهم ولم يغنهم احتجاجهم عليه فتبلا. وقد زار ياقوت واسطاً فوصفها بقوله: « رأيت أنا واسطاً مراراً فوجدتها بلدة عظيمة ذات رساتيق وقرى كثيرة وبساتين ونخيل يفوت الحصر. وكان الرخص موجوداً فيها من جميع الاشياء مالا يوصف بحيث اني رأيت فيها كوز زبد بدرهمين واثنتي عشر دجاجة بدرهم، واربعة وعشرين فروجاً بدرهم، والسمن اثنا عشر رطلا بدرهم، والخبز اربعون رطلا بدرهم، واللبن مائة وخمسون رطلا بدرهم، والسمن مائة رطل بدرهم، وجميع ما فيها بهذه النسبة، ج ٤ ص ٨٨٦ معجم البلدان ».



جرت السنة لدى الخلفاء الامويين ان يشيدوا المساجد ويعمروا بيوت الله لتكون زينة للمدن ومركزاً وسيعاً لأجتماع المسلمين وغيظاً على الاجانب والاعيار فاقام الوليد الجامع الاموي في دمشق، وقد اسهبنا لك في وصفه وبيان محتوياته. وبنى والده عبد الملك بمساعدته جامع بيت المقدس او جامع الصخرة. وتباينت رواية الذين زاروه وشاهدوه من المؤرخين في العصور المختلفة في ذكر مساحته وعدد عمدته ومحاربه وماناره والاموال التي اوقفت له .

قال المقدسي : ( . . . وللمغطى ستة وعشرون باباً يقابل المحراب

يسمى باب النحاس الاعظم مصفح بالصفير المذهب ٠٠٠ والسقوف كلها الا المؤخر ملبسة بشقائق الرصاص والمؤخر مرصوف بالقسيفساء الكبار والصحن كله مبلط وسطه دكة يصعد اليها من الاربع جوانب في مراق واسعة وفي الدكة اربع قباب . وطول المسجد الف ذراع بذراع الملك الاشباني ، وعرضه سبعمائة . وفي سقوفه من الخشب اربعة آلاف خشبة وسبعمائة عمود رخام وعلى السطح خمسة واربعون الف شققة رصاص . وخدامه مماليك له اقامهم عبد الملك من خمس الاسارى ولذلك يسمون الاحناس لاينخدمه غيرهم ، ولهم نوب يحفظونها وكانت وظيفته في كل شهر مائة قسط زيت وفي كل سنة ثمان مائة الف ذراع حصر . ص ١٦٧ - ١٧١ )

وقال ابن عسكرويه في العقد القريد : ( طول المسجد سبعائة ذراعاً واربعة  
 وثمانون ذراعاً وعرضه اربعمائة ذراعاً وخمس وخمسون ذراعاً . ويسرج في المسجد  
 الف وخمسةائة قنديل وعدده مائة من الابواب خمسون باباً ، وعدد ما فيه من  
 العمدة ستمائة واربعة وثمانون عموداً . وفي الصخرة الملبسة صفائح الرصاص .  
 ومن فوق ذلك صفائح النحاس مطلية بالذهب . وجميع ما يسرج في الصخرة  
 من القناديل اربعمائة قنديل واربعة وستون قنديلاً بمائتي النحاس وسلاسل  
 النحاس . وفي المسجد ثلاث مقاصير للنساء طول كل مقصورة ثمانون ذراعاً  
 في عرض خمسين ذراعاً . وفيه من المصاحف الجامعة سبعون مصحفاً وفيه من  
 الحاريب عشرة ، وفيه اربعة وعشرون جياً للماء وفيه اربعة منابر للمؤذنين .  
 وجميع سطوح المسجد والقباب والمنارات ملبسة بصفائح منبهة . وله من الخليم  
 بعيالهم مائتا مملوك وثلاثون مملوكاً يقضون الرزق من بيت مال المسلمين .  
 ووظيفته في كل عام من الحصر ثمانية آلاف . ج ٤ ص ٢٧٤ — ٢٧٥ . )

وقال الهمداني في كتاب البلدان : ( يقال ان طول مسجد بيت المقدس  
 الف ذراعاً وعرضه سبعائة . وفيه سبع مائة عمود . وخمسة مائة سلسلة نحاس .  
 ويسرج فيه كل ليلة الف وستائة قنديل وفيه من الخليم مائة . واربعمائة خادماً .  
 وله من الحصر كل سنة ثمان مائة الف ذراعاً ، وفيه خمسة وعشرون الف جب

للماء ، وفيه ستة عشر تابوتاً للمصاحف . وفيه اربعة منابر للمطوعة وواحد للمرتفعة وله اربعة مياضي \* ٥٥٥ . وقبة الصخرة بناها عبد الملك بن مروان على اثني عشر ركناً وثلاثين عموداً . هذا ايام خليفتنا المعتضد بالله من (١٠٠-١٠١) وقال ياقوت في معجم البلدان : ( وهو طويل عريض وطوله اكثر من عرضه وهو على غاية الحسن والاحكام مبني على الاعمدة الرخام الملونة والقسيفساء . التي ليس في الدنيا احسن منه ، لاجامع دمشق ولاغيره ، في وسط صحن هذا الموضع مصطبة عظيمة في ارتفاع نحو خمسة اذرع كبيرة يصعد اليها الناس من عدة مواضع بدرج . وفي وسط هذه المصطبة قبة عظيمة على اعمدة رخام مستققة برصاص منعمة من برا وداخل بالقسيفساء مطبقة بالرخام الملون قائم ومسطح . وفي وسط هذا الرخام قبة اخرى قبة الصخرة التي تزار . ح ٤ ص ٥٩٤ )

أحييت ان اثبت لك هذه الروايات المختلفة المتباينة لتعلم معنى المبالغة  
وكم يجب ان نحذر منها في دراستنا التاريخ . ولو درست هذه الروايات تماماً  
لوجدت ان الهمداني والمقدسي يعطيانك على وجه التقريب عين الارقام فيما  
يختص بمساحة مسجد بيت المقدس وعدد عمدته واذرع الحصر التي تفرش  
فيه . لكن الغرابة كل الغرابة حينما تأتي الى عدد الآبار فيعدها ابن عبدربه

فاذا هي ٢٤ ويمدها الهمداني فاذا هي ٢٥١٠٠٠ فتأمل !! أليست هذه الحال من الفضاخ في التاريخ فاجتنبها ما قدرت رحمك الله . زهاك قائمة تسهيل عليك نوعاً للمقابلة بين هذه الروايات :

المقدسي	ابن عبدربه	الهمداني	ياقوت
١٠٠٠ × ٧٠٠	١٨٤ × ٤٥٥	١٠٠٠ × ٧٠٠	—
—	١٥٠٠	١٦٠٠	—
٧٠٠	٦٨٤	٧٠٠	—
٢٦	٥٠	—	—
٨٠٠٠٠٠ ذراع	—	٨٠٠٠٠٠	»
—	٢٤	٢٥١٠٠٠	»
—	٢٨٠	١٤٠	»

واهتم الامويون في تجديد المسجد الحرام في مكة وتوسيعه واتفانه . ونحسين كسوته، فزاد عبدالملك بن مروان في ارتفاع حائط المسجد ، وحمل اليه السواري من مصر في البحر الى جده وحملت من جده على العجل الى مكة . ولما ولي الوليد زاد في حليته وزين سقفه باطواق الياقوت والزرجد



المجلوب من الاندلس ( معجم البلدان ج ٤ ص ٤٢٥ - ٥٣٦ ) . وكان اول من بناه عمر بن الخطاب . فلما كانت السلطة في الحجاز لابن الزبير جعل فيه عمداً من الرخام وزاد في ابوابه وحسنها . وطيب الامويون الكعبة بانواع الطيب وكسوها الديباج بعد ان كانت تكسى بالثياب الجمانية والقباطي ( الهمداني ص ٢٠ ) ووصف لنا ابن عبد ربه البيت الحرام بقوله « صحنه كبير واسع ذرعه طولاً اربعاً مائة ذراع واربعه اذرع ، وذرعه عرضاً ثلثمائة ذراع واربعه اذرع . وله عمد رخام بيض عددها في طوله من الشرق الى الغرب خمسون عموداً وفي عرضه ثلاثون عموداً . وحلة عمد المسجد اربعاً مائة واربعه وثلثون عموداً . طول كل عمود منها عشرة اذرع ودورة ثلاثة اذرع ، المذهبة من رؤوس العمد ثلثمائة وعشرون رأساً . وسور المسجد كله من داخله مزخرف بالفسيفساء . وله ثلاثة وعشرون باباً ، العقد الفريد ج ٤ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ »

اعتنى الامويون ايضاً في توسيع مسجد المدينة وتزيينه فاشترى عمر بن عبد العزيز الدور التي حوله في عهد الوليد وزادها فيه وجدد بناءه وبعث الى بيزنطية يشتري الفسيفساء فوجهوا اليه منها اربعين وسقاً فشحنها الى المدينة ورضع بها المحار يب والسقوف . واول من بنى هذا المسجد الرسول محمد ( ص ) وكان بناؤه باللبن وسمته جريد وعمده خشب النخل فاصلحه



## الفصل الثامن

### احوال الاجتماع الاموي

التجارة ، النقود ، دواوين الحكومة ، المواتين ، البربر ، العلم  
 والتربية ، تعليم القبائل ، تعليم البنات ، الطب ، اسرار الاطباء في العصر  
 الاموي ، اتياب ، التأنق في الملابس ، السروج ، السباقي ، الزواج ،  
 الموت والرتاد ، الاعياد ، الشهور ، المذكورات المعبودة ، الحرف .

اتحنا لاقسنا في الفصل الذي سلف ان نزور دمشق في اواخر عهد الوليد وان تتمتع بمنظرها الجميلة الفتانة ، وان نشاهد عمراتها ، فرأينا المسجد الجامع وقصر الخضراء ، ثم تجولنا في اطرافها فكحلنا العيون برأى الغوطة الملتفة الاشجار ونهر بردى مع روافده السبعة . واننا الآن نود لو نسير واياك فنختلط مع سكانها كبيرهم وصغيرهم ، شريفهم ووضيعهم ، لتعرف الى احوال اجتماعهم وطرز حياتهم واساليب تجارتهم وانواع تقودهم وشكل بریدهم ومعاني التربية والاخلاق عندهم . اننا بذلك نقم ما ورتنا من عادات وتقاليد وما طرأ عليها من التطور والتغيير خلال هذه العصور .

**التجارة :** اشتدت الحركة التجارية في الشام حينما كثرت الاموال وبدأ الاغنياء ينزعون للترف ويقلدون البيزنطيين في لبس الحرير واتخاذ الاثاث الغالي في بيوتهم . فكنت ترى التجار من القرس والبيزنطيين والانديسيين والصقالبة وبعض العرب يجلبون من المغرب الخدم والجواري والقلمان والديباج وجلود الخنزير والقراء والسمور والسيوف . ثم يمضون الى المشرق فينتابون السند والهند والصين فيحملون منها المسك والعود والكافور والدارسيني وقبلتهم في ذهابهم واياهم دمشق عاصمة الخلافة . وكانوا يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق براً وبحراً . اما الطرق التي يتبعونها في رحلاتهم الطويلة



فكانت اما من فرنسا الى مصر - من فرنجية الى القرما - ومنها يركبون البحر الاحمر - القانم - الى جده ثم يمضون الى الصين والهند . واما من فرنسا الى انطاكية فالجباية ثم يركبون في القرات فالدجلة الى بغداد فالبصرة ومنها يبحرون الى عمان فالهند . ( المسالك والممالك لأبن خرداذبه ص ١٥٣ - ٤ )

واشتهر لدى الدمشقيين جماعات التجار الصقالبة ، وكان يحمل هؤلاء جلود الخنز وجلود الثعالب السود والسيوف من اورية فيبحرون اما من فرنسا واما من الاندلس الى السوس الاقصى فيصرون الى طنجة ثم الى تونس فمصر فالرملة فدمشق فالكوفة ببغداد فالبصرة فالاهواز فقارس فكerman فالسند فالهند فالصين، وكان يصحبهم في رحلاتهم الخدم الصقالبة المستعربة وغير المستعربة فيترجون لهم .

اما البلاد الشامية فكانت تصدر الزيت والصابون والقواكه والحبوب والسكاغذ والثياب والسكر والزجاج والقطن والحديد والحوار - سوبه تبيض السقوف والسطوح - والحجارة البيضاء والرخام وغيرها . وقد ذكر المقدسي ما تصدره كل بلد في الشام فقال: « يرتفع من فلسطين الزيت والقطين والزيد واخلونوب والملاحم والصابون، ومن بيت المقدس الجبن والقطن والتفاح

والمرابيا وقبور القناديل والابر ، ومن ييسان النيل والثور ، ومن عمان الجبوب  
 والخرفان والعسل ، ومن طبرية شقاق للطراح والسكاغد، ومن القدس الثياب  
 المنيرة والبلعيسية والحبال، ومن صور السكر والخرز والزجاج المحروط والمعمولات،  
 ومن مآب قلوب الابرز، ومن ييسان الرز ، ومن دمشق المعصورو الديبا ودهن  
 البنفسج والصفريات والسكاغد والجوز ، ومن حلب القطن والثياب والاشنان  
 والمغرة وقصب السكر والرطب والزيتون والتاريخ والجوز والهلين والمون والساق  
 والسكرنب والسكاة والترمس . المقدسي ص ١٨٠ - ١٨١ »

وتعاملت التجار الاجانب في المملكة الأموية بواسطة النقود البيزنطية  
 والفارسية وقد عرفها العرب منذ الجاهلية فقال البلاذري « كانت دنانير هرقل  
 ترد على اهل مكة في الجاهلية وترد عليهم دراهم القرس البغلية فكانوا  
 لا يتبايعون الا على انها تبر . البلاذري ص ٤٧١ » وكانت مختلفة الاوزان  
 فوزن بعضها عشرين قيراطاً واثنى عشر قيراطاً والبعض الآخر عشرة قواريط .  
 ولا يغرب عن بالنا انه كانت لقريش في مكة اوزان في الجاهلية فدخل  
 الاسلام فاقرها وثبتها . فكانت تزن الفضة بو زن تسمية درهما . وتزن الذهب  
 بوزن تسمية ديناراً . وكان عندهم وزن الشعيرة وهو واحد من الستين من  
 وزن الدرهم ، والواقية وتزن اربعين درهماً ، والمنش وتزن عشرين درهماً،  
 والنواة وتزن خمسة دراهم .

قلنا ان النقود المتداولة بين ايدي الناس في المملكة الاموية كانت  
 بيزنطية وفارسية، فلما استولى عبدالملك بن مروان على زمام الامور نقل السكة  
 والنقود الى العربية ويروي ان خالد بن يزيد بن معاوية أشار على عبد الملك  
 بقوله : ( يا امير المؤمنين حرم دنائيرهم فلا يتعامل بها واضرب للناس سكا  
 ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا في الطوامير . . . . . وكانت الاقباط تذكر  
 المسيح في رؤوس الطوامير وتنسبه الى الربوبية وتجعل الصليب مكان (بسم  
 الله الرحمن الرحيم ( البلاذري ص ٢٤٩) . فضرب الدنانير وامر عماله بضرها  
 فأنشأ الخجاج داراً لضرب السكة في العراق، وجمع فيها الطباعين فكان يضرب  
 المال للخليفة مما يجتمع له من التبر. وختم ايدي الطباعين وشدهم التكبير عليهم  
 ووضع قانوناً يقضي بالقبض الصارم والعذاب الشديد على المزيفين . ويذكر  
 البلاذري ان عمر بن هبيرة وخالد بن عبد الله القسري ويوسف بن عمر ولاة  
 العراق بعد الخجاج أفرطوا في الشدة على الطباعين واصحاب الديات فقطعوا  
 ايدي وسجنوا المزيفين . لذلك كانت الدراهم الهبيرية والخالدية واليوسفية  
 أجود نقود بني أمية . وكتب الخجاج على النقود التي سكها - بسم الله  
 الرحمن الرحيم - وكتب ايضاً بعد ذلك - الله احد الله الصمد - .  
 قد تعجب فئة منا كيف ان الحكومة الاموية لم تجعل خالاً لذي استلامها

زمام الاحكام في ضرب نقود عربية باسمها تقوم مقام نقود الاغيار . وقد  
 تستغرب هذه القئة اذا قلنا لها ان دواوين الحكومة الاموية ظلت تكتب  
 باليونانية في الشام ، وبالفارسية في العراق ، وبالقبطية في مصر حتى عهد عبد الملك  
 بن مروان . ولكن هناك ما يدعو الى العجب والاستغراب فكان  
 الفرس والاراميون والقبطيون يفوقون العرب في ادارة الدواوين وضبط حسابات  
 المالية وتدقيق المسائل الكتابية . هذا عدا ان العربية كانت تصارع اللغة  
 القبطية في مصر والارامية واليونانية في سورية ، والفارسية في العراق ولم  
 تغلب عليها . فلما كانت سنة ٨١ هـ ( ٧٠٠ م ) اشتدت حركة التعصب  
 للعربية ومقاتلة اللغات الغريبة عن العرب . وكثر عدد المتعلمين من  
 الشبان الامويين الذين اخذوا ينافسون الاجانب ، فامر عبد الملك  
 بنقل جميع دواوين الحكومة الى العربية في جميع الاقطار ، وألف لجنة  
 للقيام بهذا العمل الخطير عهد رئاستها الى سليمان بن سعد ، وامده بالمال  
 فاعانه بخراج الاردن سنة كاملة ويقدر بمائة الف ومائتين الف دينار . فلم تنته  
 السنة الا وقتلت جميع الدواوين الى العربية ، فتأثر السكتاب البيزنطيون  
 من ذلك إذ فقدوا وظائفهم واجبروا ان يتطلبوا العيش من غيرها . روى  
 ذلك البلاذري فقال : ( فلم تنقض السنة حتى فرغ من نقله واتى به عبد الملك



فدعا بسرجون كاتبه فعرض ذلك عليه فعمه، وخرج من عنده كشييا فلقيه قوم من كتاب الروم فقال اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم ص ٢٠١) .

وقد بنى الموظفون القرمس مالا كثيراً لصالح بن عبد الرحمن رئيس اللجنة التي اوكل اليها نقل الديوان من الفارسية الى العربية في العراق فلم يفلحوا لأن الحجاج كان من ورائه يشرف على كل صغيرة وكبيرة ولان صالح بن عبد الرحمن يصبح رئيساً لشعبة كبرى من هذه الدواوين ان نجح في اتمام تعريبها . فلم يزل مكباً على تعريبها مع زملائه حتى تم له ما اراد . واعترف احد ائسكتبة القرمس عما اصابهم من الالم من نقل هذه الدواوين الى العربية فقال : ( بذات لصالح مائة الف درهم على ان يظهر العجز عن نقل الديوان ويمسك عن ذلك فأبى وتقله . البلاذري ص ٣٠٩ )

ولم ينقض عام ٨٧ هـ ( ٧٠٥ م ) حتى امر عبدالله بن عبد الملك بالدواوين فنسخت بالعربية ، وكانت قبل ذلك تكتب بالقبطية ، وصرف الامير عبدالله اشناس عن الديوان ( كتاب الولاية والقضاء ص ٥٨ - ٥٩ ) اما الموازين التي كان يستعملها التجار فكانت تختلف باختلاف البلاد الاموية وقد عرفنا منها ( ١ ) الفقيز ( ٢ ) الويية ( ٣ ) المكوك ( ٤ )

السكيلجة (٥) والقب (٦) والمدى (٧) والغرارة (٨) والرطل (٩)  
والاوقية (١٠) والدرهم (١١) والحبة (١٢) والذائق .  
فاما السكيلجة فهي نحو صاع ونصف والمسكوك نحو ثلاث كياح والووية  
مكوكان والقفيز اربع وبيات والمدى نحو ثلثي القفيز والغرارة قفيز ونصف .  
وكل رطل اثنا عشر اوقية ، والدرهم ستون حبة ، والحبة شعيرة واحدة ،  
والذائق عشر خبات . وهذه الاوزان تتفاوت في البلاد .

ولا شبهة لدينا ان البريد كان يسهل على التجار اموزهم فكانوا ذوماً  
على اتصال مع زملائهم في بقية الاقطار الاموية . وديوان البريد مصلحة  
تختص بالحكومة رأساً فيبعث صاحبها بتجارير الخلافة واواصرها ومراسيمها  
الى مواضعها ، ويتولى عرض الكتب من جميع النواحي على مقام الخلافة .  
ويحسن بصاحب البريد ان يكون علماً باسماء البلدان والمواضع والمنازل وعدد  
الاميال والفراسخ التي بينها قادراً على وصفها و بيان عمرانها وطبيعتها وطرقها  
ومسالكها . وهو الذي يعين المأمورين الضليعين في هذا المسلك في المحطات  
المختلفة . قال ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي : لا يكون  
اليه - لصاحب البريد - النظر في امر المرتبين في السكك وتنجز ارزاقهم  
وتقليد اصحاب الخرائط في سائر الامصار ، والذي يحتاج اليه في صاحب

هذا الديوان هو ان يكون ثقة امان في نفسه او عند الخليفة القائم بالامر في وقته، لان هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه الى الكافي المتصفح وانما يحتاج الى الثقة المتحفظ ، والرسوم التي يحتاج اليها من امر الديوان ما يضبط بها اعماله واحواله ولا غنى بصاحب هذا الديوان ان يكون عارفاً بأمر الطرق ومواضع النسك والمسالك الى جميع النواحي ، ولا يحتاج في الرجوع بهذه المعرفة الى غيره ، وما ان سأل عنه الخليفة وقت الحاجة الى مشغوصه واقفاً جيش يهيم امره وغير ذلك مما تدعو الضرورة الى علم الطرق بسببه وجده عتيداً عنده ومضبوطاً قبله ولم يحتاج الى تكاليف عمله والمسئلة عنه ،

« نبد من كتاب الخراج وصفة الكتابة ص ٦٨٤ - ٦٨٥ »

**العلم والتربية :** عرفنا شيئاً عن تجارة الدولة الاموية واحوال تجارها والطرق التي سلكوها ، وتقودهم وموازينهم والبريد الذي سهل عليهم سبل مواصلاتهم ومخبراتهم . وانا سنجرب الآن ان فهم شيئاً عن العلوم التي اشتغل بها الامويون واصول التربية التي استناروا بنورها . اعتنى العرب منذ الجاهلية باحكام اللغة ونظم الشعر وتأليف الخطب ومعرفة الاجاز والسير . وكان لهم بعض الاطلاع باوقات مطالع النجوم ومغاربها وباتواء السكاكب وامطارها على حسب ما ادركوه بفرط العناية وطول التجربة

لاحتياجهم الى معرفة ذلك في اسباب المعيشة لاعلى طريق تعلم الحقائق  
 ولا على سبيل التدرب في العلوم ( طبقات الامم ص ٤٥ ) وكانت العرب  
 في صدر الاسلام لا تهتم بشيء من العلم الا ببلغتها ومعرفة احكام الشريعة  
 وصناعة الطب لاحتياج الناس اليها في جميع الادوار . ( طبقات الامم ص ٤٧ )  
 كانت الدولة الاموية دولة فتوح وتوسع فلم تعتن الاعتناء اللازم في  
 انشاء المدارس وتهيئة المناهج العلمية ليسير الطلاب بحسبها . بل جل مانع رفاه  
 الخلفاء والنبلاء والقادة كانوا يأتون بمؤدبين ليؤدبوا اطفالهم . ويعرف هؤلاء  
 المؤدبون عادة بسمو اخلاقهم وغزير علمهم وشدة ورعهم وتقاهم . ولودرسنا الوصايا  
 والنبذ التي اقتطفناها من مختلف المصادر لتحققنا ان النبيل الاموي كان يعلم الدين  
 فيقرأ القرآن الكريم ويحفظ الحديث الشريف ثم يروي الشعر والاقوال المأثورة  
 ويلقن الحساب واللغة ، وقد يحذرون حذراً شديداً من اللحن . وكان المرءون  
 ينشئون في طلابهم خصالا حميدة فيطلبون اليهم الاعتماد على النفس والابتعاد  
 عن الملاهي والمعازف والغناء ومراعاة سنن الاقتصاد ونبد الصلف والمجب  
 بالنفس ، وامروهم بموازرة الغير بمساعدته جهد الطاقة . وكانوا يهتمون بالرياضة  
 فيشجعونهم على النزول في ميادين السباق والقروسية ويمرّنونهم على الصيد  
 والقنص والمصارعة . وهاك فقرات تؤيد لك ما قدمناه :



ذكر السكابي مؤدب محمد بن سليمان بن عبد الملك قال : « بعث الي  
سليمان بن عبد الملك فدخلت عليه فسلمت عليه بالخلافة فرد علي السلام ثم  
اوما الي فجلست فسكت عني حتى اذا سكن جأشي قال لي يا كبي ان ابني  
محمداً قره عيني وثمره قلبي وقد رجوت ان يبلغ الله به افضل ما بلغ رجلا من  
اهل بيته ، وقد وليتك تأديبه فعلمه القرآن ورواه الاشعار فان الشعر ديوان  
العرب ، وفهمه ايام الناس ، وخذه بعلم القرائض ، وفهمه السنن ، ولا تغتر عنه  
ليلا ولا نهاراً ، فاذا اخطأ بكلمة أو زل بجرف أو هفا بقول فلا تؤفه بين يدي  
جلسائه ، ولكن اذا خلا لك مجله لثلاث تحكه . واذا دخل عليه الناس  
للتسليم فخذهم بالطافهم واظهار برهم . واذا حيوه بتحية فليحيهم بأحسن منها .  
واطيا لمن حضر بمائدتها الطعام ، واحمله على طلاقة الوجه وحسن البشر  
وكظم الفيظ وقلة القدر والتثبت في المنطق والوفاء بالعهد ، وتنبك الكذب ،  
الاخبار الطوال ص ٣٣٢ - ٣٣٣ »

وقال عتبة بن ابي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده « ليكن اول ما تبدأ  
به من اصلاح بني اصلاح نفسك ، فان اعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم  
ما استحسنت والقبیح عندهم ما استقبحت وعلهم كتاب الله ، ولا تكروههم  
عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه ، ثم روهم من الشعر أعفه ، ومن

الحديث اشرفه ، ولا تخرجهم من علم الى غيره حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم ، وتهددم بي وادبهم دوني ، وكن لهم كالطيب الذي لا يعجل بالهواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروهم سير الحكماء ، واستزدني بزيادتك اياهم ازدك ، واياك ان تتكل على عذر مني لك فقد اتسكت على كسفاية منك . وزد في تأديبهم ازدك في بري انشاء الله تعالى . البيان والتبيين ج ٢ ص ٣٥ - ٣٦ )

وقال عبد الملك لرومان مؤدب اولاده : ( مرهم باحراز ما أقبل قبل ادباره ، وكنمان ماني الاقس دون الخلصان ، وموازرة الثقة من الاخوان وتوقع انتقاد الاخوان ، وقلة التعجب من عذر الخلان ، ابن عساكر ج ٥ ص ٣٤٠ )  
وقال عمر بن عبد العزيز لأبنة عبد الملك : ( فان ابتلاك الله بغنى فاقصد في غناك وضع لله نفسك واد الى الله فرائض حقه من مالك . . . واياك ان تفخر بقولك وتعجب بنفسك او يخيل اليك ان مارزقه لكرامة لك على ربك وفضيلة على من لم يرزق مثل غناك . سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٥٩ - ٢٦٠ )  
وقال عمر بن عبد العزيز الى مؤدب ولده : ( من عبد الله عمر امير المؤمنين الى سهل مولاه ، اما بعد فاني اخترتك على علم مني بك لتأديب ولدي فصرفهم اليك عن غيرك من موالي وذوي الخاصة بي ، فخذتهم بالجفاء فهو امعن

لاقدامهم ، وترك الصحبة فان عاداتها تكسب الغفلة، وقلة الضحك فان كثرت  
 تيمت القلب ، وليكن اول ما يعتقدون من ادبك بغض الملاهي التي بدؤها  
 من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن . فانه بلغني عن الثقات من اهل العلم ان  
 حضور المعازف واستماع الاغاني واللهج بها ينبت النفاق بالقلب كما ينبت العشب  
 الماء ، ولعمري لتوقي ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذي الذهن من  
 الثبوت على النفاق في قلبه . . . . . وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن  
 يتثبت في قراءته ، فاذا فرغ تناول قوسه ونبله وخرج الى القرض حافياً فرمى  
 سبعة ارشاق ثم انصرف الى القائلة . سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٥٧-٢٥٨)

وقال الخجاج لمعلم ولده: ( علم ولدي السباحة قبل الكتابة فانهم يصيرون  
 من يكتب عنهم ولا يصيرون من يسبح عنهم . البيان والتبيين ج ٢ ص ٩٢ )  
 وكتب عمر بن عبد العزيز الى ساكني الامصار : ( اما بعد فعلموا  
 اولادكم السباحة والقروسية ، ورووهم ماسار من المثل وحسن من الشعر .  
 البيان والتبيين ج ٣ ص ٩٢ ) .

وقال ابن التوم : ( علم ابنك الحساب قبل الكتاب فان الحساب  
 اكسب من الكتاب ، ومؤنة تعلمه أيسر ، ووجه منافعه أكثر . البيان  
 والتبيين ج ٢ ص ٩٢ )

وكان ابن التوم يقول أيضاً : ( من تمام ما يجب على الآباء من حفظ  
 الابناء ان يعلمه الكتاب والحساب والسباحة . البيان ج ٢ ص ٩٢ ) .  
 ودخل على الوليد فتى من بني مخزوم فقال له « زوجني ابتك » فقال  
 « هل قرأت القرآن » قال « لا » قال « ادنوه مني » فادنوه فضرب عمايته  
 بقضيب كان في يده وقرع رأسه به قرعات ثم قال لرجل « ضمه إليك فاذا قرأ  
 زوجته . البيان ج ٢ ص ١٠٦ - ١٠٧ » .

وقال عبد الملك : ( اللحن هجنة على الشريف . البيان ج ٢ ص ١١٢ )  
 وكان يقال : ( اللحن في اللطخ أقبح من آثار الجدري في الوجه . البيان ج ٢  
 ص ١٢٢ ) .

وقال عبد الملك وكان ينفر من لحن الوليد : « أضر بالوليد حيناً له فلم  
 توجهه الى البادية . البيان ج ٢ ص ١٠٧ » .

وأرسل الامويون المعلمين الى القبائل الرُحْل ليعلموهم أمور دينهم  
 وشيئاً من القرآن والسكّابة ومبادئ الحساب فذكر ابن الجوزي أن عمر بن  
 عبد العزيز بعث يزيد بن ابي مالك الدمشقي والحارث بن يمجّد الأشعري  
 يفقهان الناس في البدو وأجرى عليهما رزقاً ، ( سيرة عمز بن عبد العزيز  
 ص ٧٤ ) ، وأحسنوا الى الفقهاء ووصلوهم بالجوائز واغدقوا عليهم النعم المتواليّة



فكتب عمر بن عبدالعزيز الى والي حمص : ( انظر الى القوم الذين نصبوا اقسامهم للفقه وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا فاعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ما هم عليه من يدت مال المسلمين حين يأتيك كتابي هذا . وان خيرا لخير أمجله والسلام عليك ، سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٩٥ ) .  
 أما البنات فكن يتعلمن القرآن ويحفظن الشعر فذكر كتاب الأمالي انه كانت مولاة لبني الحجاج تحفظ شعراً وترويه وتنشده فتيات بني الحجاج ، ( ج ٢ ص ٦٢ ) .

ولا ريب ان بعض المحافظين كانوا يتجنبون تعليم البنات جهدهم سوى ما يختص بتعليمهم أمور دينهم حتى قيل : ( لا تعلموا البناتكم الكتاب ولا تروهن الشعر و علموهن القرآن ومن القرآن سورة النور ، البيان والتبيين ج ٢ ص ٩٢ ) .

**الطب :** عرف العرب الطب منذ الجاهلية وذلك لاحتكاكهم بفارس وبيزنطية ، فلما جاء الاسلام أباح دراسته وأكرم الاطباء ، وقد كان النبي يبحث الناس على الاهتمام به . ( طبقات الامم ص ٢٧ ) لحاجتهم اليه . وشجعت السياسة الاطباء على الاقتراب من اولي الأمر ليكونوا اعواناً لهم على التخلص من اعدائهم فقال معاوية بن ابي سفيان حينما بلغه ان ابن أمثال

الطيب سقى الاشر قائد علي بن ابي طالب شربة عسل فيها سم ( ان الله جنوداً ، منها العسل ) ، ( عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص ١١٦ - ١١٩ ) . وكان معظم الاطباء من الهميين وأغلبهم نصارى في ايام بني امية . ونبغ من الاطباء رجل معدودون أشهرهم الحارث بن كدة الثقي . وهو شاب حجازي وُلد في الطائف . ورحل في طلب صناعة الطب فنهب الى اليمن وفارس فأخذ عن أشهر أطباء جنديسابور وأصاب في بلاد العجم مالا كثيراً لداوائه عظامها وكبرائها . وتمرن في طبابة العميون حتى طار صيته فيها . وكان معاصراً للنبي والخلفاء الراشدين وادرك ايام معاوية بن ابي سفيان . ثم هزه الحنين فاشتاقت نفسه الى موطنه فرجع الى الحجاز فدرس امراض العرب وعرف ما تعتاده القبائل من المعالجات . وكان الحارث موسيقياً ماهراً ف ضرب على العود ولعله اقتبس ذلك من فارس . وله كلمات ونصائح طيبة مأثورة يتناقلها العرب منها :

« الداء الذي ادخل الطعام على الطعام » .

« لا تدخل الحمام شعباناً ، ولا تغم بالليل عرباناً ، ولا تقعد على الطعام غضباناً وارفق بنفسك يكن أرضى لبالك ، وقلل من طعامك يكن اهنأ لنومك » .

« من سره البقاء - ولا بقاء - فليباكر الغداء وليعجل العشاء » .

ولينخفض الرداء، وليقلل الجماع، عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ١١٠-١١٢،  
 ونيغ من الاطباء عبدالملك بن ابجر الكناني وهو من الشباب الذين  
 اشتغلوا في صناعة التدريس بالاسكندرية وقد اعتنق الاسلام على يد عمر بن  
 عبدالعزيز. ولما اراد عمر ان يهيئ الاسباب لدراسة الطب في انطاكية وحران  
 كان الطيب عبد الملك ساعده الايمن وكان هذا الخليفة العادل يعتمد عليه  
 ويحمله (عيون الانباء ج ١ ص ١١٦).

وعرف منهم ابن اثال وهو طيب دمشقي ممتاز عاش في ايام معاوية  
 الأول. وكان خبيراً بالادوية المفردة والمركبة وقواها، ملماً بالسموم القاتل.  
 ويتهمة المؤرخون ان معاوية لم يقربه الا ليكون آتته في التخلص من بعض  
 الامراء والخصوم السياسيين. ويستشهدون على صحة دعواهم بقولهم ان معاوية  
 دس الى ابن اثال ان يسقي عبدالرحمن بن خالد بن الوليد سمّاً حينما حدثته  
 نفسه بطلب الخلفاه. قال ابن ابي أصيبعة: (ان معاوية لما اراد ان يظهر العمد  
 ليزيد قل لاهل الشام ان امير المؤمنين قد كبرت سنه ووزق جلده ودق  
 عظمه واقترب أجله ويريد ان يستخلف عليكم فمن ترون فقالوا عبدالرحمن  
 ابن خالد بن الوليد فسكت وأضرها ودس الى ابن اثال الطيب النصراني  
 فسقاه سمّاً فمات ففتك ابن اخيه بالطيب فالزم معاوية بني مخزوم دية ابن  
 اثال اثني عشر الف درهم، (عيون الانباء ص ١١٦ - ١١٩).

واستعمل معاوية بن ابي سفيان أبا الحكم الدمشقي في المقاصد السياسية التي كان يريد تنفيذها وإتمامها. وكان هذا زميلاً لابن اثال عاداً بانواع العلاج والادوية. وعمر الحكم حتى تجاوز المائة سنة، وطب يزدناً الأول وعبد الملك بن مروان. وپروي القفطي ان معاوية كان يسيره مع الحجاج الى مكة. (أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٢٣).

وعرف ابنه الحكم من بعده وقد تعلم على ابيه ومارس هذه الصناعة ونال صيتاً طيباً كوالده.

واختص ثياذوق الطيب النصراني بخدمة الحجاج وصحبه وكان يعتمد عليه ويشق بموازرتة فاعقد عليه نعمه وأجرى عليه رزقاً كثيراً. ودرس عليه طلاب مشهورون وقد ادرك بعضهم الدولة العباسية كـفـرأت بن شحاتاً طيب عيسى بن موسى الامير العباسي، وماتت فرات في زمن المنيصور (القفطي ص ٧٤ مختصر الدول ص ١٩٤)، والفرد بعض السكتب القيمة (كالكيناش الكبير)، وكتاب ابدال الادوية وكيفية دقها وإيقاعها واذا بها. (شي من تفسير اسماء الادوية). وله حكم ونصائح طيبة منها:

« لا تأكل طعاماً وفي معدتك طعام »

« ولا تأكل ما تضعف اسنانك عن مضغه فتضعف معدتك عن هضمه »



« ولا تشرب الماء على الطعام حتى تترغ ساعتين ، فان أصل الذاء  
التخمة وأصل التخمة الماء على الطعام »

« وعليك بدخول الحمام في كل يومين مرة واحدة ، فانه يخرج من جسدك  
مالا يصل اليه الدواء »

« واكثر الدم في بدنك تحرس به فسك »

« وعليك في كل فصل قيئة ومسهلة »

« ولا تجس البول وان كنت راكباً »

« واعرض فسك على الخلاء قبل نومك »

« ولا تكثر الجماع فانه يقتبس من نار الحياة »

وأختص بخدمة الحجاج ايضاً الطيب ناودون وله مؤلفات جمّة منها

« الكناش » صنفه لأبنة يستعين به . وعرف من الاطباء ما سر جوييه وهو بصري

سرياني اللغة يهودي المذهب . وتولى تعريب بعض الكتب الطبية عن

السريانية ككناش اهرود القس وغيره وقد عاش في زمن مروان بن الحكم .

( مختصر الدول ص ١٩٢ )

التياب والعالجات الاجتماعية :

لو ساعدنا القدر ورأينا احد الخلقاء الامويين في المسجد الجامع حين صلاة

الجمعة اوفي احد ايام الاعياد الرسمية لاستلمت انظارنا البردة التي عليه ،وهي ثوب كان يلبسه الرسول ( ص ) . قال ابن الاثير : وهي شملة مخططة وقيل كساء أسود مربع فيه صغر . وقد اختلف في وصولها الى الخلفاء • القلقشندي ج ٣ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ • ولرأينا القضيبي الذي يحمله وهو عود كان النبي يأخذه بيده • ثم لو اقتربنا من الخليفة وحدقنا في يده اليمنى لشاهدنا خاتماً ، والاصل في اتخاذ الخاتم ان النبي قيل له ان الملوك لا يقرءون كتاباً غير مختوم ، فلتخذ خاتماً من ورق وجعل نقشه ( محمد رسول الله ) • واتخذ الخلفاء بعد ذلك خواتيم وصار كل ينقش ما يشاء من الكلمات ، فنقش معاوية على خاتمه ( لاقوة الا بالله ) • ونقش يزيد الاول على خاتمه ( ربنا الله ) ، ونقش معاوية الثاني ( بالله ثقة معاوية ) • ونقش مروان بن الحكم ( آمنت بالله مخلصاً ) ، ونقش الوليد ( يا وليد انك ميت ) ، ونقش غيرهم الفاظاً كلها تدل على خضوعهم للعزة الالهية واعتمادهم عليها . وكان الخاتم والقضيبي والبردة من شعائر الخلافة وظل يتوارثها الخلفاء الواحد اثر الآخر .

اما مجالس الخلفاء فكان فرشها الاثاث القطني في الصيف ، والاثاث الصوفي في الشتاء • وكل ذلك على اتم اسلوب والنخم طريقة • ويؤكد صاحب البيان والتبيين ان ظهور دوائر الحكومة بمظاهر الابهة ضروري فيقول : ( وهل

يملا عيون الاعداء ويرعب قلوب المخالفين ويحشو صدور العوام افراط التعظيم وتعظيم شأن السلطان والزيادة في الاقدار الا الآلات، وهل دواؤهم الا في التهويل عليهم . وهل يصلحهم الا اخافتك اياهم . وهل يتقادون لما فيه الحظ لهم ويسلمون بالطاعة التي فيها صلاح امورهم الا بتدبير يجمع المحبة والمهابة . ج ٣ ص ٦٠ ) ويلبس الناس الخفاف والقلائس في الصيف كما يلبسونها في الشتاء اذا دخلوا على الخلفاء وعلى الامراء وعلى السادة والعظماء لأن ذلك اشبه بالاحتفال والتعظيم والاجلال وابتعد من التبذل والاسترسال . ( البيان والتبيين ج ٣ ص ٦٠ ) ويتعممون احياناً اما ( العقاء ) وهو ان تعقد العمامة في القفا . واما الملياء وهو ان تعقد ميالة على الرأس . ( البيان والتبيين ج ٣ ص ٥٤ ) .

وكان بعض الخلفاء يتأقنون في ملابسهم ويكثرون منها حتى لقد قيل انه لم يكن في بني مروان أعطر ولا البس من هشام بن عبد الملك . ويبالغ المؤرخون في تعداد ثيابه فيرى انه خرج حاجاً فحمل ثياب ظهره على ستمائة حمل . ( العقد الفريد ج ٣ ص ١٧٧ ) ، ويقول ابن قتيبة عن اسراف هشام في ملبسه : ( وكان قد حجب اليه التكأثر من الدنيا والاستمتاع بالسكساء ، لم يلبس ثوباً قط يوماً فعاد اليه حتى لقد كان كسا ، ظهره و ثياب مهنته لا يستقل

بها ولا يحملها الا سبعائة بعير من أجلد ما يكون من الابل . . . . . وكان مع ذلك يتقلها ، الامامة والسياسة . ج ٢ : ص ٢٠٦ . وكان سليمان بن عبيد الملك شاباً وضيئاً جميلاً يعجبه التألق في اللباس فيروى انه لبس ذات يوم وهياً ثم قال لجارية له حجازية كيف ترين الهيئة ، قالت انت اجمل الناس ، قال انشديني على ذلك فقالت :

انت خير المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للانسان  
 انت خاؤ من العيوب ومملا يكره الناس غير انك فان (ص ٤٦) .  
 والحقيقة التي يزيد ايرادها ان بعض الخلفاء أسرفوا في اقتنائهم الثياب اسرافاً زائداً ، كما ان بعضهم قتر على نفسه كعمر بن عبدالعزيز الخليفة العادل فكان لا يلبس الا جبة بسيطة وسراويل رخيصة ولا يعتم الا بعمة غليظة . وزهد عمر في الثياب والعطر منذ ان تولى مصالح المسلمين . فقال ابن الجوزي :  
 ( صلى عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه وخلفه . فقال له رجل يا امير المؤمنين ان الله عز وجل قد اعطاك فلو لبست فنكس ملبأتم رفع رأسه فقال ان افضل القصد عند الجدة وافضل العفو عند المقدرة . سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢٦ ) .

وذكر شاهد عيان : ( رأيت على عمر قلنسوة بيضاء لاطية برأسه



وعمامة غليظة يعتم بها، ورأيتُه وعليه قميص قطري كستان ثمن ديناراً ودرهمين،  
وملاحة قرصية مثل ذلك في الصيف، وكان عليه في إنشائه طيلسان، ورأيت  
عليه جبة مبطنه بفراء مكان القطن وفوق الجبة ثوب ابيض ظهره وبطنه،  
سيرة عمر ص ١٤٨ .

وكان عمر يهتم بالثياب الفاخرة والعطر قبل خلافته فنذكر ابن الجوزي:  
( كان عمر بن عبد العزيز يسرف في عطره فلقد كان يدخل في طيبه حمل  
القرنفل، ولقد رأيت العنبر على لحيته كاللحج، فلما افضت اليه الخلافة ترك  
ذلك وتبذل، كان عمر يعامل رياح بن عبده وكان تاجراً من أهل  
البصرة . أمره وهو بالمدينة ان يشتري له جبة خز فاشتراها له بمسرة دنانير  
ثم اتاه بها فسها فقال اني لأستخشنها . فلما ولي الخلافة أمرني فاشترت  
له جبة صوف بدينار، فاتاه بها فجعل يدخل يده فيها ويقول ما أليتها فقال  
التاجر: عجباً تستخشن الخزامس وتستبان الصوف اليوم، سيرة عمر بن  
عبد العزيز ص ١٥٠ ) .

عرف عمر بن عبد العزيز بالعدل والانصاف والاحسان لجميع افراد  
شعبه ومع ذلك فقد خصص الثياب التي يجب ان يلبسها النصارى ووضع  
شروطاً طلب اليهم حفظها فأمر ان ( لا يركب نصراني سرجاً ولا يلبس

قباة ولا طيلسانا ولا سراويل ذات خدمة ، ولا يمشين بغير زنار من جلد ،  
ولا يمشي الا مفروق الناصية ، ولا يوجد في بيت نصراني سلاح الا أخذ ،  
سيرة عمر بن عبدالعزيز ص ٩٩ )

**السهل :** عرف العرب كثيراً من انواع السلاح فاستعملوا الترس وهو  
الجن وعليه تدور الدوائر ، والرمح ويسمونه رشاء المنية ، والنبيل ويقولون عنها  
انها رسل لا تؤمر ومنايا تحطى وتصيب ، والسيوف وهو ظل الموت ، والقوس  
والسكناة ، والسهل . (العقد القريدي ج ١ ص ٩٠-٩٣) والرمح وهو طبقات  
فمنها المخلط وهو الذي يضطرب في يد صاحبه لافراط طوله ولا يحمله الا القوي  
الساعد الشديد العضل والذبيك وهو اقصر الرماح ، والمربع والمخموس والتام .  
وقد اعتنى العرب بسلاحهم لانهم امرؤا ديناً ان يذودوا عن حوضهم  
بسلاحهم وان يحافظوا على استقلالهم وكيان اوطانهم فقال الرسول ( ص )  
( اركبوا وارموا ، وان ترموا أحب الي من ان تركبوا ) ، وروى عقبه بن عامر  
قال : « سمعت رسول الله « ص » يقول وهو قائم على المنبر - واعدوا لهم  
ما استطعتم من قوة ، الا ان القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي ، الا ان القوة  
الرمي . » (العقد القريدي ج ١ ص ٩٤) .

وتطورت الاسلحة منذ عهد الجاهلية الى زمن الامويين فاقبس العرب

انواعاً عديدة من الاسلحة الحربية كالجانيق والرثيلة والعراوة والرمي بالنجكان  
والزرق بالنفط والنيران. وراحوا يتعلمون الفنون والاساليب العسكرية الفارسية  
فقسموا جيوشهم الى فرق عرفت باليمينه والميسرة والقلب والجناح والطليعة  
والسكين . ونظموا ثيابهم وامتعتهم واجهزتهم ، فأخذوا عنهم السراويلات  
والاقبية والطبول والبند والحدود والاعلام . ولدينا وثيقة تاريخية تثبت لنا  
ان العرب اقتبسوا بعض هذه الفنون عن الفرس . قال احد الاعاجم يفتخر  
على العرب في هذا المعنى : « انما كانت رماحكم من مران وأستكم من قرون  
البحر ، وكنتم تركيبون الخيل في الحرب اعراء ، فان كان الفرس ذا سرج فسرجه  
رحالة من ادم ، ولم يكن ذا ركاب ، والركاب من أجود آلات الطاعن برمح  
والضارب بسيفه ، وربما قام فيهما أو اعتمد عليهما ، وكان فارسكم يطعن  
بالقناة الصماء ، وقد علمنا ان الجوفاء أخف محملاً واشد طعنة . وتفخرون بطول  
القناة ولا تعرفون الطعن بالمطارد . وانما القنا الطوال للرجالة والقصار للفرسان  
والمطارد لصيد الوحش .. ولا تعرفون البيات ولا السكين ولا الميمنة ولا الميسرة  
ولا القلب ولا الجناح ولا الساقة ولا الطليعة ولا النفاضة ولا الدراجة ، ولا  
تعرفون من آلة الحرب الرثيلة ولا العراوة ، ولا الجانيق ولا الدباب ، ولا الخنادق  
ولا الحسك ، ولا تعرفون الاقبية ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا

الضبؤل ولا البنود، والمتخافيف ولا الجواشن ولا الخلود ولا السواعد ولا الاجراس  
 ولا الوهق والرمي بالبنجكان ولا انزرق بالنفط، ولا النيران، وليس لكم في  
 الحرب صاحب علم يرجع اليه المنعاز ويتذكره المهزيم، وقتالكم ايما سلة واما  
 مزاحفة، والمزاحفة على مواعد متقدمة، والسلة مسارقة وفي طريق الاستلاب  
 والخلسة. البيان والتبيين ج ٣ ص ٧ - ٨

**السباي:** أفام الخلفاء الامويون حفلات جليلة للسباي. وكاوا يعدون  
 الخيل وروضونها ويستجذبونها من البلاد البعيدة. وكان يشترك في بعض  
 الحفلات المولعون والغواة من جميع اقطار المملكة. وقد تعلن الحكومة عن  
 ميعاد السباي وتنتشر اخباره فبذل الناس الاموال في سبيل الحصول على الجوائز  
 والمناخرة بخيولهم المحلية والمصلية. ويروي لنا المؤرخون ان بعض الخلفاء  
 كانوا يفتنون الخيول للسبق فقال ابن عبد ربه: « وكان هشام بن عبد الملك  
 رجلاً مسبقاً لا يكاد يسبق فسبق له فرسٌ انثى وصلت اخها فرح لذلك  
 فرحاً شديداً. العقد الفريد ج ١ ص ٨٤ » واشهر منهم الفرسان الابطال  
 كالوليد بن يزيد. قال الجاحظ: « كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى  
 اذن فرسه اليسرى ثم يجمع جرابه - جرمز الرجل اتقبض واجتمع بعضه  
 الى بعض - ويثب. فكأنما خلق على ظهر فرسه. وفعل مثل ذلك



الوليد بن يزيد وهو يومئذ ولي عهد هشام . البيان والتبيين ج ٣ ص ١٠  
وبذلت الحكومة الاموال لتشجيع السباق حتى يكون غيظاً للعدو . ذكروا  
ان سليمان بن عبد الملك « أمر اهل مملكته ان يقودوا الخيل بسبق بينهم ،  
فمات من قبل ان تجري الحلبة . فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبي ان يجريها  
فقتل له يا امير المؤمنين تكاف الناس مؤونات عظاماً وقادوها من بلاد  
بعيدة وفي ذا غيظ للعدو ، فلم يزالوا يكلمونه حتى أجرى الحلبة واعطى الذين  
سبقوا . ولم يجيب الذين لم يسبقوا . اعطاهم دون ذلك . سيرة عمر بن عبد  
العزيز ص ٥٦ »

**الزواج :** اتبع الامويون كتاب الله وسنة رسوله في زواجهم فما غلوا في  
اثمان المهر، ولا طلبوا من الزوج شروطاً قاسية ان كان صحيح البدن عفيفاً نزيهاً .  
وكانوا يمتقدون ان المتزوج أستعد بالآهنا عيشاً من العازب لاسيما ان  
شاركته زوجته في بؤسه وسعادته وآتراحه وافراحه . اما المرأة الجميلة المطيعة  
النظيفة المقتصدة الكريمة الاصل الشريفة المحتد فهي الجوهرة المكنونة التي  
لا تقدر بثمن . قال ابن القرية الخطيب المشهور يعدد صفات الزوجة الطيبة :  
( ٠٠٠ ) وجدت اسعد الناس في الدنيا واقربهم عيناً واطيبهم عيشاً وابقاهم  
سروراً وراخاهم بالآهنا واشبههم شباباً من رزقه الله زوجة مسلمة امينة عفيفة حسنة

لطيفة نظيفة مطيعة . ان اتمتها زوجها وجدها أمينة ، وان قتر عليها وجدها  
 قانعة ، وان غاب عنها كانت له حافظة ، تجد زوجها ابداً ناعماً وجارها سالماً  
 ومملوكها آمناً وصبيها طاهراً . قد ستر حملها جهلها ، وزين دينها عقلها . . .  
 قوامه صوامه ضاحكة بسامة . ان أسرت شكرت وان أعسرت صبرت . . .  
 وانما مثل المرأة السوء كالحمل الثقيل على الشيخ الضعيف يجره في الارض  
 جراً . فعملها مشغول وصبيها مرذول ، المحاسن والاضداد ص ١٦٠ ) . وقال  
 خالد بن صفوان : ( اطلب لي زوجة ادبها الغنى ، وذللها الفقر ، لا ضرة صغيرة  
 ولا عجزاً كبيرة ، قد عاشت في نعمة . . . لها عقلٌ وافر وخلق طاهر وجمال  
 ظاهر . . . كريمة الختد رخيمة المنطق ، لم يداخلها صلف ، المحاسن  
 والاضداد ص ١٤٨ ) .

وكانت الاميرات الامويات خاضعات لجميع الاحكام الاسلامية فهن  
 عرضة للطلاق ولاحتمال الضرائر . خطب محمد بن الوليد بن عتبة الى عمر بن  
 عبد العزيز أخته فقال : ( . . . أحسن بك ظناً من اودعك حرمة واختراك  
 ولم يخر عليك . وقد زوجناك على ما في كتاب الله في امساك بمعروف  
 او تسريح بأحسان . البيان والتبيين ج ١ ص ٢١٥ )  
**الموت والدفن** : لا ذلماً تماماً مراسم الدفن حين الموت ولكن يغلب على

ظننا انها لم تتغير عما هي عليه اليوم . ولم نعتز على وصف لها فيما قرأنا من المصادر التاريخية ، اما ذكر الجاحظ كيفية دفن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز فقال انهم سمووا عليه قبره بالأرض وجعلوا على ضريحه خشبتين من زيتون احدهما عند رأسه والاخرى عند رجليه . ثم قام والده يؤنبه ويطلب له الرحمة والمغفرة ويشهد الناس على رضائه بما اقسم له الله . قال في معرض رثائه له : « رحمك الله يا بني فقد كنت براً بأبيك وما زلت منذ وهبك الله لي بك مسروراً ، ولا والله ما كنت قط مسروراً بك ولا ارجى لحظي من الله فيك منذ وضعتك في الموضع الذي صيرك الله اليه . فغفر الله لك ذنبك وجازاك بأحسن عملك وتجاوز عن سيئاتك ، ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب ، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره فالحمد لله رب العالمين ، البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٢ ، راجع س ٢٦٤ فما بعدها من سيرة عمر بن عبد العزيز ) . واخذ الناس بعد تشييع جنازته يعزونه ويرجون له الصبر والسلوان .

وكأنت النساء ذوات المصائب تنزاحم في الجنائز لتوديع راحلهن العزيز . فقال الاصفهاني في كتاب الاغاني : ( انه غلب النساء على جنازة كشير عزة الشاعر يبكيه ويذكرن عزة في ندبتهن له في المدينة حتى جعلنا ندفع عن جنازته النساء ج ٨ ص ٤١ ) . وكن يقمن المناحات ويضربن صدرهن بالتمعال

حزناً على فقيدهن . ( البيان والتبيين ج ٣ ص ٥٨ )

وقال المقدسي ان الناس كانوا يمشون خلف الجنائز ويخرجون الى المقابر  
خلتم القرآن ثلاثة ايام اذا مات ميت . ( ص ١٨٣ ) ولا تزال هذه العادة  
شائعة في بيروت موطني .

**اعيادهم** : وكان الامويون يقيمون الافراح والليالي اللامع في عيدي  
القطر والاضحى وعيد المولد النبوي . وتعارفوا اعياد النصارى وقدروا بها  
الفصول فقالوا ان الفصح وقت النيردز ، والعنصرة وقت الجر ، والميلاد وقت  
البرد ، وعيد بريرة وقت الامطار ، وعيد الصليب وقت قطاف العنب . ومن  
امثال الناس في ذلك : ( اذا جاء عيد بريرة فليخذ البناء زمارة يعني فليجلس  
في البيت ) ، ( واذا جاء القلندس فتدفي و احتبس ) ، « المقدسي من ١٨٢-١٨٣ »  
**شهورهم** : اما الشهور المعروفة بينهم فكانت ازومية وهي كانون الثاني ،  
شباط الى آخر شهور السنة . واستعملت الحكومة الحساب الهجري الاسلامي .  
**ما كلهم المميون** : ومن ما كلهم الخبوبة التي تراها في الاسواق خصوصاً  
في الشام فهي اولا القول المنبوت بالزيت والمصروق وهو يباع مع الزيتون .  
ثانياً : الترمس المملح ويكسثرون من اكله . ثالثاً الزلابية وتصنع من العجين



وهي غير مشبكة . رابعاً الناظف ويصنع من الخرنوب ويسمونه القبيط .  
**صرفهم:** ولو زرت اسواق الامويين في الشام لوجدت ان اكثر الصباغين  
والصيافة والديباغين من اليهود ، واكثر الاطباء والسكتبة من النصارى ،  
ومعظم الموظفين وارباب المناصب واصحاب الاملاك والمزارعين ورجل  
الحرب من المسلمين .



# الفصل التاسع

## الادب الاموي

(١) الامويون يربطون الشعراء ويتقربون منهم ، الشعراء

في العصر الاموي ، جرير ، الاقطر ، الفرزدق ، نصيب الاسود ،  
كثيرة عزة ،

(٢) ارباب الفن من المغنين والمغنيات ، العرب تحب الغناء وشهواه ،

انواع الغناء ، معاوية الاول يسمع حكمة الشعر مع حكمة الاطباء ، سواد :  
القس ، طويس المغني .

(٣) مجالس السمر والانس التي عقدها الخلفاء الامويون ، ابلي

الافطية عند معاوية الاول ' ابلي نفسه معاوية شعر نونية الخفاصي بربا ،

عزة عسبة كثير تحضر مجالس عبد الملك كثير يقرم على عبد الملك

ايضا ، الشعراء يجتمعون بباب القواد والوفوة الامويين . الخلم بن

عبدل الودى عند الخجاج .

إذا اردنا ان تكون لنا صورة حية تمثل الادب ومناحيه في العصر الاموي قلندرسه اولاً في حياة الشعراء الذين كانت لهم صلة قوية وعلاقات متينة في مجاري السياسة الأموية ، وبلاط الخلفاء ، وقصور ولانهم وامرأهم في الاقطار العربية المختلفة . ثانياً في حياة ارباب الفن من المغنين والمغنيات ، اولئك الذين كانت لهم اليد الطولى في احياء فنى الغناء والموسيقى . ثالثاً في مجالس السمر والانس التي كان يعقدها الخلفاء . وارباب النفوذ من رجال الدولة من وقت لآخر . انا لوتبعنا هذه المصادر الثلاث لرأينا ان الادب اخذ نوعاً ما يتخلص من جاهليته فلم يعد ليدسرف في وصف حياة البداوة بل جعل يتطرق الى وصف المدنية البيزنطية الجديدة التي جعل الأمويون يمجدون في اقتباس اسبابها .

( ١ ) الشعراء والامويون : علم الامويون حق العلم انه لا بد لهم من جماعات يثون ، عوتهم ويثبتون اقدمهم في نزاعهم المشهور مع الاحزاب المعارضة لهم كالعلويين واز بيريين والخوارج وغيرهم . فاعتمدوا في ذلك على بعض الشعراء المعروفين كجرير والاختل . والفرزدق . وجعلوا يتقربون من خصومهم الادباء فوصلوهم بالجوائز واعقدوا عليهم النعم ليقطعوا السنهم ويضموهم الى صفوفهم . فيسبحون بحمدهم ويتقنون بكرمهم بدلا من ان ينشروا عيوبهم وفضائحهم في طول البلاد وعرضها .

لودرست شعر جرير والقرزوق والاخلط وغيرهم من شعراء العصر  
الاموي لوضحت لديك حقيقة جلية وهي ان معظم منظوماتهم قيلت اما  
في الفخر واما في المدح والهجاء واما في النسيب . وقد برز جرير في كل  
من هذه الابواب . وكان هواه في آل الزبير ، فاستقدمه الحجاج واكرم  
وفادته واستماله باحسانه فمدحه بقصائد عدة . ثم وفد جرير الى عبد الملك  
فأنشده القصيدة المشهورة في مدح بني امية . قل منها :

أَلَسَّمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ  
ويروى ان عبد الملك اثابه عليها مائة وثمانية من الرعاء، (طبقات الشعراء  
ص ١٠٠ - ١٠١) . ويمتاز شعر جرير بسهولة الفاظه . وكان اقلهم  
تكلفاً وارقهم نسيباً . (الاغاني ج ٧ ص ٣٦)

وهجا القرزوق نحواً من اربعين سنة . ولم يتهاج شاعران في الجاهلية ولا  
الاسلام بمثل ما تهاجيا به واذا احببت ان تتعرف الى شىء من هذا الهجاء  
فعليك بقرأة اشعارهما في ديوانهما وكتب العرب الادبية المشحونة بأخبارهما  
كلاغاني وطبقات الشعراء والشعر وغيرها . ولم يتعرض له احد  
في هجو - ونستثنى القرزوق والاخلط - الا افتضح امامه وسقط .



قل الاصمعي : • كان ينهشه ثلاثة واربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً • ( الاغانى ج ٧ ص ٣٧ ) ، وقد غاش نيقا على ثمانين سنة • ويكنى بابي حزره •

وروى الناس الابيات المقلدة للشعراء الامويين . والمقلد هو البيت المستغني بنفسه المشهور الذي يضرب به المثل . وهالك بعض الابيات المقلدة التي قالها جرير :

- ٠١ زعم الفرزدق ان سيقتل مربعاً      أبشر بطول سلامة يا مربع
  - ٠٢ واني لعف الفقير مشترك الغنى      سريع اذا لم أرض دارى انتقاليه
  - ٠٣ يحالفهم فقر قديم وذلة      وبئس اخليطان المذلة والقمر
  - ٠٤ دعون الهوى ثم ارمين قلوبنا      بأنسهم اعداء وهن صديق
  - ٠٥ او اتس انا من اردن عناءه      فغان ومن اطلقن فهو طلب
  - ٠٦ ان الذين غدوا بلبال غادروا      وشلا بعينتك ما يزال مغيثنا
  - ٠٧ غيظن من عبراتهم وقلن لي      ماذا لقيت من الهوى والقيثا
  - ٠٨ تريدن أن ارضى- وانت بجيلة      ومن ذا الذي يرضي الاخلاء بالبخل
  - ٠٩ بنفسى من تجنبه عزيز      طي ومن زيارته لمام
  - ومن أمسى واصبح لا اراه      وبطرفني اذا هجع النيام
- ( طبقات الشعراء ص ٩٧ - ١٠٠ )

وله في الهجاء :

فغض الطرف انك من نمير  
فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وقل في الفخر :

اذا غضبت عليك بنو تميم  
حسبت الناس كلهم غضابا

وقال في النسب :

ان العيون التي في طرفها حورٌ  
قتلنا ثم لم يحيين قتلانا

اما الاخطل فكان شاعر الامويين . وقد اختصهم بمدحه فرفع ذكركم

بقصائده الخالدة ، ووصف كرمهم وحلهم وشفوهم ، وذم اعداءهم السياسيين

فهجاهم هجاء مريباً . فتألم بعض الانصار منه وشكوه الى معاوية الاول فدافع

عنه يزيد بن معاوية دفاعاً قوياً فلم ينله اذى . والحقيقة ان الاخطل لم يجزأ

على الانصار الا بعد ان وعده يزيد بالنصرة والحماية .

وكان الاخطل مسيحياً تغليياً من اهل الحيرة ، واسمه غياث بن غوث

ويكنى ابا مالك . واشتهر بمحبته للخمرة . وكان لا يجيد النظم الا اذا شربها .

وتساهل الخلقاء معه فأذنوا له ان يحضر مجالسهم وهو سكران وعلى صدره

صليب من ذهب . قال ابو الفرج الاصبهاني : « كان الاخطل يجي ، وعليه جبة خز ، وحرز خز ، في عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهيب ، تنفض لحينه حمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير اذن . الاغاني ج ٧ ص ١٦٩ »

وقد اكد لنا ابو الفرج ايضاً انه بلغ من تساهل الامويين معه واعجابهم به انهم اذنوا له ان يشرب الخمر في البلاط فقال : « دخل الاخطل على عبد الملك بن مروان فاستنشه فقال قد يبس حلقي فمر من يسقيني ، فقال اسقوه ماء ، فقال شراب الحمار وهو عندنا كثير ، قال فاسقوه لبناً ، قال عن اللبن فطمت ، قال فاسقوه عسلاً ، قال شراب المريض . قال فتر يدماذا ، قال خمر يا امير المؤمنين قال او عهدتني اسقي الخمر لا ام لك ، لولا حرمتك بنا لعملت بك و فعلت ، فخرج فلقي فراشاً لعبد الملك فقال وياك ان امير المؤمنين استنشدني وقد صحل صوتي ، فاسقني شربة خمر فقال اعدله بأخر فسقاه آخر ... اسقني ثالثاً فسقاه ثالثاً ...

فدخل على عبد الملك فانشده ، ثم التى عليه من الخلع ما يغمره ، واحسن جائزته ، وقال ان لسكل قوم شاعراً ، وان شاعر بني امية الاخطل ، الاغاني

ج ٧ ص ١٦٩

وكاز الاخطل مع ادمانه للخمر متعصباً لدينه يخاف جماعة الاكليروس ويرهب قصاصهم . وطالما انزلوا به عقوبتهم لتشبيبه وغزله بالجميلات من بنات

العائلات رباب الخـ دور ، و لهجوه بعض المتنفذين ممن يكرهه او يضمر لهم  
 العدا . قال اسحاق بن عبد الله : « خرجت الي دمشق انظر الي بنائها فاذا  
 كنيسة واذا الاخلل في ناحيتها . . . فقال . . . ان لك موضعاً وشرفاً ، وان  
 الاسقف قد حبسني فانا احب ان تأتية تسكاه في اطلاقي . . . قلت نعم ،  
 فذهبت الي الاسقف وانتسبت اليه ، فكلمته وطلبت اليه في تخليته فقال  
 مهلاً اعينك بالله ان تسكاه في مثل هذا فان لك موضعاً وشرفاً ، وهذا ظالم  
 يشتم اعراض الناس ويهجوهم ، فم ازل به حتى قام معي فدخل الكنيسة فجعل  
 يوعده ويرفع عليه العصا والاخلل يتضرع اليه وهو يقول له اعود اذ ودية ، و  
 لا . . . فقلت له يا ابا مالك ، تهابك اللوك وتكرمك الخلفاء ، وذكرك  
 في الناس عظيم أمره قال : انه الدين انه الدين ، طبقات الشعراء ص ١١٤ ،  
 وروي ابو العرج بأسناده : « رأيت الاخلل بالجزيرة ، وقد شكى الي القس  
 وقد أخذ بلحيته ، وضر به بعصاه ، وهو يصي كما يصي القرخ ، فقلت له ابن  
 هذا مما كنت فيه بالكوفة . فقال يا ابن اخي اذا جاء الدين ذلانا ، الاغاني  
 ج ٧ ص ١٧١ »

اما اشهر القصائد التي قالها في مدح بني امية فاهمها ما انشده في حضرة  
 عبد الملك بن مروان : قال من قصيدة امائه :



حشده على الحق عيافو الخنا أنف . إذا ألت بهم مكروهة صبروا

شمس العداوة حتى يستقاد لهم . واعظم الناس اجلاماً اذا قبروا

بني أمية فعلاكم مجللة . تمت فلامنة فيها ولا ككند

وقال يمدح يزيد الاول :

وترى عليه اذا العيون شترت نه . سيما الخليم وهية الجبار

والطف ماقرأت من ابياته المقلدة قوله :

وإذا افتقرت الى الذخائر لم تجد . ذخراً يكون كصالح الاعمال

واستبال الامويون القرزديق ، وكان يهوى هوى العلويين . وهو شاعر

تميم ، وقد ولد في البصرة في اواخر خلافة عمر بن الخطاب . واستعان الناس

به على هجاء اعدائهم ، فأمر زياد بن ابيه بالقاء القبض عليه ، فهرب الى المدينة

والتجأ الى سعيد بن العاص حاكمها على عهد معاوية الاول فأجاره وأمنه . ويقول

المؤرخون انه رعى الغنم وهو صغير ، ثم انغمس في شهواته وتهتك وهو كبير

حتى ان زوجته النوار بنت اعين طلبت طلاقه ونازعتة مراراً . اما شعره فقد

امتاز بفخامته ، وجزالته ولم يكن القرزديق سمح الكلام سهل الغزل . وهو اكثر

الشعراء الامويين بيتاً مقلداً فمن ذلك قوله -

١ وكنا اذا الجبار صعر خده . ضر بناه حتى تستقيم الاخادع

- ٢ 'ترجى ربيع ان تجي صغارها بخير وقد أعيار ببعاً كبارها  
 ٣ وانك اذ تسعي لتندرك دارها لأنت المعنى يا جرير المسكاف  
 ٤ ترى كل مظلوم الينا فراره ويهرب منا جهده كل ظالم  
 ٥ ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا وان نحن اوأمانا الى الناس وقفوا  
 (طبقات الشعراء ص ٨٤)

وقال يمدح سليمان بقوله :

- وكم اطلقت كفالك من قيد بائس ومن عقدة ما كان يرجي انحلالها  
 وقال قصيدته المشهورة في مدح علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب :  
 هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم  
 هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم  
 إذا رأته فريش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهي الكرم  
 يفضي حياءً ويفضي من مهابته فسا يكلم الا حين يبسم  
 من معشر حبههم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم  
 ان 'عد أهل التقي كانوا أئمتهم أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم  
 ومقدم بعد ذكر الله ذكركم في كل بدء ومختوم به السكلم  
 من يعرف الله يعرف أولوية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأمم

وقام نصيب الشاعر الاسود بمدح بني امية خصوصاً عبدالعزيز بن مروان والخليفة هشام بن عبد الملك . وكان مقدماً في النسيب والمدح . غير انه لم يكن له حظ في الهجاء ، ( الاغاني ج ١ ص ١٢٥ ) . روى نصيب تاريخ حياته فقال : ( قلت الشعر وأنا شاب فأعجبني قولي فجعلت آتي مشيخة من بني ضمرة ، ومشيخة من خزاعة ، فأنشدهم القصيدة من شعري ثم أنسبها الى بعض شعرائهم الماضين فيقولون أحسن والله هكذا يكون الكلام ، وهكذا يكون الشعر ، فلما سمعت ذلك منهم علمت اني محسن فأزعموا وأزمت انخر ورج الى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذ بمصر . . . . . فقدمت مصر وبها عبد العزيز فحضرت بابه مع الناس ، فتنحيت عن مجلس الوجوه ، ثم دعي بي فدخلت على عبدالعزيز فسلمت فصعد بي بصره وصوب . ثم قال انت شاعر ويالك ، قلت نعم ايها الامير ، فأنشدته فأعجبه شعري ، ( الاغاني ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٨ ) .

وقد احبه عبد العزيز فابتاعه ثم اعتقه ، وأجاد نصيب الرثاء حتى ان هشام بن عبد الملك كان اذا قدم عليه اخلى له مجلسه واستنشدته مراني في بني امية فاذا أنشده بكى وبكى معه ، ويذكر ابو القرج انه اذا سدت على نصيب ابواب الشعر ، ولم تنجده قريحته أمر برحلة فشد بها رحله ثم سار في الشعاب

الخالية فطرب لذلك وفتح له ، ( الاغاني ج ١ ص ١٤١ ) .

وأجل ما يروي لنصيب من الشعر وصفه لحياة العاشقين قال :

وهت لها ككينا تمر لعلي اخالسها التسليم ان لم تسلم  
ولم رأيتي والوشاة تحدرت مدامها خوفاً ولم تتكلم  
مساكين أهل العشق ما كنت اشترى جميع حياة العاشقين بدرهم  
وقال يمدح هشام بن عبد الملك :

إذا استبق الناس الغلابية يمينك عفواً ثم صلت شمالها  
وكان من اشد الشعراء تعصباً لبيت العلوي كثير غزوة ، وقد غالى في  
التشيع وذهب مذهب السكيسانية وقال بالرجعة والتناسخ ، وصرح بمنه  
هذا على رؤوس الاشهاد ، وجادل فيه خصومه ، ومع ذلك فلم يضطهده  
الأمويون بل عاملوه بالحنس واحترموه وأجلوه حتى لا ينالهم أذاه ، ويقول الرواة انه  
كان ذميم الخلقة ، قصير القامة ، معجباً بنفسه فيه خطل ، ذكر ذلك ابو  
الفرج الاصفهاني فقال : ( رأيت كثير يطوف بالبيت فمن حدثك انه يزيد  
على ثلاثة اشبار فكذب ، وكان اذا دخل على عبدالعزيز بن مروان يقول  
طأطني رأسيك لا يصبه السقف ، وهو ذميم ، الاغاني ج ٨ ص ٢٥ - ٣٢ )  
واخرج عبد الملك شعر كثير الى مؤدب ولده ليرويهم اياه ، يدلنا هذا



على إعجاب عبد الملك بشاعريته وإن اختلف معه في المبادئ السياسية .  
 وعرف كثير بجبه لعزة الضمرية وهي ابنة حميد بن وقاص . وقد نسب  
 إليه كثير من الشعر بهذا المعنى . ونحن لانعلم من متحله من صحيحه غير اننا  
 نترك ذلك لاهل الاختصاص في الآداب العربية . وكانت عزة فتاة جميلة  
 . رآها مرة تسير مع بعض النسوة فأحبها وأحبته ، وهواها وهوته ،  
 ففاضت قريحته بأرق الشعر في وصفها والتحنان اليها . وقد روى ابو الفرج  
 كيفية حب كثير لعزة فقال : « وكان اول عشق كثير عزة ان كثيراً  
 مر بنسوة من بني ضمرة ومعه جلب غنم فارسلن اليه عزة وهي صغيرة فقالت  
 يقلن لك النسوة بعنا كبشاً من هذا الغنم وانسئنا بئنه الى ان ترجع فاعطاها كبشاً  
 واعببته ، فلما رجع جاءت امرأته منهن بدراهمه . فقال وابن الصبية التي اخذت  
 مني الكبش ، قالت وما تصنع بها هذه دراهمك ، قال لا آخذ دراهمي الا بمن  
 دفعت الكبش اليها وخرج وهو يقول :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطولٌ مُعنى غريمها  
 « . . . ويقال انها دلته على الماء حينما اراد ان يسقي غنمه . . . ثم أحبته

عزة بعد ذلك اشد من حبه اياها . الاغاني ج ٨ ص ٣٤ - ٣٥ »

ووصفت احدى النساء المعاصرات جلال عزة فقالت : « اجتمعت جماعة

من نساء الحاضر انا فيهن ، فحسنا عزة ، فرأينا امرأة حلوة حبراء نظيفة . . .  
ومعها نسوة كاهن لها عليهن فضل من الجمال والخلق ، الى ان تحدثت ساعة  
فاذا هي اربع النسوة ، واحلاهن حديثاً ، فما فارقناها الا ولها علينا الفضل في  
اعيننا ، وما نرى في الدنيا امرأة تروقها جمالا وحسناً وحلاوة . الاغاني ج ٨  
ص ٣٧ «

ولما مات كثير في المدينة بكاه الناس ، وندبته النساء ندباً شديداً .  
واليك ارق شعر كثير في عزة :  
فقلت لها يا عز كل مصيبة اذا وُطنت يوماً لها النفس ذات  
ولم يلق انسان من الحب ميعة نعم ولا غماء الاتجت  
كأني انا دى صخرة حين اعرضت من الصم لو تمشي بها العُصم زلت  
صفوحاً فما تلتفك الا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت  
واكثير فيها :

وقد زعمت اني تغيرت بعدها ومن ذا الذي يا عز لا يتغير  
تغير جسمي والخلقة كالتى عهدت ولم يخبر بسرك مخبر  
( البيان والتبيين ج ٢ ص ١٠٩ )

( ٢ ) ارباب الفن من المغنين والمغنيات :

أحب العرب منذ القدم سماع الانغام الشجية التي تهز النفوس وتحرك  
 المشاعر وتوأمي القلوب الجريحة ، ولعلوا ولعاً خاصاً بالأغاني المطربة التي تلهو بها  
 الارواح وترتاح لها الافئدة . نستشهد على ذلك بما رواه صاحب « محاضرات  
 الادباء ومحاورات الشعراء » فقال باسناده انه سئل بعضهم عن اجود الغناء  
 فأجاب : « ما اطربك والهالك أو احزنك واشجاك » . من ٢٣٥ . وقال ابن عبد  
 ربه : « صناعة الغناء ، مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى  
 ومسلاة السكيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحين من  
 القلب وأخذة بمجامع النفس . العقد القرئيدج ٤ ص ٨٨ » وتود العرب  
 ان يصغي الحضور الى المغنين اذا بدأوا بالغناء . وانه لمن سوء الادب عندهم  
 ان يتكلم المرء بينا المغنون ينشدون . قال الشاعر :

لو كان لي أمرٌ قضيت قضية ان الحديث مع الغناء حرامٌ

اما الغناء عند العرب فكان على ثلاثة اوجه ، النصب ، والسناد ، والمزج .  
 فاما النصب فغناء الركبان والقيينات ، واما السناد فالثقل والترجيع الكثير  
 النغمات . واما المزج فالتخفيف كله ، وهو الذي يثير القلوب ويهيج الحليم .  
 وكانت هذه الالوجه من الغناء ظاهرة فاشية في المدينة والطائف وخيبر ووادي  
 القرى ودومة الجندل واليمامة . وذلك لانها مجامع اسواق العرب ( العقد القرئيد  
 ج ٤ ص ١٠٤ )

لم يشجع الاسلام القنون عموماً في اول عهده لتغلب النزعة الدينية على الخلقاء الراشدين ولانهما كهم في تثبيت دعائم دولتهم ، وانشغالهم في التفتح ، ولعزلة الحجاز عن الشام وفارس نوعاً . فلما جاءت الدولة الاموية وقامت في دمشق اخذت تشجع الغناء والموسيقى . وقد عمد الخلقاء مجالس خاصة لسماع اشهر المغنين في عصرهم . وكانوا ينشدونهم الابيات موقعة على الالحان فيطربون . ذكر المؤرخون ان معاوية الاول كان يهوى سماع حكمة الشعر تصدر مع حكمة الالحان فرروا انه : « اعدَّ عبد الله بن جعفر طعاماً لمعاوية ودعاه الى منزله واحضر ابن صياد اللغني ، ثم تقدم اليه يقول اذا رأيت معاوية واضعاً يده في الطعام فحرك اوتارك وغن . فلما وضع معاوية يده في الطعام حرك ابن صياد اوتاره وغنى بشعر عدي بن زيد وكان معاوية يعجب به :

يا ليني اوقدى النارا	ان من تهوين قد حارا
رُب نارٍ بتُ ازمقها	تقضم الهندى والغارا
ولها ظليُّ يؤججها	عاقدٌ في الخصر زئارا

. . . فأعجب معاوية غناؤه حتى قبض يده عن الطعام وجعل يضرب

برجله الارض طرباً ، فقال عبدالله بن جعفر يا امير المؤمنين انما هو مختار الشعر يركب عليه مختار الالحان فهل ترى به بأساً . قال لا بأس بحكمة



الشعر مع حكمة الالحان . العقد الفريد ج ٤ ص ٩٨ ) . ويذكرون ان  
بديح المعنى غناه شعراً في فتاة كانت تتولى خضابه فقال :

أليسَ عندك شكرٌ لتي جعلت      ما ابيض من قدامات الشعر كالحمم  
وجدت منك ماقد كان اخلقه      صرف الزمان وطول الدهر والقدم  
فطرب معاوية طرباً شديداً وقال .. كل كريم طرب . العقد الفريد

ج ٤ ص ٩٩ »

اما اشهر المغنيات في العصر الاموي فكانت سلامة القس . وهي مولدة  
من مولدات المدينة . وقد اخذت اصول الغناء عن معبد وابن عائشة وجميلة  
فهرت ، واصبحت يشار اليها بالبنان . وسميت سلامة القس لأن عبد الرحمن  
بن ابي عمار الجشمي ، احد قراء المدينة شغف بها . وكان يلقب بالقس لتقاه  
وبورعه ، فغلب عليها لقبه . واشتراها يزيد الثاني بن عبد الملك حينما وفد الى  
المدينة في خلافة سليمان قتمن بها . والحقيقة ان اهل المدينة ودعوها وداعاً  
حافلا لما ارادت الرحيل الى البلاط الاموي في دمشق . قال ابو الفرج يصف  
هذا الوداع المؤثر : « قدمت رسول يزيد بن عبد الملك المدينة فاشترى سلامة  
المغنية من آل رمانة بعشرين الف دينار ، فلما خرجت من ملك اهلها طلبوا  
الى الرسل ان يتركوها عندهم اياماً ليجهزوها بما يشبهن من حلي وثياب وطيب . »

فقلت لهم الرسل هذا كاه معنا ٠٠٠ وشيعها الخلق من اهل المدينة ٠٠٠  
وأذن للناس عليها فاتقصوا حتى ملؤوا رجة القصر ٠٠٠ فوقت يديهم ومعها  
العود فغنتهم القصيدة التي مطلعها :

فارقوني وقد علمت يقيناً      ما لمن ذاق ميتة من اياب

فلم تزل تردد هذا الصوت حتى راحت ، وانتعب الناس بالبكاء عند  
ركوبها ، فما شئت ان ارى با كياً الا رأيتة . ( الاغاني ج ٨ ص ١٠ ) .

وإذا قلنا ان سلامة كانت نجمة متألقة في سماء الفن في الحجاز والشام  
فلا نكون مبالغين . ودليلنا على ذلك ان الشعب كان يحبها حباً جماً ويهوى  
سماع غنائها ، وكانت تمتاز ببجلها ورخامة صوتها وحسن شعرها .

وعرف طويس المعني مولى بني مخزوم بجودة غناؤه . و«طويس» لقب  
غلب عليه . واسمه عيسى بن عبد الله . وكان يجيد النقر على الدف ، عالماً  
بأحوال المدينة وانساب اهلها . والغريب من امره انه كان يهوى كيد سكان  
يثرب فطلب عثراتهم وفضائحهم لينشرها بين الناس فخافوه واكرموه .  
ويقال ان ولادة الامويين ودوا مجالسته والاستماع لانشاده وحديثه خصوصاً  
ابان بن عثمان حاكم المدينة على عهد عبد الملك بن مروان ، ووصفه ابو  
الفرج باسناده فقال : ( كان مفرطاً في طوله مضطرباً في خلته أحوالاً ، الاغاني  
ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٦ ) :

وقد توفي في خلافة الوليد الأزل .

( ٣ ) مجالس السمر عند الخلفاء والولاة : عقد الخلفاء الامويون مجالس ادبية خاصة لاهلهم واصدقائهم حضرها نخبة من فحول الشعراء والادباء ، وطائفة من الشواعر المجليات . وكانت هذه المجالس عارية عن الشراب والغناء تتجلى فيها روح الخلفاء ومداعباتهم وآرائهم في الادب واهله . حضرت ليلي الاخيلية مجلس معاوية الاول . وهي من النساء المتقدمات في الشعر وكان توبة الخلفاء يحبها ويهاها ويتغزل بها ، فسالها معاوية عن توبة فقال ويحك يا ليلي أ كما يقول الناس كان توبه قالت : ( يا امير المؤمنين ليس كما يقول الناس حقا ، والناس شجرة بغي يحسدون أهل النعم حيث كانت وعلى من كانت ، ولقد كان يا امير المؤمنين سبط البنان حديد اللسان شجا للقران ، كريم المحتر بدميها جميل المنظر . الاغاني ج ١٠ ص ٧٤ ) .

قال توبة في ليلي وكانت تحفظ ذلك وتنشده :

وهل تبكين ليلي اذا مات قبلها	وقام على قبري النساء النوائح
كألو اصاب الموت ليلي بكيتها	وجاد لها دمع من العين سافح
واغبط من ليلي بما لا أناله	بلى كل ماقرت به العين طامح
ولو ان ليلي الاخيلية سلمت	علي ودوني جندل وصفائح

سلمت تسليم البشاشة او زقا اليها صدى من جانب القبر صاخ  
وله فيها :

حامة بطن الواديين ترني سفاك من الغر الغواذي مطيرها  
أبيني لنا لا زال ريشك ناعما ولازلت في خضراء غص نصيرها  
وكنت اذا ما زرت ليلي تبرقت وقد راني منها الغداة سفورها  
وقد راني منها صدود رأيتہ واعراضها عن حاجتي وبورها  
وأشرف بالقور الفباع لعلمي ارى نار ليلي او يراني بصيرها  
يقول رجال لا يضيرك نأيا بلى كل ماشف النفوس يضيرها  
بلى قد يضير العين ان تكثر البكا ويمنع منها نومها وسورها  
وقد زعمت ليلي باني فاجر لنفسى تقاها او عليها فجورها  
وقال فيها :

عفا الله عنها هل ايتن ليلة من الدهر لا يسري الي خيالها  
كذلك دخلت عزة صاحبة كثير على عبد الملك بن مروان فأنشدته  
شعر كثير فيها . و- حضر كثير نفسه على عبد الملك بن مروان فقال عبد الملك  
« أأنت كثير عزة قال نعم قال « ان تسمع بلبعيدي خير من ان تراه » . فقال  
يا امير المؤمنين كل عند محله رحب القنا شامخ البناء عالي السناء وأنشده



القصيدة التي مضلمها .

ترى الزجل النحيف فتزدرية      وفي أتوابه أسدته هصور  
فقال عبد الملك لله دره ما افصح لسانه واضبط جنانه واطول عنانه  
( الامالي ج ١ ص ٤٨ - ٤٩ ) .

واجتمع الشعراء بباب الحجاج وغيره من القواد والولاة الامويين  
السكبار فانشدهم جيد الشعر . قال الحكم بن عبد الأسد بين يدي الحجاج :  
واني لأستغني فما ابطرُ الغنى وأعرضُ ميسوري لمن يبتغي عرضي  
اكف الاذى عن اسرتي واذوده على انني اجزي المقارض بالقرض  
وابدل معروفني وتصفو خليقتي اذا كدرت اخلاق كل فتى محض  
واقضي على قصي اذا الحق نابني وفي الناس من يقضى عليه ولا يقضي  
وامنحه مالي وودي ونصري وان كان محني الضلوع على بغضي  
ولست بندي وجهين فيمن عرفته ولا البخل فاعلم من سمائي ولا ارضي  
( الامالي للثعالبي ج ٢ ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ) ه . ١

# الفصل العاشر

## سقوط الدولة الاموية

الاضراب السياسية تجعل الدين ستاراً لمبارزها، مبدأ التقية،

النزاع بين الامويين واعدائهم . اسباب سقوط الدولة الاموية .

( ١ ) الفرس يحركون الاعاجم والشيعية ضد بني امية . الحركة

الزبيرية ، مبادؤها ، زيد بن علي بن الحسين ، نحو هذه الحركة ، الحركة

الجعفرية ، جعفر الطيار ، الحركة الاباضية . الاسلامية والصنعة الوثنية

الفارسية ، مبادئ الاباضيين ، الحركة العباسية ، الجمعيات السرية ، زعماء

العباسيين ، خراسان برطانه الثورة العباسية ، البرو باغذرة لتشر دعوتهم ،

ابو مسلم الخراساني ، الولد والراية ، سياسة فرس نعد .

( ٢ ) العصابة القبايلية شهس صرع المملكة الاموية ، العصابة بين

الاضرية والجمانية ، الكرمانى ونصر بن سيار . العرب فى الدير

الفارسية يتناولون ، مقتل ابراهيم الامام زعيم العباسيين ، بيعته السفاح

في السكوفة ، المراد نخلع طاعة الامويين ، هزيمة مروان بن محمد  
 في معركة الزاب . الثورة في سورية ، مقتل مروان الثاني في مصر ،  
 (٣) الدعوة الفارسية العباسية ضد بني امية . الدعوة نشيطة صخره ،  
 اعمال الصيف في الامويين ، الشعراء بحر ضوئه العباسيين على اعداءهم  
 بني امية ، نغمن العباسيين في تعذيب الامويين ، مائدة السفاح الرهيبه ،  
 مذبحة نهر ابي فطرس ،

(٤) تهتك الخلفاء الامويين واستنابهم ، الهما لهم واجبارهم  
 تجاه الامة ، يزيد الثاني ، يزيد الوالد المرمم ، هباب وسلامة عسيفتاه ،  
 الواويز الثاني ، اسراف الواويز في امتقار المبادى الاسلاميه ، استناباره  
 بالزنوقه ، شعره الجيد في الخمريات ، الواويز الملهي ، سعدة وسلمي ،  
 مجالس انس الواويز ، الواويز يفسر الجانيه عليه . يزيد الثالث يتقلب  
 عليه ، يزيد الثالث يعرف بانافص ، ابراهيم بين الواويز ، مروان الثاني  
 يتقلب على الفوضى .

اثبتنا في الفصول التي سبقت ما قاله الامويون في توطيد دعائم ملكهم  
 من انصار الاحزاب العلوية كالتوابين والخوارج ودعاة المختار ، تلك الاحزاب  
 التي قام يدير دفع سياستها زعماء غلبت عليهم المطامع الشخصية وتمكنت منهم  
 الروح الاستقلالية فسعوا لان يجعلوا من مأساة الحسين سلماً يرتقون عليه  
 الى المناصب السياسية . واطلما ودوا لان يكون لهم من الدين ستار يخفون  
 وراءه مذاهبهم الحقيقية . وقد فتك الامويون بهذه الاحزاب فتكا ذريعاً  
 وأعملوا في رجالها السيف وتبعوا آثارهم ليفنؤهم عن بكرة ابيهم ، فلم يتمكنوا  
 من ذلك لا تنصراً هوذا ، بمبدأ التقية . ويقول هذا المبدأ بجواز الاستخفا .  
 وكتمان ما تكنه الصدور من العقائد ان كان عليهم من حرج او بأس او ضرر .  
 ثم ظهر هذا النزاع بين الامويين والشيعة العلوية على اختلاف فرقها بمظهر  
 شديد رهيب في اواخر القرن الاول للهجرة . وقد كان المحرك الاعظم له  
 جماعات الاعاجم من القرس ، اولئك الذين حققوا على بني امية استمساكهم  
 بروح العصبية العربية ، واحتكارهم المراکز السياسية للنبلاء العرب ،  
 واحتقارهم للوالي والدخلاء على العربية . ولا غرابة في ان يكون هذا النزاع  
 خطيراً لان القرس رمو من ورائه استرجاع ما فتدوه من السطوة والسلطان



بعد زوال دولتهم وتقلص ظلهماء فساعدوا الشيع التي قامت تطلب الخلافة لآل البيت ونحوا بأموالهم وانقسم لهم لانهاضها وتقويتها وبث دعوتها سراً وعلناً . و نعتقدان هذا النزاع ظهر بمظاهر عدة : اولاً بمظهر الحركة الزيدية ، ثانياً بمظهر الحركة الجعفرية ، ثالثاً بمظهر الحركة الاباضية ، رابعاً بمظهر الحركة العباسية ، وسنين كلاً منها في حينه .

وحطم بنيان الدولة الاموية في الشام الدعوة المنظمة التي بثتها هذه الاحزاب ، والاموال الطائلة التي بذلها الرؤساء والجمعيات السرية وقد انتشر رجالها في كل صقع يدعون لآل البيت وينالون من بني امية ، الفتن الضالة المضلة القاسقة المغتصبة في عرفهم . ولم يتعاضد الامويون تجاه هذه الازمة الصعبة والضائقة والحيفة ، بل راحوا يثيرون روح العصبية بين اليمانية والمضرية ويستميلون تاره هؤلاء الى صفوفهم وطوراً اولئك . فهياًوا بذلك مجالا لان ينصب لهم اعداؤهم المكاييد . ففرقوا جموعهم وعصفت بهم ريح القوضى فزات اقدامهم وانترضت دولتهم .

ثم قام يدير زمام المعارضين للمركزية الاموية رجال اقوياء مخلصون كأبي مسلم الخراساني وبكبير بن ماهان وغيرها بينما كان الخلفاء المتأخرون من الامويين لاهين مستهترين لا يباشرون ادارة الامور بأنفسهم بل

يكونها لارباب اللهو وأهل المجون وقد اسرفوا في ذلك اسرافاً هائلاً .  
وتنازعوا على الخلافة فأخذوا يضربون بعضهم البعض ويشيرون التلاقل  
في مختلف البلاد فضعفت هيبتهم واعت بهم يد الفساد . واليك تفصيل  
هذه الاسباب .

**الحركة الزيدية :** قلنا ان الحركة الزيدية هي مظهر من مظاهر النزاع  
بين الفرس والعرب . وتدلنا مبادئها دلالة صريحة لاربية فيها ان الفرس  
عدوا الى اتخاذ زعماء آل البيت سائماً يرتقون عليه الى آمالهم وامانيهم . وتلخص  
مبادئ الزيديين فيما يلي :

(١) يسوق الزيديون الامامة في اولاد فاطمة بنت علي بن ابي طالب ،  
ولا يجوزون ثبوت امامة في غيرهم .

(٢) اذا خرج فاطمي عالم زاهد شجاع بالامامة ، اصبحت طاعته واجبة

سواء كان من اولاد الحسن او من اولاد الحسين .

(٣) يجوز خروج امامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون

كل واحد منهما واجب الطاعة . ( الشهرستاني ص ٢٠٧ - ٢٠٩ ) .

اما زعيم هذه الحركة فهو زيد بن علي بن الحسين . وكان شاباً طموحاً

يعتمد كل الاعتقاد ان الخلافة حق من حقوق آل البيت اختلسها بنو أمية

واستأثروا بها وجعلوها وسيلة لاشباع مطامعهم الدنيوية . وردد مثل هذه الافكار في مجالسه الخصوصية والعمومية ، فانتبه زعماء القرس لمقاتلته وارانته فأغاروها اذناً صاغية، وفرقوا الاموال في الكوفة النائرة الغاضبة لناصرته وتأييده . فجاهد زعماءها واكدوا له اخلاصهم لآل البيت وثمانيتهم في محبة ابناء الرسول واستعدادهم للقتل في بني امية وطردهم من العراق . وقد حفظ لنا التاريخ وثيقة تثبت بعض اقوالهم، وهي لا تختلف عن الاقوال التي راحوا يؤكدها للحسين قبل الفاجعة التي نزلت به . وهاكها : « ... معك مائة الف سيف نضرب بها دونك ، وليس عندنا من بني امية الا ثغر قليل ، ولو ان قبيلة واحدة منا صمدت لهم لكفتهم بأذن الله . . نحن نبذل اقسنا دونك ، ونعطيك من الايمان والعهود والمواثيق ما تثق به ، فانا نرجو ان تسكون المنصور ، وان يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو امية . الفخري ص ١١٩ - ١٢٠ »

ولو تأملنا في مبادي الزيدية لتحققنا ان القرس سعوا لان يكون زعماء هذه الحركة جماعة من آل البيت نظراً للمكانة الرفيعة التي لهم في قلوب المسلمين . وكلنا يعلم ان المسلمين عموماً يحبون آل البيت المطهرين ويعترفون لهم بالأفضلية والمقام الرفيع . وقد تمكن القرس بهذه الوسيلة من ان يجعلوا الخلل يتسرب الى نفوس الامة ، لاسيما وان الاموال كانت دوماً تدعم دعوتهم واهل نصرتهم .

وكان زعماء آل البيت ضعافاً فظلوا تحت تأثير المورفين الفارسي والافكار الفارسية. ولذلك لم تسكن لهم الكرامة العليا في تدبير الامور وترتيب الخطط وتنظيم الأسباب في الحركات التي قاموا بها .

واعتقد ان زيدا زعيم هذه الحركة لم ينجح لامرين الأول لانه لم يكن من اولئك الزعماء الضعفاء الذين وصفناهم، فلم يستسلم للفرس سياسياً ولم يرم بنفسه في احضانهم بل سعى سعياً متواصلاً لأن يكون زعيماً حقاً يتمتع بكل تقوذه وسلطان، وهذا يتنافى الخطة التي درج عليها الفرس فدعوا جاعته للتخلي عنه في احوال الاوقات واشدها خطراً . ولما كانت الشيعة تكره الشيخين ابا بكر وعمر وكان زيد لا يحض على بعضهما لقربهما من الرسول وبلاتهما الحسن في الاسلام اخذ الفرس يبذلون جهدهم للتخلص منه ولا انتخاب زعيم يصلح صلاحاً تاماً لخدمة مآربهم، فجادلوه فيهما واحبوا استطلاع رأيه ونشره كما يتفرق عنه الشيعة فصرح مرة انه تجوز امامة المفضل مع قيام الافضل وسأله التفصيل فاجاب : ( كان علي بن ابي طالب افضل الصحابة الا ان الخلافة فوضت الى ابي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من آسكن ثائرة الفتنة وتطيب قلوب العامة، فان عهد الحروب التي جرت في ايام النبوة كان قريباً وسيف امير المؤمنين علي عليه السلام عن دماء المشركين من قریش لم يجف



بعد ، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي ، فما كانت القلوب تميل  
 إليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الاقياد ، وكانت المصلحة ان يكون القيام  
 بهذا الشأن من عرفوه بالدين والتودد والتقدم بالسن والسبق في الاسلام والقرب  
 من رسول الله . الا ترى انه لما اراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الامر عمر  
 بن الخطاب زعق الناس وقالوا لقد وليت علينا فظاً غليظاً فما كانوا يرضون  
 بأمر المؤمنين ، ولشدة وصلابة وغلظ له في الدين وفضافة على الاعداء حتى  
 سكنهم ابو بكر . وكذلك يجوز ان يكون المفضول اماماً والافضل قائم فيرجع  
 اليه في الاحكام ويحكم بحكمه في القضايا . الشهرستاني ج ١ ص ٢٠٩ . هذا  
 مادعا الشيعة ومنهم قوام حز به المعروفين بالزيدية - نسبة له - لان رفضوه .  
 اما الامر الثاني فهو قيام هذه الحركة في غير اوانها ، فكانت دولة بني  
 امية ايام هشام بن عبد الملك قوية الشأن عظيمة السلطان منظمة الجيوش سرية  
 البطش والعقاب . فجهز اليه حاكم العراق الاموي يوسف بن عمر التميمي جيشاً  
 قوياً واحتياط لنزله ، فالتقى به بكناسة الكوفة . وكان جيش زيد يتألف من  
 اربعة عشر الف مقاتل على وجه التقريب ، فسرت دعوة القرس هذه ، فتخلت  
 عنه الشيعة في الساعة الاخيرة كما تخلوا عن حده الحسين وهو في اشد الحاجة  
 اليهم . فهزم بعد ان ثبت ثباتاً يدعو الى الاعجاب ثم قتل . وامر به يوسف

ابن عمر فصلب واحرق وذري رماده في القرات. الفخري ص ١١٩ - ١٢٠  
مختصر الدول ص ٢٠٠ ، التنبيه والاشراف ص ٧٢٣ .

الحركة الجعفرية : كثر عدد المرشحين للخلافة حينما اضطرب جبل بني امية ، وكان الفرس يساعدون هؤلاء المرشحين في كل مكان ليقف الامويون تجاههم موقف الحائر المرتبك الذي لا يعرف كيف يتخلص من ضائقته اذا نزلت به واستحكمت حلقاتها . ومن المهم ان تقرر ان هؤلاء الفرس متى قضوا لبائتهم من الرجال الذين يخدمون اراءهم ومصالحهم رموهم جانباً واقتبذوهم قسياً . ولو أجلت نظرك في الديار العراقية مركز الدعوة الفارسية وحصنها الحصين في اواخر القرن الاول و بدء القرن الثاني للهجرة لرأيت الفرس يمدون ابناء الرسول من جهة ويعينون ابناء العباس من جهة اخرى . وبعبارة اتم كانوا يشجعون العباسيين والعلويين على طلب الخلافة واشعال نيران الثورة . انهم لم يكتفوا بذلك بل بذلوا الاموال الطائلة في انهاء قوى الاباضية الخوارج وغيرهم حتى تئن البلاد من ثقل الحكم الاموي وتشعر بوطأته الشديدة . والغريب انهم كانوا يمتنون جميع المرشحين بالخلافة ، وهم عن كسب يراقبون سير هذه الحركات وتدرجها وتموها ليشدوا ازر القوة منها .

وكان من الذين يتطلعون الى الاستيلاء على عرش الخلافة شابٌ يدعى

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب « الطيار » . وعرف  
 بفضلته واشتهر بتفاهه وشجاعته ، فبث الفرس دعوته في الكوفة — والكوفة  
 كما علمنا سوق الدعوات ومركز الموآمرات — بعد مقتل زيد ، وذلك في  
 عهد مروان بن محمد ، فالتف حوله فئة كبيرة منهم فنازلهم الامويون واجبروهم  
 على الانسحاب الى المدائن . ثم عبروا دجلة وتوجهوا الى بلاد العجم ، فغلبوا  
 على همدان واصفهان وجوارها . ولما قويت الدعوة العباسية في فارس قاومت  
 انصار عبد الله وقتلت زعيمهم ففضي على مرشحي آل البيت للمرة الثانية .  
 « القفري ص ١٢٣ — ١٢٤ »

«مركبة الاباضية»: لم يكن النزاع بين الفرس والعرب نزاعاً سياسياً فحسب،  
 بل كان نزاعاً دينياً ايضاً ، فأراد الفرس ان يصبغوا الاسلامية بصبغة وثنية ،  
 ويلونوها بلون جديد ويبعثوا بهاروحا جديدة توافق رغائبهم . ودعم الفرس  
 مباديهم بالقوة فقالت فئة منهم وكانت من دعاة العباسيين بوجوب الترخيص  
 للمسلمين في نساء بعضهم البعض ، وهذه هي الاباحية الاولى التي لا تحترم سنن  
 الزواج الثابتة ولا تقرها . وهي التي تقاها الاسلام بنصوصه الصريحة في القرآن  
 والحديث وتعرف تلك المبادي بالمبادي الخرمية . ( الطبري ص ١٧٢ )  
 ص ( ١٥٩ ) . اما الاباضية فهم فرقة من الخوارج ثارت في ايام مروان بن

محمد بمكة واليمن وكان زعيمها عبد الله بن اباض . وتقول مبادؤهم بوجوب قتال الخليفة الاموي لأنه خليفة باغ مسيطر على الاسلام بغير حق . ولهم آراء دينية تختلف عن آراء أهل السنة وهي متأثرة من التعاليم والافكار الفارسية واليك أهمها :

- (١) المخالفون من أهل القبلة كفار غير مشركين .
  - (٢) مناحة أهل القبلة جائزة وموارثهم حلال .
  - (٣) غنينة اموال أهل القبلة من السلاح والكراع عند الحرب حلال وما سواه حرام .
  - (٤) حرام قتل أهل القبلة وسبيهم في السرغيلة إلا بعد نصب القتال واقامة الحججة .
  - (٥) دار مخالفيهم من أهل الاسلام دار توحيد الا معسكر السلطان فانه دار بغي .
  - (٦) مرتكبو الكبائر موحدون لا مؤمنون . ( الشهرستاني ج ١ ص ١٨١ - ١٨٢ وابن حزم ج ٤ ص ١٩٨ ) .
- فقرى انهم يتساهلون في امور الدين ، وهذا بعض ما تطلب القرص وقاتلوا من اجله ، ولذلك ساد التساهل في الدولة العباسية يوم استولوا زمام



امورها وانتشر في بغداد اكثر من انتشاره في دمشق وقرطبة . وهو نتيجة لما قدمناه . ثم هم يشيرون بالحرب واعتبار معسكر السلطان دار بني ليضربوا الخلافة الاموية من اسسها . فتوقفوا في تحطيم العرش الاموي مع غيرهم ولكنهم لم يوقفوا في الاستيلاء على عرش الخلافة .

**الحركة العباسية :** تحركت الدعوة العباسية تدعمها سيوف الفرس وترعاها اموالهم وبينها رجالهم ، وكانت كغيرها من الحركات التي وصفناها لاهم لها الا القضاء على النفوذ الاموي وتقل الخلافة الى آل البيت . ومن المهم ان نؤكد هنا ان الناس الذين قاموا يؤيدونها لم يفكروا البتة انهم ينصرون آل العباس ، وان آل العباس سيضاهدون العلويين ويضربونهم في الصميم ويلاحقونهم في كل صقع كما فعل الامويون بهم من قبل . بل اعتقدوا اعتقاداً راسخاً انهم يدافعون عن حق مغضوب لابناء النبي وان لا بد من ارجاع هذا الحق الى اصحابه . ولا يكون ذلك الا بقتال الامويين ومنلوأتهم وكفاحهم .

قام الفرس ينشون الدعوة ضد بني أمية وينالون منهم ويشيرون احقاد الناس وضغائنهم في كل مكان . فوجدت دعوتهم ارضا خصبة وجواً صالحاً في ادعة الشيعة . وكان بدء هذه الحركة منذ ان سلم الحسن بن علي زمام الخلافة الى معاوية بن ابي سفيان . فاخذوا يؤسسون الجمعيات السرية والاحزاب

القوية في العراق وخراسان \* ورشحو محمد بن علي وهو محمد بن الحنفية للخلافة وعرضوا عليه قبض زكّهم لينفتحها في مجاهدة الاعداء وتنظيم الحركة ضدهم \* فقبل ذلك منهم وعين الدعاة في البلاد المختلفة لنشر امره بين المخلصين والثقات سرّاً ، وحذر كل الحذر لئلا ينشر امره . فلما ادركتة الوفاة ولي عبد الله ابنه من بعده . فلم ينجح في اعلان الثورة لان الامويين كانوا يراقبون خصومهم ويعددون عليهم اقسامهم فعبه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس في الحيمة . وكان مفكراً فلم يرسل دعائه في الشام ومصر لان هواهم في بني أمية ولم يجعل الكوفة مركز اعماله خيفة ان يغدر به الكوفيون . وهم الذين اثبتت الحوادث خيانتهم لعلي بن ابي طالب ، والحسين ابنه وزيد بن علي وغيرهم . ولم يطم بالهجاز لان الهجاز بلاد فقيرة لا قوة لأهلها ولا حول لرجالها ، فوجه وجهه نحو خراسان ، واعتمد بكل قوته على الفرس ورمى بنفسه في احضانهم ودعاهم الى نصرته \* وقد فعل هذا اعتقاداً منه انهم مخلصون لتقصيته متفانون في محبة آل البيت ولا غرابة في ذلك لانهم كانوا يرسلون له الاموال الطائلة المرة اثر الاخرى . روى ياقوت : ( وكان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قل لدعائه حين اراد توجيههم الى الامصار : - اما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي وولده ، والبصرة وسوادها فعمانية تدن بالكف . واما الجزيرة فخرورية - خارجية -

مارقة ، واعراب كأعلاج ، ومسلمون اخلاف النصارى ، واما الشام فليس يعرفون الا آل ابي سفيان وطاعة بني سروان ، عداوة راسخة وجهل متراكم ، واما مكة والمدينة فغلب عليهما ابو بكر وعمر ، ولكن عليكم بأهل خراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم يتقسمها الاهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم يقدم عليهم فساد ، وهم جنود لهم ابدان واجسام ومناكب وكواهل وهامات . . . واصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من اجواف منكرة ، معجم البلدان ج ٢ ص ٤١٢ .

وقال محمد بن علي ايضاً : ( ابي الله ان تكون شيعتنا الا أهل خراسان ، ولا ننصر الا بهم . ولا ينصرون الا بنا . انه يخرج من خراسان سبعون الف سيف مشهور ، قلوبهم كزبر الحديد ، يطون ملك بني أمية طياً ويزفون الملك الينا زفا . معجم البلدان ج ٢ ص ٤١٢ ) .

ثم ان خراسان بلاد بعيدة عن عاصمة الخلافة الاموية ، وليس للعرب بها سلطان قوي او نفوذ عظيم ، فيمكن للحركة العباسية ان تنمو وان تثبت تجاه القوى الاموية ، وان ينتقل رجالها في جبالها ووادعها انتقالاً سريعاً قبل ان يكون للحكومة الوقت الكافي لتشتيت شملهم والقضاء عليهم . والحقيقة التي لا غبار عليها ان دعاة العباسيين اظهروا مهارة تامة في تكتيمهم فخذروا

جنراً شديداً من العرب في فارس، وكانوا لا يفشون أسرارهم إلا للمخلصين  
 لهم، ويأخذون عليهم اليهود والمواثيق الموكدة، واطهر وأبراعة تامة في  
 تمثيل جور بني أمية واعتدائهم وتهكمهم، واستهتارهم واستخفافهم بأمور الدين  
 والشريعة المطهرة. وجعلوا يسرون من مقاطعة إلى مقاطعة ومن كورة إلى كورة  
 فيدعون الناس إلى مبادئهم فيستحيون لهم. قال الدينوري: « وقد ساروا  
 — دعاة العباسية — من مدينة مرو إلى بخارا، ومن بخارا إلى سمرقند ثم إلى  
 سمرقند إلى كاش ونسيف، ثم عطفوا على الصغانيان، وجازوا منها إلى  
 ختلان، وانصرفوا إلى مرو الروذ والطالقان، وعطفوا إلى هراة وبوشنج،  
 وجازوا إلى سجستان، فغرسوا في هذه البلدان غرساً كثيراً ونشأ أمرهم  
 في جميع أقطار خراسان. فطلبهم عمال بني أمية فلم يدركوا لهم أثراً، إلاخبار  
 الطوال ص ٣٣٨

لما اشتهر رجال الدعوة العباسية العاملين فكانوا بكبير بن ماهان، وهو  
 شاب فارسي غني وخطيب مفوه، وسليمان بن كثير، ولاهن بن قريظ،  
 وقحطمة بن شبيب وغيرهم من رجال الفرس والشعبة. وقد خدموا القضية  
 العباسية خدمة كبرى فضحوا بأموالهم وأوقاتهم وراحتهم في سبيلها،  
 وعقب محمد بن علي ابنه إبراهيم المعروف بالإمام. وكان ساعده الإيمن



وعضده التين شابٌ فارسي يدعى ابا مسلم الخراساني . ولد ابو مسلم حوالي  
 سنة ١٠٠ هجرية « ٧١٨ م » في رستاق فرزندين من قرية تسمى سنجراد .  
 وقيل انه من قرية ماخوان على بعد ثلاثة فراسخ من مرو . وتعاطى والده  
 التجارة بين خراسان والعراق فجلب الى الكوفة الاغنام والمواشي ورجع حاملاً  
 منها المنسوجات والمحصولات العراقية . وقد ضمن مرة بعض رساتيق للحكومة  
 وقاطع عليها فلحقه عجز فيها وناه تحت اعباء الديون . فهرب مع زوجته  
 ( وشيكة ) وهي كوفية الاصل فارسية التربية وعرج في طريقه على رستاق  
 لبعض اصدقائه وهم آل العجلي ، بماه البصرة مما يلي اصبهان . ونزل عندهم  
 ضيفاً كريماً . ولما اشتد طلب الحكومة له التجأ الى اذر بيجان فمات بها .  
 نشأ ابو مسلم في بيت عيسى ومقبل بابني ادريس العجلي فتعهداه وارسلاه  
 الى المدرسة مع اولادهما فخرج اذياً ليبدأ يشار اليه بالبتان حسب رواية ابن خلكان .  
 ثم دارت الأيام دورتها وانتشرت الدعوة العباسية في خراسان وفارس ،  
 فاشترك آل العجلي في المؤامرة على الدولة الأموية وراحوا يشجعون الناس على  
 تأخير الخراج عن خزينة الحكومة فقبضت عليهم وساقهم الى واسط ،  
 وهناك صدر الأمر بسجنهم . فلحق بهم ابو مسلم يتقدمهم ويختلف اليهم في  
 حبسهم ، فاجتمع مدة اقامته في واسط بدعاة العباسيين واتصل بقبائلهم ، قال

الى مناصرتهم انتقاماً من اولئك الذين سبوا نكبة عائلته وسجن اوليائه .  
فلما آتسوا منه الذكاء وتوقد الخاطر او عزوا اليه بالمسير الى محمد بن علي زعيمهم  
وهو في الخيمة من اعمال الشام . فركب اليه فاستقبله واستخدمه في بث الدعوة  
فوجده كثير البيرة مخلصاً .

قدّم ابراهيم الامام ابا مسلم وأسند اليه منصب الزعامة على جميع النقباء  
في خراسان، وحضه على التكمم واستعمال الشدة مع احزاب بني أمية ومناصرتهم  
من العرب . قال يوصيه حينما توجه الى فارس : « يا ابا عبد الرحمن — يعني  
ابا مسلم — انك رجلٌ منا اهل البيت فاحفظ وصيتي . انظر هذا الحلي من  
اليمن فأكرمهم ، فان الله لا ياتم هذا الامر الا بهم ، وانظر هذا الحلي من ربيعة  
فانهم معهم ، وانظر هذا الحلي من مضر فانهم العدو القريب ، فاقتل من شككت  
في أمره ومن وقع في قسك منه تهمة . . . السيف السيف لا تتبني العدو  
بطرف . . . ان استطعت ان لاتدع بخراسان ارضاً فيها عربي فافعل وايماء  
غلامٌ بلغ خمسة اشبار فاقتله ، ابن قتيبة ج ٢ ص ٢١٨ » فترى ان الأمام لم  
يكن لينظر الى العرب عموماً الا اعداء لحركته وعاملا من عوامل الانحلال  
فيها بينما كان القرس — في نظره — الحصن الحصين لدعوته فاعتمد عليهم  
اعتماداً كلياً .

واعجب الامام بما امتاز به ابو مسلم من الصفات الباهرة كحسن المنطق  
والعقل الوافر والادب الجم والرصانة والصبر وعدم الاهتمام بالمظاهر الخلابه،  
ومقدرته على كتمان الأمور وضبط الشعور فقال فيه: ( هذا عضلة من العضل،  
ابن خلكان ج ١ ص ٢٨٠ - ٢٨٣ )

وقال ابن خلكان يصف ابا مسلم : « كان ابو مسلم خافض الصوت  
فصيحاً بالعربية والفارسية حلو المنطق راوية للشعر عالماً بالأمر ، لم ير ضاحكاً  
ولا مازحاً الا في وقته ولا يكاد يقطب في شيء من احواله . تأتيه الفتوحات  
العظام فلا يظهر عليه اثر السرور. وتنزل به الحوادث القادحة فلا يرى مكتئباً .  
وإذا غضب لم يستمره الغضب . وكان من اشد الناس غيرة ، لا يدخل قصره  
غيره وكان اقل الناس طمعاً واكثرهم طغاماً، ابن خلكان ج ١ ص ٢٨٠ - ٢٨٣ ،  
ووصفه ابن العبري بقوله : « كان ابو مسلم ذارأي وعقل وتدبير وحزم  
ومروءة ، وكان فاتكاً قليل الرحمة قاسي القلب سوطه سيفه ص ٢٠٩ »

ولم يكذب ابو مسلم يستلم مهام منصبه حتى اظهر براعة تامة في نشر الدعوة  
فوجه رجاله الى النواحي من خراسان بزري التجار. ونظم حركته فولى على شيعته  
في البلاد رجلاً من اهلها ، وكان على اتصال دائم بهؤلاء الزعماء فأصدر اليهم  
اوامره وطلب منهم تنفيذها حرفياً . وبلغ من نجاحه انه اجمع الخراسانيون

على محبته وصار من اعز الناس عندهم منزلة وارفعهم مقاماً فقتل الدينوري :  
 • أنهم كانوا يتجالفون فلا يجنثون ويذكرونه فلا يملون . الاخبار الطوال ص ٣٤٤  
 وعرف دعاة العباسيين بالهواة والزاية في بدء أمرهم . وقد بعث بهما الامام  
 الى ابي مسلم في خراسان • اما اللواء فيدعي ( الظل ) واما الزاية فتدعي  
 ( السحاب ) • وكان تأويلهما ( ان السحاب يطبق الارض ، وكذا ان الارض  
 لا تخلو من الظل ، كذلك لا تخلو - تيمناً - من خليفة عباسي الى آخر  
 الدهر . مختصر الدول ص ٢٠٦ ) •

لجأ ابو مسلم الخراساني الى السياسة المعروفة بسياسة ( فرق تسد ) حينما  
 اراد مباوأة العرب الامويين المنتشرين في الاقطار الفارسية • واستغل  
 اختلاف بعضهم على بعض فراح يشعل نار العصبية في صدورهم ويرسل دعواته  
 الى الزعماء ليوقعوا بينهم الضغينة والبغضاء . ولو درسنا احوال القبائل العربية  
 في اواخر القرن الاول للهجرة لتحققنا ان الخلفاء الامويين المتأخرين لجأوا  
 ايضاً الى تفرقة العرب وانما روح العصبية بينهم فاحسنوا الى فئة منهم واغدقوا  
 عليها النعم وعينوا لها الرواتب واسندوا لرجالها المناصب دون الفئة الاخرى .  
 فجاء ابو مسلم وبذل الاموال لاثارة التن بين مختلف القبائل العربية . فتكلمت  
 مساعيه بأكليل النجاح . ووقعت العصبية بين المضرية واليمانية بخراسان .



وكانت الحكومة الاموية — على عهد مروان بن محمد الخليفة الاخير — لا تستعمل احداً من اليمانية ولا تستعين بهم في الشؤون الحربية والادارية والسياسية . — وذلك لان نصر بن سيار الليثي والي خراسان كان متعصباً على اليمانية مبغضاً لهم — فغضب السكرماني زعيمهم واجتمع اليه احياء العرب واعتزل الحكومة ونصب لها العداة . فاستفاد ابو مسلم من هذه القرصة واخذ يتقرب من كلا الزعيمين السكرماني ونصر بن سيار الليثي . وينفذ اليهما الكتب ويمني الحزبين، بالمساعدة والمعونة . ويرجو لكل منهما الانتصار على عدوه . وصار يعرض عليهما الجوائز ويؤمنهما عسى ينضم احد منها اليه . فصرح لهما مراراً : ( ان الامام ارضاني بكم ولست اعدو رأيه فيكم ابن قتبية ، ج ٢ ص ٢٢ ) .

قال ابن قتبية : « وجعل ابو مسلم يكتب الكتب ثم يقول للرسول مروا بها على اليمانية فانهم يتعرضون لكم ويأخذون كتبكم فاذا رأوا فيها اني رأيت المضرة لاوفا، لهم ولاخير فيهم ... فلا تثق بهم ولا تطمئن اليهم ، فاني ارجو ان يريك الله في اليمانية ماتح ، ويرسل رسولا آخر بمثل ذلك على اليمانية فيقول مر على المضرة فكان القريقان جميعا معه . » ( ابن قتبية ج ٢ ص ٢٢٠ )  
 قال السكرماني اليه لان جبل الثقة كان قد انقطع بينه وبين نصر خصوصا

بعد ان اذاقه الاخير عذاب السجن \* نتأكد من هذا لان عقلاء العرب حينما اشتد الخلاف بين الجمانية والمضرية وبدأ ابو مسلم يضيق الخناق على كل عربي أموي ، سعوا لعقد الصلح بين ازعيمين فأبى الكرمانى وصرح انه لا يثق بحسن نوايا نصر نحوه . قال الطبري : ( قال عقيل : اني ارى امراً أخاف ان يذهب فيه العقول ، قال الكرمانى ان نصرأاً يريد ان آتية ولا آمنه ونريد ان يعتزل ونعتزل ، ونختار رجلاً من بكر بن وائل نرضاه جميعاً ، فيلي أمرنا جميعاً حتى يأتي امر من الخليفة وهو يأبى هسناً ، قال يا ابا علي — الكرمانى — اني اخاف ان يهلك أهل هذا الثغر فان اميرك وقل ماشئت تجاب اليه ، ولا تطمع سفها . قومك فقال الكرمانى اني لا اهتمك في نصيحة ولا عتق ، ولسكنى لا اثق بنصر فليحمل من مال خراسان ماشاء ويشخص ، قال فهل لك في امر يجمع الامر بينكما تزوج اليه وتزوج اليك \* قال لا آمنه على حال ، الطبري ص ٧٢٦ ص ١٨٦٦ ) .

مكث العرب يقتتلون في خراسان نحواً من عشرين شهراً و ابو مسلم لا يهدأ عن ايقاد نيران الفتنة ليهن قواهم ويشل سواعدهم ، وليكون له الوقت الكافي لضربهم ضربة قاسية لاتقوم لهم من بعدها قائمة \* وقد تألم نصر بن سيار اللبثي لما اصاب القوم من عوامل التفرقة والخذلان فاستنجد الحكومة في دمشق وكان

على رأسها مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ليدراً خطر العباسيين ولينازلهم  
 في عقر دراهم قبل ان يهاجروه ويجبروه على الانسحاب الى العراق، او ليشاغل  
 ابا مسلم على الاقل قبل ان يشتد ركنه ويعلو شأنه . وكان يرجو ان يجمع  
 كلمة العرب ويستعين على مخالفيه منهم بالقوة فرسل الى الخليفة رسالة قال منها:  
 « قد بايعه — بايع ابا مسلم — مائتا الف رجل من اقتار خراسان فتدارك  
 يا امير المؤمنين امرك وابعث الي بجنود من قبلك يقو بهم ركني واستعن بهم  
 على محاربة من خالفني — يعني الكرمانى — الاخبار الطوال ص ٣٥٦ »  
 وذكر في آخر رسالته الايات المشهورة :

أرى بين الرماد وميض نارٍ	ويوشك أن يكون لها ضرام
فان لم يطفئها عقلاء قوم	يكون وقودها جث وهام
فان النار بالعودين تذكى	وان الحرب أولها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعري	أيقاظ أمية أم نيام
فان يقظت فذاك بقاء ملك	وان رقدت فاني لا ألام
فان يك اصبحوا وثروا نياماً	فقل قوموا فقد حان القيام

(الدينوري ص ٣٥٦، الفخري ص ١٢٩)

فاجابه : « احسم انت هذا الداء الذي قد ظهر عندك ، الفخري ص ١٢٩ »

ويدلنا هذا على ان الحكومة كانت مضعفة مشلولة لا قدرة لها على ضبط زمام الامور والدفاع عن كيانها . ولما اعيت نصر الحيل ولم ينجده أحد يقال أنه **كتب للخليفة :**

يا ايها الملك الواني بنصرته قد آن للأمران يأتيك من كتب  
أضحى خراسان قد باضت صقورها و فرخت في نواحيها بلأرهب  
فان يطرون ولم يحتمل لمن بها يلبهن ناز حرب ايما لهب  
ولما ابطأ عليه الغوث ارسل اليه :

من مبلغ عني الامام الذي قام بامر بين ساطع  
أني نذير لك من دولة قام بها ذو رحم قاطع  
والثوب ان انهج فيه البلى اعني على ذي الحيلة الصانع  
كسنا نذارها فقد مزقت واتسع الخرق على الراقع

( الاخبار الطوال ص ٣٥٨ — ٣٥٩ )

هذه وثائق ظاهرة بينة تشهد لنا ان العصبية فتت في عضد بني امية  
وكانت من اعظم الاسباب التي ادت الى سقوطهم .  
قبض مروان بن محمد على ابراهيم الامام واحضره الى حران حينما كثرت  
شيعة وتعددت احزابه . وكانت حران مركز مروان ومقامة . ثم أمر به



فأقدم ويذكر المؤرخون انه سنة ٤٤٤ هـ ، خاف اخواه السفاح والمنصور فهربوا الى الكوفة مع بعض خاصتهم . واطهر السفاح بها الدعوة وخطب بالناس في المسجد الجامع ويومع بالخلافة سنة ١٣٢ هـ ، ٧٤٩ م . ووفدت عليه الزعماء من اطراف العراق تباعه وتقدم خضوعها له . وندب عمه عبد الله بن علي لقتال مروان بن محمد . فترى مما تقدم ان العراق وخراسان اعلتنا خلع بني امية . اما وقد خلعت كل من خراسان والعراق طاعة الامويين فلم يعد امام مروان الا المناجزة العباسيين الواقعة الفاصلة لعله يصدمهم صدمة توهن معنوياتهم . فجهز جيشاً بلغ عدده نحواً من مائة وعشرين الف مقاتل . وزحف به نحو العراق فالتقى مع عبد الله بن علي على انزاب الكبير . فانهمزم جيش مروان . وغرق منه عددٌ وافر . وكان اصحاب مروان فآري المهمة قد لعبت بهم الدعوة العباسية واثر عليهم الذهب القرمي فولوا هاربين جزعين . وبنيل جهده ليثبت اقدامهم فعين لهم الاعطيات والرواتب فلم يقلح وكانت الفوضى قد انتشرت في صفوفهم فما اطاعوا الاوامر التي اصدرها لهم زعمائهم ولا اعاروا لها اهتماماً . روى القزويني : « واشتد القتال فصار مروان اذا امر طائفة من العسكر بشي \* قالوا قل للطائفة الاخرى وبلغ من امره انه قال لصاحب شرطته : انزل الى الارض فقال والله لا التي تسمي في التهلكة فقال له مروان

لا فعلن بك وتهده فقال وددت انك تقدر على ذلك . . ولما رأى مروان  
 فترة اصحابه وضع ذهباً كثيراً قدام الناس وقال ايها الناس قاتلوا وهذا المال  
 لكم فصار الناس يمدون ايديهم الى المال ويتناولون منه شيئاً شيئاً ص ١٣٢ .  
 مضى مروان بعد هزيمته الى الموصل فخران فالشام فوثب عليه اهل حصص  
 ودمشق والاردن وفلسطين واعملوا السيف في جنده واتهبوا امواله وذخائره .  
 وكان بعد انكساره يستقري مدينتهم ويستنهض عثمهم فيردغون عنه ويهاجون  
 الحرب ويودون الخلاص منه . ولا غرابة في ذلك فان الشام كانت قد ملت  
 القوضى والتقتل وزهدت في مساعدة الخلفاء الامويين المترفين الذين لا يهونون  
 الا اشباع مطامعهم واتباع لذاتهم الشخصية .

فكر مروان مراراً بطلب النجدة والمعونة من البيزنطيين تجاه هذه  
 الضائقة الشديدة التي نزلت به عليه يسترجع ما فقدته من السطوة والسلطان  
 فنزعه من ذلك انصاره الخملصون و اشاروا عليه بالذهاب الى مصر الفنية فيجمع  
 شمله ويجعل الشام هدفه وافر يقية حصنه وموئله . وقد جادل مروان بن محمد  
 اسماعيل بن عبد الله القسري في هذا الموضوع وحفظ لنا الدينوري اقوالهما :  
 قال مروان يخاطب اسماعيل بن عبد الله القسري : ( اجمعت على ان  
 ارتحل باهلي وولدي وخاصة اهل بيتي ومن اتبعني من اصحابي حتى اقطع

الدرّب واصير الى ملك الروم فاستوثق منه بالأمان ، ولا يزال يأتيني الخائف  
والهارب من اهل بيتي وجنودي حتى يكثف امرى ، واصيب قوة على محاربة  
عدوي) . فقال اسماعيل بن عبد الله القسري لمروان : « اعينك بالله ان تحم  
اهل الشرك في نفسك وحرملك لان الروم لا وفاء لهم . ثم ان الرأي عندي  
ان تقطع الفرات وتستقري مدن الشام مدينة مدينة فانك بكل مدينة صنائع  
ونصحاء ، وتضمهم جميعاً اليك ، وتسير حتى تنزل ببلاد مصر فهي اكثر  
اهل الارض مالا وخيلاً ورجالاً فتجعل الشام امامك وافريقية خلفك ،  
فان رأيت ماتجب انصرفت الى الشام وان تسكن الاخرى اتسع لك المهرب  
نحو افريقية فانها ارض واسعة نائية منفردة ، الاخبار الطوال ص ٣٦٣-٣٦٤ »  
اتجه مروان نحو مصر ليجمع شمله ويطلق آخر سهم في كسنته . فلحق  
به ابو عون العلي احد قادة عبد الله بن علي وبث رجاله في اثره فاكتشفوا مكانه  
في بوسير احدى قرى الصعيد - مصر - فطعنوه فصرعه وراحتزوا رأسه وحمله الى  
السفاح في الكوفة . ولم يمّ مروان رخيصاً بل دافع الى النفس الاخير .  
وقد أفل بمقتل مروان نجم بني امية في الشام .

قلنا ان العصبية القبائلية كانت سبباً كبيراً في سقوط الامويين وزوال  
دولتهم . والآآن يزيد ان الدعوة التي بنها اعداؤهم من الفرس والشيعة لعبت

دوراً مهاً في بلاط الخلفاء العباسيين. فاعملوا السيف في رقابهم ولا حقوقهم في كل فطر من الاقطار العربية حتى انهم افنوا معظمهم. ولم يفلت منهم الا عبيد الرحمن الداخل المعروف بصقر قريش. وكان بعض الشعراء من اكبر المحرضين على اعدامهم وهم بلا ريب يمثلون لنا اراء الاحزاب المعارضة فيهم. انشد سديف احد موالي بني العباس في حضرة السفاح :

يا ابلن عم النبي انت ضياءُ      استبنا بك اليقين الجلبيا

جزد السيف وارفع العفو حتى      لا ترى قوق ظهرها أمويا

لا يفرئك ماترى من رجلٍ      ان تحت الضلوع دا دويا

بطن البغض في القديم فأضحى      ثاورياً في قلوبهم مطويا

وقال ايضاً يحضه على بني امية ويذكر من قتل مروان وبدوا امية من قومه :

كيف بالعفو عنهم وقديماً      قتموكم وهتكموا الحرمات

ابن زيد وابن يحيى بن زيد      يالها من مصيبة وترات

والامام الذيب اصيب بجرا      من امام الهدى ورأس الثقات

قتلوا آل احمد لاغنا للذنب لمروان      غافر السيئات

( الاغاني ج ٤ ص ٩٤ - ٩٥ )



وله :

أصبح الملك ثابت الأساس  
 طلبوا وترهاشم فسفوها  
 لا تقيان عبد شمس عثاراً  
 ذلها اظهر التودد منها  
 ولقد غاظني وغاز سوائي  
 واذكرن مقتل الحسين وزيداً

( ابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣٦ )

فليس ذلك الا الخوف والطمع  
 لكم قمعوا باللئل فانتمعوا  
 سقوكم جرعاً من بعدها جرع  
 منوا اليكم بالارحام التي قطعوا  
 رياً وان يحصدوا الزرع الذي زرعوا  
 اذا تفرقت الالهواء والشيع  
 قد ملسكوا ثم ماضروا ولا تمعوا

( الاغانى ج ٤ ص ٩٥ )

وقال احد شيعة بني العباس :  
 اياكم ان تلينوا لاعتذارهم  
 لو انهم امنوا ابدوا عداوتهم  
 أليس في الف شهر قد مضت لهم  
 حتى اذا ما اقتضت ايام مدتهم  
 هيهات لا بدان يسقوا بكأسهم  
 انا واخواننا الانصار شيعتكم  
 اياكم ان يقول الناس انهم

وقل آخر:

فلا عفا الله عن مروان مظلمة      ولا أمية بثس المجلس الياضي  
كانوا كما دافأ مسى الله اهلكهم      بمثل ما اهلك الغادين من عاد

( الاغاني ج ٤ ص ٩٣ - ٩٤ )

استعمل العباسيون الحيلة في استقدام بني امية فأمنوهم على ارواحهم واموالهم  
واملاهم راكدوا لهم انه لن يضطهدوهم وسوف يحافظون عليهم ويقيسونهم  
في ديوان العطاء . فقدموا على السفاح مطمئين اليه عائدن به فنكث عهده  
وتهنن في تعذيبهم واعدامهم . قال ابو القرج الاصبهاني باسناده : « دعا  
ابو العباس بالغاء حين قتلوا وامر ببساط فبسط عليهم وجلس فوقه يأكل  
وهم يضطربون تحته فلما فرغ من الأكل قل ما اعلمني أكلت أكلة قط  
أهنأ ولا أطيب لنفسى منها . فلما فرغ قل جروا بارجلهم فألقوا في الطريق  
يلعنهم الناس امواتاً كما لعنوهم احياء ، فرأيت السكلاب تجر بارجلهم وعليهم  
سراويلات الوشي حتى انتنوا ، ثم حفرت لهم بئر فالتقوا فيها ، الاغاني ج ٤  
ص ٩٣ »

وروى الاغاني : « قتل الامويين وصلبهم في بستانه حتى تأذى جلساؤه  
برواحهم فكلموه في ذلك فقال ، والله لهذا الذ عندي من شم المسك والعنبر

غيطاً عليهم وحنقاً، الاغاني ج ٤ ص ٩٦ «، وكانت تأخذ السفاح رعدة حيناً يذكر ما فعله الأمويون مع آل البيت وما ارتكبهوه من المظالم فيتلذذ بقتلهم .  
 قل مرة يخاطب بعضهم قبل تسليمهم ليد الجلاد : « أرى قتلاكم من أهلي  
 قد سلفوا وانتم احياء تتلذذون في الدنيا ، الاغاني ج ٤ ص ٩١ - ٩٢ » .  
 وطالما ردد هذا البيت :

اِذَا الضَّغَانُ آبَاءَ لَنَا سَلَفُوا فَلَنْ تَبِيدَ وَلَا بَاءَ ابْنَاءُ  
 وصدرت الاوامر العباسية الى جميع الاقطار الاسلامية وكلها تقول بابادتهم  
 عن بكرة ابيهم . فذبح عبد الله بن علي نحواً من ثمانين رجلاً على نهر ابي  
 فطرس بفلسطين . واحتذى اخوه داود بن علي بالحجاز فعله ، « التنية  
 والاشراف ص ٣٢٩ » . وما زالوا يلاحقونهم حتى فالهم ضرٌّ عظيم ، فهلك  
 بعضهم جوعاً وعطشاً وشاهد من بقي منهم انواع الشدائد وصنوف الإحن .  
 اغرق الخلفاء الامويون المتأخرون في مجونهم واستهتارهم وتهتكهم واسرفوا  
 اسرافاً زائداً في اتباعهم سبل الشهوات والملاذ . فاهلوا واجباتهم تجاه الامة  
 التي اعتمدت عليهم في تدبير امورها والاعتناء بمقدراتها . انهم لم ينسجوا  
 على منوال معاوية الاول وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وعمر  
 ابن عبد العزيز فيوظفون دعائم الامن والسلام ، ويضربون اصحاب القلائل

وأهل القن بيد حديدية ، ويسنون القوانين التي تصاح حل السكان وتجي تجاريتهم وتشط صناعتهم وتجي زراعتهم ، بل اخذوا يقر بون الندما وانفساق والمأمورين الذين لا يعرفون من المنصب الارضاء ساداتهم ، ولا يفهمون من روح المسؤولية سوى تعداد الايام والشهور لقبض رواتبهم .

جاء يزيد بن عبد الملك ( يزيد الثاني ) سنة ١٠١ هـ و ٧١٩ م بعد عمر بن عبد العزيز فكان شديد الفخر ظاهر الكبر يحب اللهو والانس والطرب . ولو امعنا النظر في احواله الخاصة وسلوكه الشخصي لحكنا انه قضى عمره مفرماً عاشقاً لا يجد في الحياة الا عبادة الحب والجمال . وقد تولع يزيد بـجُبابة وسلامة الغانيتين الحجازيتين ولعاً شديداً ملك عليه لبه وانساء سياسة الدولة وادارتها . فترك زمام الامور بيد اصدقائه ومريديه . وهما من مولدات المدينة وكانت اديبتين ترويان الاشعار وتضريان على العود ضرباً حسناً . وقتن بهما الشعراء المعاصرون لها فقالوا فيهما القوائد العامرة . ويذكر « الاغاني » ان الناس في الحجاز كانت تتداول ابياتهما في الاندية الخاصة والعامرة . ج ١٣ ص ١٥٠ . وبلغ من حب يزيد لهاتين الغانيتين الفتاتين انه جعل لهما مطلق التصرف في شؤون الدولة حتى قال المورخون : « وعمل ابن هبيرة في ولاية العراق من قبل جبابة . . . ولم تزل جبابة تعمل له في العراق حتى ولها . الاغاني ج ١٢ ص ١٥٠ - ١٥٧ . »



فترى انه كان لبعض الحظيات الكلمة البافذة في اسناد الوظائف للولادة .  
وحكى الرواة ان حياة غنت يزيد بن عبد الملك يوماً :

بين التراقي واللاهة جراحة ماطمئن وما تسوغ فتبرد

فأهوى ليطير من شدة غرامه وهيامه بها فقالت تداعبه: يا امير المؤمنين  
ان لنا فيك حاجة الطبري S 278 ص ١٤٦٥ . ومرضت حياة يوماً فبكي  
لذلك بكا، مرأً وحزن حزناً عميقاً . قال الطبري: « مرضت حياة وثقلت  
فقال كيف انت يا حياة فلم تجبه فبكي وقال :

لئن تسأل عنك النفس أو الهوى فبالأيس تسأل عنك لا بالتجدد

وسمع جارية لها تمثل :

كفى حزناً بالهائم الصب ان يرى منازل من بهوى معطلة قفرا

الطبري S 278 ص ١٤٦٨ - العبد القريد ج ٣ ص ١٧٦

واجمع المؤرخون انه لم يتالك عن نبش حياة بعد وفاتها لسكفها بها كلفاً  
جنونياً . روي اللدائي: « انه اشتاق اليها بعد ثلاثة ايام من دفنه اياها فقتل  
لا بد من ان تنبش فنبتت وكشف له عن وجهها وقد تغير تغيراً قبيحاً فقتل  
لهيا امير المؤمنين اتق الله الا ترى كيف قد صارت فقتل ما رأيتها قط احسن منها  
اليوم . اخرجهوا . فجاءه مسبعة بن عبد الملك ووجهه أهله فلم يزالوا به حتى ازالوه عن

ذلك . ودفنوها . وانصرف فكمد كمداً شديداً حتى مات فدفن الى جانبها ،

الاغاني ج ١٣ ص ١٥٨ ، العقد القرئيد ج ٣ ص ١٧٦ »

قلنا ان يزيد بن عبد الملك كان يهوى حيابة ويحبها حباً جماً . وكانت

ذكرها تعاود قلبه الجريح حتى لفظ نفسه الاخير . والغريب ان سلامة كانت

مفتونة به فتألمت من تقديمه حيابة عليها وهذا مانع عيشها . ومع ذلك

فلم تنس يزيداً وبكته بكا . مرأ . قالت سلامة تمثل يوم قضى :

لا تلمنا ان خشعنا . أو هممنا بالخشوع

قد لعمرى بت ليلي . كأخي الداء الوجع

كلا ابصرت ربعاً . خالياً فاضت دموعي

قد خلا من سيد كان لنا غير مضيع

مات يزيد بن عبد الملك مفرماً بأساء . وهو من تلك الشبية التي يسحرها

جمال الحياة وتستهويها بهجة الدنيا فتسير في تيارها غير مبالية بما تأتي به من

النتائج . وقد وصفه المسعودي بقوله : « . . . لا يعرف صواباً فيأتيه ولا خطأ

فيدعه ، التنبيه والاشراف ص ٣٢٠ » خلفه رجال كان من مبادئهم ان

لا يقيموا ضمن القواعد التي وضعها الشرائع المقدسة والتقاليد المعروفة . فجعلوا

يتبعون فلسفتهم الخاصة في الحياة فلا يفكرون في سهام النقد والملامة التي

يسددونها اليهم . وكان من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك (الوليد الثاني) .  
وقد لهج هذا الخليفة بالشراب والنساء والصيد، وطلب الندماء والمغنين فحملوا  
اليه . وعرف لدى شعبه بالاحاد واشتهر بالزندقة فاحتقر المبادي الدينية  
الاسلامية ولم يراقب في ذلك احداً . ويقال انه « دعا ذات ليلة بمصحف فلما  
فتحه وافق ورقة فيها واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ، من ورائه جهنم  
ويسقى من ماء صديد . فقال اسجعاً اسجعاً علقوه ثم اخذ القوس والنبل  
فرماه حتى مرقه ثم قال :

آوعد كل جبار عنيد      فيها انا ذاك جبار عنيد  
اذا لاقيت ربك يوم حشر      فقل لله مرزقي الوليد

( الاغانى ج ٦ ص ١٢١ ) ( امالي السيد المرتضى ج ١ ص ٩٠ )

وكان مدمناً للشراب حتى ليروى انه خاطب الناس بشعر يوم الجمعة في

المسجد الجامع فصعد المنبر وقال :

مايزرع الزارع يوماً يحصده      و ما يقدم من صلاح يحمده  
فاستغفروا ربكم وتوبوا      فالموت منكم فاعلموا قريب

( الاغانى ج ٦ ص ١٢٥ )

ولاريب عندنا ان المؤرخين يبالغون في قولهم انه شرب ليلة سبعين قدحا .

ولو كان حقاً ما يدعون لقضى سريعاً من تأثير السم المعروف بالكحول .  
والحقيقة التي نريد تأييدها هو انه كان سكيراً ولكن لا يمكننا قبول تلك الروايات  
المحسوسة بالمبالغة ، واليك مثلاً منها : « . . . قام الوليد فعلى العصر ثم جلس  
يتحدث الى المغرب ، ثم صلى المغرب ودعا بالعشاء فتعشيت معه ، ثم جلس  
يتحدث حتى صلى العتمة ثم تحدثنا قليلاً ، ثم قال استقيني فأتوه باناء مغطى  
وجاء بخوارق من بيني وبينه فشرب وانصرفن ومكث قليلاً ثم قال استقيني  
فعلن مثل ذلك ، وما زال والله ذلك دأبه حتى طلع النجر فأحصيت له سبعين  
قدحاً . الاغاني ج ٦ ص ١٠٣ » . ويذكر الكثيرون انه لما نعي اليه هشام  
بن عبد الملك سلقه في الخلافة قال : « والله لأتلتين هذه النعمة بسكرة قبل  
الظهر ثم انشأ يقول :

طاب يومي ولقد شرب السلافة      اذ أتاني نعي من الرصافة  
وأنا البريد ينعي هشاماً      وأنا بخاتم الخلافة  
فاصطبجنا من خمر عانة صرفاً      وهونا بقمينة عزافة  
ثم حلف ان لا يبرح موضعه حتى يغني في هذا الشعر ويشرب عليه  
فتغنى له فيه وشرب وسكر ثم دخل فبويع له بالخلافة ، ( الاغاني ج ٦ ص ١٠٨ )  
فتجد ان الوليد بويع بالخلافة ونشوة الخمر تلعب في رأسه .



ولوليد اشعارٌ جَيَّادٌ في الخمرِيات . وهي تصفُ تأثيرَ ابنةِ السكرمةِ على  
 النفوسِ الطرِوبةِ وصفاً دقيقاً رائعاً . وقد سرَّقَ الشعراءُ المتأخرون من معانيها  
 وسلخوا صورها وادعواها في اشعارهم . وكان ابو نواس من اشهرِ الأديباءِ  
 الذين سطوا عليها وادعواها .

قال الوليد من خمرِياته :

أصدع نحي الهقوم بالطرب	وألم على الدهر ابنة العنب
وامستقبل العيش في عضارته	لا تنف منه آثار معقب
من قهوة زانها تقادُ مها	فهي عجوز تغلو على الخلقب
اشهى الى الشرب يوم جلوتها	من القناة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها	حتى تبدت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر	وهي لدى المزج سائل الذهب
كانها في زجاجها قيس	تذ كوضياء في عين مر تقب
في فتية من بني أمية أهل المجد والمؤثرات	والحسب
ما في الورى مثلهم ولا بهم مثلي	ولا منتم مثل ابني

وكان الوليد الثاني عصبياً لا يثبت على قرار فيننا تراه قد وهب قلبه  
 لفتاة من القتيات الجميلات وراح يستعطفها ويتقلب على فراش الأم ابن

صدته وخذلته اذا به يسلوها ويعشق غيرها ويستमित في رضى حبيته الجديدة ،  
ثم تعاوده ذكرى حبه القديم فيبكي كالأطفال ويتوجع على ما فاته فهو محب  
للحسان مستعد لأن يضحى لأجلهن ما عز وهان . احب الوليدُ سعدة بنت  
سعيد بن خالد فتزوجها . ثم علق باختها سلمى فطلق سعدة وطلب سلمى  
الى ابيها فرده خائباً . ولم يحظ بها الا بعد اعتلائه عرش الخلافة . وكان دوماً يتألم  
لاقتضاله عن سعدة ويتحرق على فراقه لها . قال الاغانى : ( كان الوليد متزوجاً  
سعدة بنت سعيد بن خالد فرض سعيد وجاءه الوليد عائداً فدخل فلمح سلمى  
بنت سعيد اخت زوجته ، وسترها حواضنها واختها فقامت فبرعتهن طولاً  
فوقعت بقلب الوليد . فلما مات ابوه طلق زوجته وخطب سلمى الى ابيها ،  
فلم يزوجه سعيد ورده أقبح رد ، وهويها الوليد ورام السلو عنها فلم يسلو ،  
ويقال انه لما طلق سعدة ندم على ذلك وغمه . وكان لها من قلبه محل . ولم  
تحصل له سلمى فاهتم لذلك وجرع وراسل سعدة ، وقد كانت زوجت غيره  
فلم ينتفع بذلك . وله من رسالة لها :

أسعدة هل اليك لنا سبيلٌ وهل حتى القيامة من تلاق

فاجابته :

أتبكي على لبني وائت تركتها فقد ذهبت لبني فائت صانع

..... وخرج الوليد بن يزيد ..... لعله يراها فلقية زيات معه حمار  
 عليه زيت فقال له هل لك ان تأخذ فوسي هذا وتعطيني حمارك هذا بما عليه  
 وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ، ففعل الزيات ذلك . وجاء الوليد وعليه الثياب  
 وبين يديه الحمار يسوقه متنكراً حتى دخل قصر سعيد فنادى من يشتري  
 الزيت فاطلع بعض الجوارى فرأينه فدخلن الى سلمى وقلن ان بالباب زياتاً  
 اشبه الناس بالوليد فاخرجني فانظري اليه فخرجت وراثة وراها فرجعت  
 القهقري وقالت هو والله القاسق الوليد ، فقلن له لا حاجة بنا الى زيتك  
 فانصرف وقال :

انني ابصرت شيخاً حسن الوجه مليح

ولباسي ثوب شيخ من عباء ومسوح

وانبع الزيت بيعاً خاسراً غير ربيع

وقال ايضاً :

فما مسك يعل بزنجيل ولا غسل بألبان اللقاح

بأشمى من مجاجة ريق نهائى ولا ماني الزقاق من القراح

ولا والله لا أنسى حياتي وثاق الباب دوني واطراحي

« الاغاني ج ٦ ص ١١٠ - ١١٣ »

أفرط الوليد الثاني في لهوه وانهمك انهماكاً زائداً في تهيمته اسباب الأناس  
والجبور ، فأحيا الليالي الطوال وهو غارق بين السكاس والطاس لا هم له الا  
التمتع بملاذ الحياة الدنيا .

وكان يدعو الى مجالس سمره رفاقه وخاصته ، ويسرف اسرافاً عظيماً  
في سبيل ارضائهم واكتساب مودتهم فجلب الوصائف والوصيفات ليقفوا  
بين ايديهم وكانوا من اجل الحور والولدان ، روى حماد الراوية يصف مجلساً  
من مجالس انس الوليد قال :

( دعاني الوليد يوماً من الأيام في السحر والقمر طالع وعنده جماعة من  
ندمائه وقد اصطحح فقال انشدني في النسب فأنشده اشعاراً كثيرة ، فلم  
يهش لشيء منها حتى أنشدته قول عدي بن زيد :

أصبح القوم قهوةً      في الأباريق تمتدى  
من كيت مدامة      حيناً تلك حيناً

فطرب ثم رفع رأسه الى خادمه وكان قائماً كأنه الشمس فأوما اليه فكشف  
سترأ خلف ظهره فطلع اربعون وصيفاً ووصيفة كأنهم اللؤلؤ المنتور في ايديهم  
الأباريق والمناديل فقال اسقوهم وانا في خلال ذلك انشده الشعر ، فما زال  
يشرب ويسقى الى طلوع الفجر ، ثم لم يخرج عن حضرته حتى حملنا القراشون



في البسط فأقوننا في دار الضيافة ، فما أفتنا حتى طلعت الشمس . الاغاني ج ٦  
ص ١٢٩ .

وجعل انداد الوليد الثاني وخصومه السياسيون يذلون منه ويذمونه ويذكرون فضأحه وتماديه في الفجور ، وينشرون اقواله التي تم عن الحاده وزندقته حتى ثقل أمره على رعيته واصبحت دمشق تهوى اعدائه . وكان من اكبر اعدائه آل الوليد بن عبد الملك ، وولد هشام بن عبد الملك لأنه اساء اليهم وضربهم وسجنهم وشهرهم . وذلك لمنافستهم له وموامرتهم التي كانوا يدبرونها ضده . ويعتقد ان الوليد ارتكب غلطاً فادحاً في افساده اليمانية عليه وهم عظم جند اهل السلم فقال في ذمهم ومدح بني نزار القيسيين :

ونسومهم المذلة والنكالا	ونحن المالكون الناس قسراً
وما نألهم الا خبالا	ونوردهم حياض الخسف ذلاً
وقومنا بهم من كان مالا	شددنا ملكنا ببني نزار

« الاخبار الطوال ص ٣٤٨ »

فقام على رأس اليمانية وغيرهم من المعارضين يزيد بن الوليد بن عبد الملك (يزيد الثالث) واطهر النسك والتواضع وازهد في الحياة وقال بوجوب الاصلاح في دواوين الحكومة، ووعد بالعدل ونادى بالسلام والنهوض باقتصاديات البلاد

فحاصروا الوليد الثاني في قصره وقتلوه ثم احتزوا رأسه ونصبوه على رمح وطافوا به في دمشق . وكان ذلك سنة ١٢٥ هـ و ( ٧٤٢ م ) . ولا يغرب عن البال ان الوليد كلن قد زاد اهل الشام في اعطيائهم واجرى على فقرائهم الرزق واخرج لعليالهم الكسوة ، ومع ذلك فقد ناصروا الاحزاب المعارضة له ليتخلصوا من النفوس التي سادت في البلاد . واعلن يزيد الثالث منهج سياسته حينما اعتلى عرش الخلافة واخذ يبرر الوسائل التي اتخذها في قتله للوليد بن يزيد بن عبد الملك . قال من خطبة العرش : « ايها الناس ، والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك ، وما بي اطراء نفسي واني لظلم لها . ولقد خسرت ان لم يرحمني ربي ، ولسكني خرجت غضباً لله ودينه ، وداعياً الى الله وسنة نبيه ، لما هدمت معالم الهدى ، واطفي نور التقوى ، وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة . وازاكب لكل بدعة ، مع انه والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ، ولا يصدق بالثواب والعقاب ، وانه لابن عمي في النسب ، وكفتي في الحسب ، فلما رأيت ذلك استخرت الله في امره ، وسألته ان لا يكانني الى نفسي ، ودعوت الى ذلك من اجابني من اهل ولايتي ، حتى اراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ، بحول الله وقوته ، لاجولي وقوتي ايها الناس ان لكم عليّ ان لا اضع حجراً على حجر ، ولا لبنة على لبنة

ولا اكري نهراً ولا اكنز مالا، ولا اعطيه زوجاً ولا ولداً، ولا اتقل مالا  
من بلد الى بلد حتى اسد فقر ذلك البلد وخصاصة اهله بما يغنيهم، فان فضل  
فضل نقلته الى البلد الذي يليه ممن هو احوج اليه منه . واني لا اجركم -  
الحبس - في نفوركم فافتنكم وافتن اها اليكم، ولا اغلق بابي دونكم فيأكل قويكم  
ضعيفكم، ولا احمل على اهل جزيتكم ما اجلبهم به عن بلادهم واقطع نسلهم .  
ولكم عندي اعطياتكم في كل سنة، وارزاقكم في كل شهر، حتى تستدر  
المعيشة بين المسلمين فيكون اقصاهم كادناهم، فاذا انا وفيت لكم فعليكم السمع  
والطاعة، وحسن الموازرة والمساكفة: وان انا لم اوف لكم فلكم ان تخلعوني،  
الا ان تستيدوني فان انا تبت قبلتم مني، وان عرفتم احداً يقوم مقامي ممن  
يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما اعطيتم فأردتم ان تبايعوه فأنا اول  
من بايعه ودخل في طاعته . ايها الناس لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .  
البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٠ «

لم يكذب يزيد الثالث او الناقص - لقب بالناقص لانه نقص في اعطيات  
الناس بعد ان زادها الوايد الثاني - يستلم زمام الاحكام حتى عاجلته المنية  
فقضى واحوال الدولة مرتبكة والقتن مشتعلة في حص و فلسطين . والظاهر  
ان اهل حص قاموا يثارون للوليد بن يزيد، واهل فلسطين اخنوا بشجعون

آل سليمان بن عبد الملك على القيام بطلب الخلافة . وكانت الضعيفة تأكل  
 قلوب المضرية بني نزار وهم احزاب الوليد الثاني كما قدمنا . فاتحدوا وصمموا  
 على خلع ابراهيم بن الوليد اخي الخليفة يزيد الثالث . وكان قد بايعه قبل  
 وفاته . والحقيقة ان الدمشقيين لم يعترفوا به فكانت فئة منهم تسلم عليه بالخلافة  
 وفئة اخرى تسلم عليه بالامارة . اما الحزب المضري فلم يبايعه بل بايع مروان  
 بن محمد الملقب بالبحار لصبره وجلده في الحروب . فخلعه وسار نحو دمشق  
 وقتل ابراهيم . وهكذا فقد لعبت العصبية دوراً مهماً في تاريخ بني امية وكان  
 من نتائجها سقوطهم تحت سيوف الباسيين .

واما مروان فاراد ان يتخلص من القوضى فلم يتمكن لان اعداءه القرس  
 والشيعية كان قد انبسط قوذهم واتسع سلطانهم فلم يقدر على الثبات امامهم .  
 وبقتله اقل نجم بني امية في الشام كما اسهبنا .



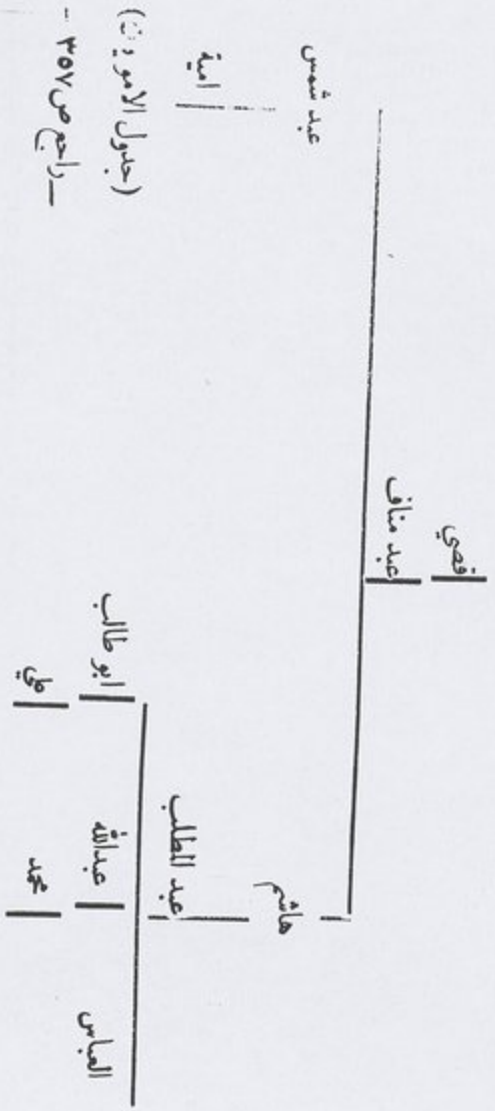


— الخلفاء الأمويون —

الاسم	تاريخ توليهم الخلافة (الهجري)	(المسيحي)
معاوية بن ابي سفيان (الاول)	٤١	٦٦١
يزيد بن معاوية (الاول)	٦١	٦٨٠
معاوية بن يزيد (الثاني)	٦٤	٦٨٣
مروان بن الحكم	٦٥	٦٨٤
عبد الملك بن مروان	٦٦	٦٨٥
الوليد بن عبد الملك (الاول)	٨٦ - ٨٧	٧٠٥
سليمان بن عبد الملك	٩٧	٧١٥
عمر بن عبد العزيز	٩٩	٧١٧
يزيد بن عبد الملك (الثاني)	١٠٢	٧٢٠
هشام بن عبد الملك	١٠٦	٧٢٤
الوليد بن يزيد (الثاني)	١٢٦	٧٤٣
يزيد بن الوليد (الثالث)	١٢٧	٧٤٤
ابراهيم بن الوليد	١٢٧	٧٤٤
مروان بن محمد	١٢٧	٧٤٤
انقضاء الدولة الاموية في الشام	١٣٣	٧٥٠



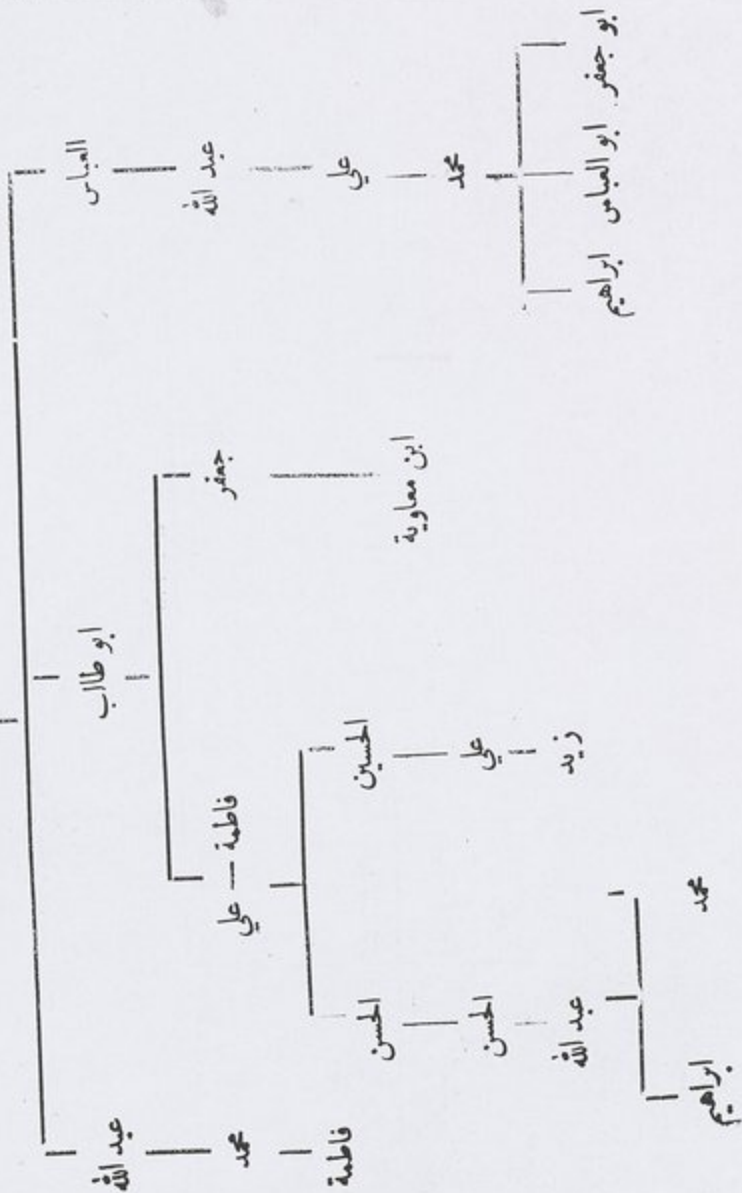
جدول بين القرابة بين الهاشميين والامويين



(جدول الاموية)

- راجع ص ٢٥٧ -

جدول يظهر القرابة بين العباسيين والعلويين  
عبد المطلب















Princeton University Library



32101 048852410